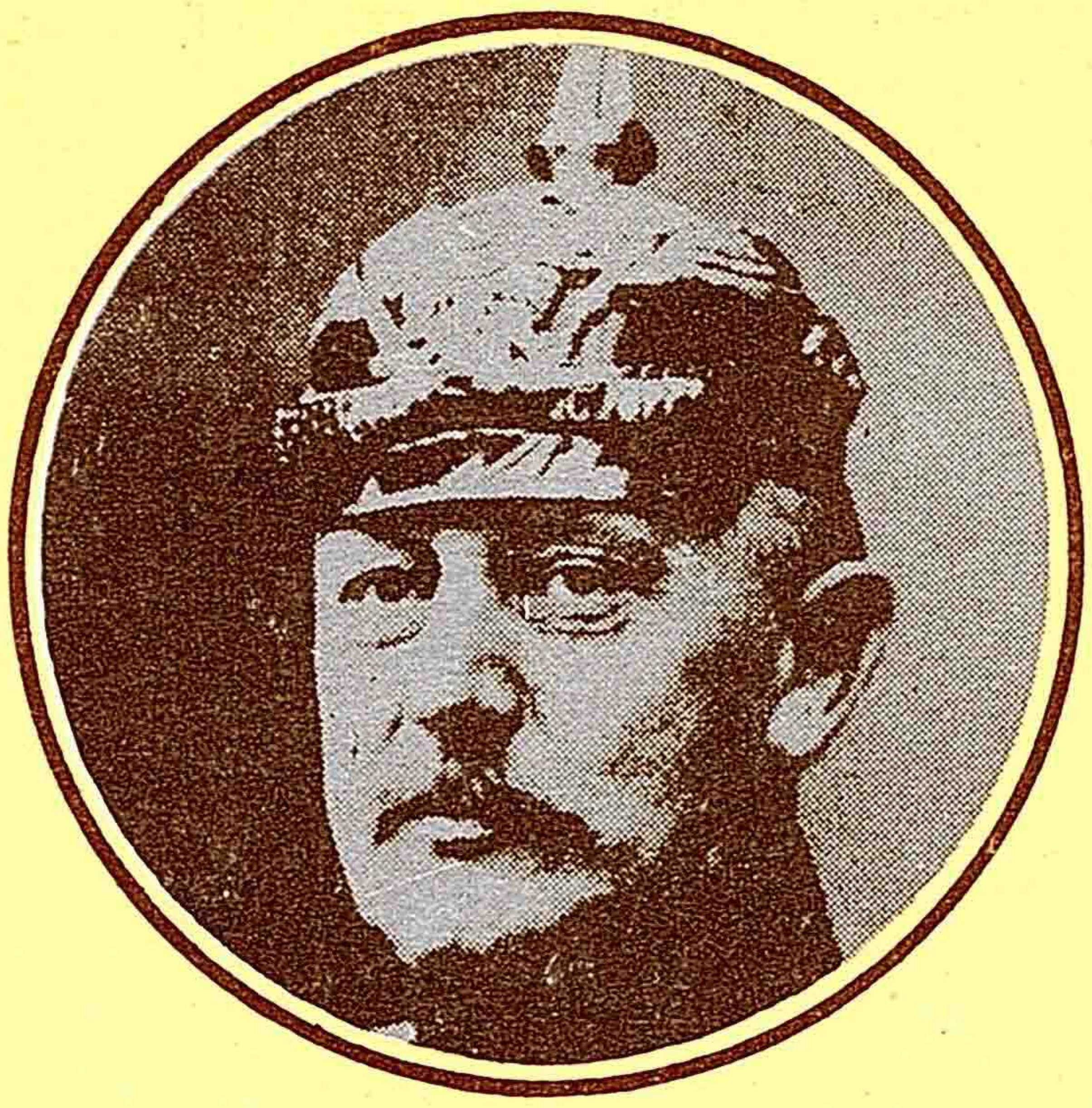
مشاهير قادة العالم



فون مولتكه

١٨٠٠ - ١٨٩١

تأليف

بسام العسلي

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

مشاهير قادة العالم

فون مولتكه

١٨٠٠ - ١٨٩١

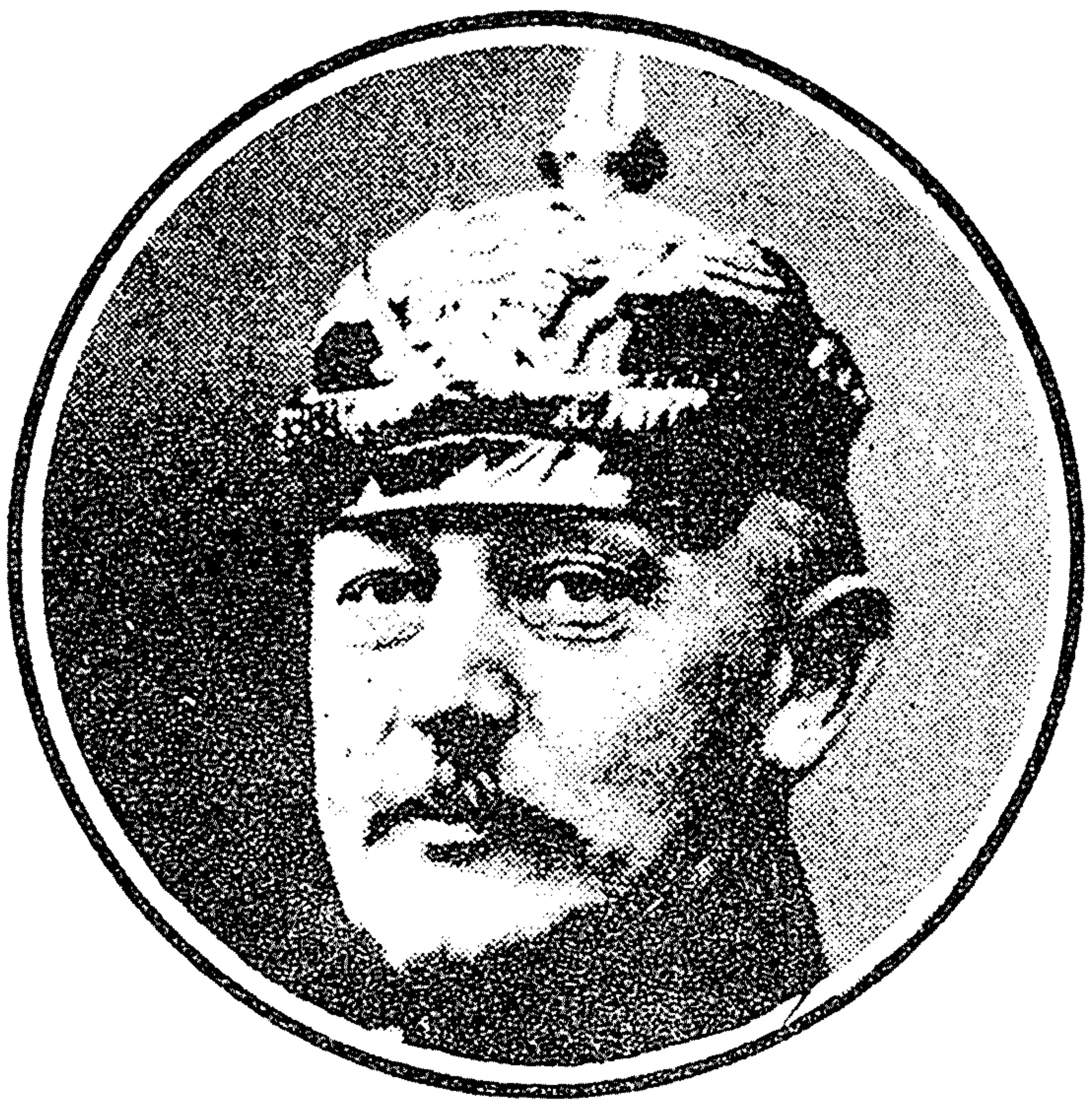
تأليف
بسام العسلي

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير - ت ١/ ٨٠٧٩٠٠
برقيا موكيالي بيروت - ص.ب : ١١/٥٤٦٠ بيروت

الطبعة الأولى
١٩٨١



فون مولتكه

١٨٠٠ - ١٨٩١

تأليف

بسام العسلي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

عرف القرن التاسع عشر مجموعة من الأحداث التاريخية الحاسمة، وشهد مجموعة من الحروب الضخمة الكبيرة. وبرزت فيه مجموعة من (صانعي التاريخ وأدواته وصنائعه). فكان من أبرز الحروب تلك التي بدأ بها القرن التاسع عشر وعرفت باسم (الحروب النابوليونية) ثم (حرب القرم) التي توسطت العقد الخامس لهذا القرن. وبعد ذلك (الحرب البروسية ـ الفرنسية) علاوة على تلك الحروب الروسية ضد الدولة العثمانية. وبعض الحروب الثانوية.

واحتل **الصراع في البحر** خلال هذا القرن أهمية متعاظمة، فكان من أبرز معاركه المعروفة (معركة النيل ـ أبي قير) و(معركة الطرف الأغر) و(معركة نافاران).

وكان القرن التاسع عشر هو بحق قرن (**الوحدات القومية**) إذ تحققت فيه (الوحدة الألمانية) و(الوحدة الإيطالية) علاوة على تلك الحروب التي أخذت الطابع الوطني ـ القومي ـ مثل: حرب اليونان وحروب بلاد الصرب (بلغاريا وسواها).

وكان القرن التاسع عشر هو (**قرن الثورة الصناعية**) إذ أخذت هذه الثورة مسيرة متسارعة لم تلبث أن تطورت بنتائجها لتمتد إلى كل آفاق العالم.

وهكذا كان القرن التاسع عشر أيضاً (**قرن الاستعمار**). فقد

امتدت الهيمنة الاستعمارية إلى كافة قارات العالم بداية من أمريكا اللاتينية (الهند الغربية) ومروراً بأفريقيا (ومنها الجزائر سنة ١٨٣٠) ونهاية بأسيا (الهند والصين).

وكان لا بد لهذا الهيجان العالمي من أن يبرز مجموعة لا نهاية لها من أسماء القادة الذين كان لهم دورهم الأساسي والحاسم في (ظهور الحدث التاريخي) ومن هؤلاء (**الجنرال مولتكه**). لم يكن هذا القائد من ذلك النوع الذي هز العالم بصخبه وضجيجه (مثل نابليون بونابرت) ولا كان من طراز ذلك النوع المقدام المغامر (مثل الأميرال نلسون) ولا كان من النوع المصمم العنيد (مثل كوتوزوف) ولا كان مثل القائد الإنكليزي (ولنغتون) الذي عاش مع الحروب ومن أجل الحروب، وإنما كان نموذجاً خاصاً ومميزاً، بفضائله الخلقية والحربية، وبسعة أفقه الإستراتيجي، وباعتماده على الجهد المستمر والتخطيط الدقيق والكفاءة العالية في إدارة الحرب.

لقد ارتسمت ملامح فن الحرب عبر عصور متتالية، وفي عهود متطاولة، وكان لكل علم من (أعلام قادة الحرب) دوره في التطور التاريخي المستمر، ويمكن التعلم من منجزات كل واحد من هؤلاء الذين يطلق عليهم اسم (صانعي التاريخ). وفي الواقع، فقد أكدت التجربة التاريخية أن ما خلفه أولئك الرواد (أو صانعو التاريخ) من منجزات، إنما هي منجزات غير متساوية في أحجامها، ولا هي متعادلة في أهميتها، ولا هي متوازنة في قيمُتها التاريخية، ومن هنا يظهر التباين فيما يمكن تعلمه منها. وضمن هذا الإطار، تبقى (تجربة مولتكه التاريخية) من التجارب الرائدة التي تحتفظ بكل قيمتها وفائدتها، إذ يشكل (مولتكه) تجربة في حد ذاتها، مستقلة بمقوماتها، غنية بمعطياتها، ثرة بمضمونها، ولا غرابة في أن تحمل (مدرسة الحرب البروسية) طابع (مولتكه) الذي هيمن عليها، فأرسى قواعدها، وحدد مبادئها.

لقد بقيت (مدرسة الحرب البروسية) هي المدرسة المهيمنة على أوروبا، وعلى العالم كله بالتالي، طوال نصف قرن من عمر الزمن. وأخذت عنها معظم مدارس الحرب الحديثة الكثير من أسسها ومبادئها، رغم كل إنكار لعملية الاقتباس أو تنكر لها. وإذا ما فشلت هذه المدرسة في حسم صراع الحرب العالمية الأولى، بسبب تطور غير متوازن في التسلح، وموازين القوى وامتداد مسارح العمليات، فقد جاءت تجارب المرحلة الأولى من الحرب العالمية الثانية لتؤكد بما لا يدع مجالاً للشك قوة تلك الأسس والمبادىء التي تميزت بها (مدرسة الحرب البروسية) والتي يعود فضل إرساء قواعدها إلى (مولتكه) بالدرجة الأولى.

لقد أعطى (مولتكه) (لمدرسة الحرب البروسية) تطبيقاتها العملية، فكان رائداً في مجال تحقيق المطابقة بين (النظرية) من جهة، وبين ممارساتها (العملية) من جهة ثانية.

وكان من أعظم منجزات (مولتكه) تنظيمه لجهاز (هيئة الأركان) وفقاً للتطورات الحديثة، التي تستجيب لمتطلبات الحرب الحديثة.

ومن منجزات (مولتكه) الرائعة أيضاً تحقيق التوازن بين (غاية السلم) و(هدف الحرب) أو بالأحرى (إدارة الحرب) بما يتوافق مع متطلبات (القيادة السياسية).

لقد كان قيام (الوحدة الألمانية) من أعظم منجزات القرن التاسع عشر. وكان للقائد (مولتكه) الدور الأعظم في إنجازها. وبذلك، فقد يكون من غير المبالغة وصفه بأنه من أعظم رجال القرن التاسع عشر، وليس في ذلك أي انتقاص من قيمة الدور الذي اضطلع به الرجلان الأخران (غليوم الأول) و(بسمارك).

بسام العسلي

الوجيز في حياة الماريشال فون مولتكه
١٨٠٠ - ١٨٩١

١٨٠٠	ولادة فون مولتكه في (بارشيم).
١٨١٩	تخرج (مولتكه) ضابطاً في الجيش الدانماركي برتبة ملازم.
١٨٢٦	التحاقه بالجيش البروسي، وتخرجه في كليتها الحربية برتبة ملازم.
١٨٢٨	نقله إلى هيئة الأركان العامة.
١٨٣٥	تعيين (مولتكه) مستشاراً عسكرياً لدى الباب العالي في استانبول.
١٨٣٩	عودة (مولتكه) من البلاط العثماني إلى (برلين).
١٨٤٠	إشتراك (مولتكه) في دعم خط حديد (برلين - همبورغ).
١٨٥٥	فريدريك غليوم الرابع يعين (مولتكه) ياوراً لابن أخيه فريدريك غليوم الذي أصبح فيما بعد أمبراطوراً باسم (فريدريك الثالث).
١٨٥٧	فريدريك الثالث يعين (مولتكه)، رئيساً لهيئة أركان حرب الجيش البروسي. وبدء (مولتكه) بإعادة التنظيم الشامل للجيش البروسي.
١٨٦٤	إشتراك (مولتكه) في وضع مخططات الحرب ضد الدانمارك.
١٨٦٦	الأمبراطور البروسي يصدر أمره (بأن يتولى مولتكه كل شيء) لقيادة الحرب البروسية ضد النمسا.

١٨٧٠ ـ ١٨٧١ (مولتكه) يتولى إدارة الحرب ضد فرنسا، ويلحق الهزيمة بنابليون الثالث في (سيدان). ويتابع توجيه الجيوش حتى الوصول إلى (باريس) حيث تم الاحتفال في (قاعة المرايا) بقيام (الاتحاد الألماني) وتتويج الأمبراطور غليوم ـ ملك بروسيا ـ أمبراطوراً للاتحاد الألماني ـ الجرماني.

وجيز الأحداث المعاصرة لحياة (مولتكه).

١٨١٥	مؤتمر فيينا الذي أعاد تنظيم أوروبا. ونصب لويس الثامن عشر ملكاً على فرنسا. والمناداة بإقامة إتحاد الماني يضم (٣٨) إمارة ودولة جرمانية.
١٨١٨	وضع أول تعرفة جمركية بين بروسيا وبعض الإمارات والدويلات الجرمانية.
١٨٢١ ـ ١٨٢٩	الثورة اليونانية بتحريض من روسيا ضد الدولة العثمانية.
١٨٢٤	موت ملك فرنسا (لويس الثامن عشر) وخلفه (شارل العاشر).
١٨٢٧	أساطيل الحلفاء (الروس والإنكليز والافرنسيين) تدمر الأسطول العثماني ـ المصري في معركة (نافاران) وفصل اليونان عن الدولة العثمانية.
١٨٣٠	إحتلال فرنسا للجزائر. وخلع شارل العاشر في فرنسا وتنصيب (لويس فيليب).
١٨٣٩	البريطانيون يحتلون عدن وكابول وقندهار.
١٨٤٢	حرب الأفيون. وقيام انكلترا بفتح خمس موانىء في الصين للتجارة. واحتلال (هونغ كونغ).
١٨٤٨	إلغاء الجمارك بين كافة الدول الجرمانية باستثناء (النمسا).
١٨٤٨	سقوط (لويس فيليب) بعد ثورة اجتاحت فرنسا وأعلنت (الجمهورية الثانية).

١٨٥٤	حرب القرم بين روسيا وتركيا ووقوف انكلترا وفرنسا وإيطاليا إلى جانب الدولة العثمانية للحد من أطماع روسيا.
١٨٥٣	نابليون الثالث، يحول النظام الجمهوري الإفرنسي إلى نظام أمبراطوري ـ على نحو ما فعله عمه نابليون الأول من قبل.
١٨٥٩	قيام الوحدة الإيطالية بقيادة ملك (سردينيا) فيكتور عمانوئيل ووزيره كافور.
١٨٦٤	بروسيا تخوض الحرب ضد الدانمارك، وتنتزع منها (شلسويج) و (هولشستين).
١٨٦٦	بروسيا تخوض الحرب ضد النمسا، وتنتصر عليها، فتعزز بذلك مكانتها في قيادة الاتحاد الجرماني.
١٨٦٩	الاحتفال بفتح قناة السويس.
١٨٧٠	الحرب البروسية ـ الفرنسية وانتصار بروسيا في معركة (سيدان) بقيادة (فون مولتكه) وانهيار الأمبراطورية الثانية (نابليون الثالث).

«... يجب أن تتضمن الأوامر كل شيء لا يستطيع القائد أن يفعله بنفسه، ثم لا شيء غير هذا».

مولتكه

الفصل الأول

١ ـ الوضع العام على الجبهة الأوروبية.
٢ ـ الوضع الخاص في (بروسيا).
٣ ـ مدرسة الحرب البروسية.
٤ ـ فون مولتكه
٥ ـ الحرب البروسية ـ النمساوية (معركة سادوفا).
٦ ـ مولتكه، وتقويم معركة (سادوفا).
٧ ـ الحرب البروسية ـ الفرنسية (١٨٧٠ ـ ١٨٧١).
أ ـ مخططات الحرب.
ب ـ المعارك الأولى (فيونفيل وغرافلوت).
ج ـ الطريق إلى سيدان.
د ـ المعركة الحاسمة (سيدان).
هـ ـ الومضات التاريخية (سقوط أمبراطورية وقيام أمبراطورية).

١ ـ الوضع العام على الجبهة الأوروبية.

ما إن وضعت الحروب النابوليونية أوزارها، وخرج الحلفاء بانتصارهم الذي يمكن اعتباره بحسب المفاهيم الحديثة انتصاراً للقوى التقليدية على القوى الثورية، حتى تداعى ملوك أوروبا وقادتها إلى مؤتمر فيينا (١٨١٤ ـ ١٨١٥) بهدف إعادة تنظيم أوروبا التي قلبها نابليون رأساً على عقب. وظن المشتركون في (مؤتمر فيينا) انه بات باستطاعتهم إقرار السلام على أسس ثابتة ووطيدة، وتحقيق الاستقرار في أوروبا الوسطى التي كانت تموج بالاضطراب نتيجة تحلل (الأمبراطورية الرومانية المقدسة)[١] وتفككها. وقرر مؤتمر فيينا فيما قرره إقامة الاتحاد الجرماني من (٣٨) دولة ذات سيادة، وكان ذلك على أمل ضمان السلم لألمانيا (جرمانيا) ضد كل عدوان خارجي أو اضطراب داخلي. وتأسس مجلس نواب الاتحاد (الدييت) واتخذ من

(١) الأمبراطورية الرومانية المقدسة: (HOLY ROMAN EMPIRE) هي الأمبراطورية التي تضم النمسا حالياً وبعض المقاطعات الألمانية. وكان شارلكان قد أسند إلى أخيه فرديناند حكم البلاد الألمانية والنمساوية سنة ١٥٢٢م. وقد ورث (فرديناند) في سنة ١٥٢٦ (بوهيميا) و(هنغاريا) من زوجته. وضعف أمر الأمبراطورية الرومانية المقدسة بنتيجة حرب الوراثة النمساوية (١٧٤٠ ـ ١٧٤٨م) وحرب السبع سنوات (١٧٥٦ ـ ١٧٦٣م). غير أنها تمكنت في سنة ١٧٧٢ وفي سنة ١٧٩٥م من إستعادة بعض الأقاليم نتيجة تقسيم بولونيا الأول والثالث. وفي سنة ١٨٠٤، ضم فرانسوا الثاني كل الدول تحت إسم (الأمبراطورية النمساوية) مع إحتفاظه بلقب الأمبراطور المنتخب (للأمبراطورية الرومانية المقدسة) التي باتت تضم إيليريا ودالماتيا ولومبارديا وفينيتيا، مع ممارسة الهيمنة على الدول الجرمانية.

(فرانكفورت ـ أون ـ مين)[٢] مقراً دائماً له. وكـان (مجلس الدييت) يضم ممثلاً عن كل دولة، غير أنه كان عاجزاً عن القيام بأي عمل لمصلحة الاتحاد، لأن أعضاءه من الشيوخ (السيناتور) الذين يفتقرون للصفة التمثيلية، ولهذا كان المجلس عبارة عن (مؤتمر للتشاور) وليس (برلماناً له حق اتخاذ القرارات). ومقابل ذلك، فقد تشكل في (الاتحاد الجرماني) تنظيم اقامته (بروسيا) تحت اسم (الاتحاد الجمركي). وقد اعتمدت بروسيا في تنظيمها هذا على نظرية (فريـدريك ليست)[٣] القائلة: «تقف الحواجز الجمركية سداً فاصلاً أمام الدول المختلفة»، وما لم يتم رفع حواجز هذا السد. فستستمر بريطانيا بغمر أسواق الدول الجرمانية وإغراقها ببضائعها. مما يحرم هذه الدول من التحول إلى دول صناعية».

عملت بروسيا على مجابهة هذا الموقف في سنة ١٨١٨. فألغت كل الضرائب الجمركية داخل بروسيا حتى شمل الإلغاء (٦٧) صـريبة كانت مفروضة على أكثر من ثلاثة آلاف سلعة (مادة). وتم في شهر تشرين الأول ـ أكتوبر ـ من سنة ١٨١٩ توقيع أول اتفاقية جمركية بين (بروسيا) وبين دولة (شوارز بورغ ـ سوندرهوزن) الصغيرة. وقد نجم عن ذلك ظهور إتحادين جمركيين بصـورة فوريـة، الاتحاد الشمـالي والاتحاد الجنوبي، وهما الاتحادان اللذان اتفقا في سنة ١٨٢٩ على إلغاء كافة الضرائب الجمركية في المبادلات بين المنتجات. واستمر ذلك حتى سنة ١٨٤١. حيث عاد الاتحاد الجمركي، فأكد التزامه بالإجراءات

---

(٢) فرانكفورت ـ أون ـ مين: (FRANCFORT-SUR-LE MAIN) مدينة ألمانية تقع على نهر (مين). وكانت عاصمة القوط.

(٣) فريدريك ليست (LIST-FRIEDRICH) إقتصادي ألماني (١٧٨٩ ـ ١٨٤٦م) تم تأسيس الاتحـاد الجمركي الجرماني (ZOLLVEREIN) بالاستناد إلى نظرياته التي اصطدمت في البداية بمقاومة ضارية، فتم إبعاده عن جرمانيا سنة ١٨٢٥. وتوجه إلى الولايات المتحدة حيث أسس في (بنسلفانيا) صحيفة تعبر عن وجهات نظره الاقتصادية. ثم تولى رئاسة كلية لافاييت. وأوفدته أمريكا قنصلاً لها في (بادن بادن) ثم في (ليبزيغ) ثم في (شتوتغارت) ومات منتحـراً بسبب المرض الذي أعاقه عن المشاركة في الحياة العامة.

السابقة. وفي سنة ١٨٤٤ شمل إلغاء الضرائب الجمركية كافة الدول الجرمانية (ما عدا الاتحاد النمساوي). وكان لا بد بالتالي من أن تؤدي الوحدة التجارية بالدول الجرمانية إلى التقارب السياسي، وإلى التعاون العسكري المتبادل للمحافظة على أمن الدول الجرمانية.

هيمنت قضية (السلام الأوروبي) وكثر الحديث عنها طوال الأربعين سنة، والتي جاءت بعد معركة واترلو، وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه الفترة لم تكن أكثر من فترة اضطراب مستمر، وأحداث مرعبة، تناوب في صنعهاالتقليديون والثوريون وهم يطاردون بعضهم بعضاً. فما أن ارتقى الملك (لويس الثامن عشر)[٤] عرش فرنسا، حتى عاد التقليديون الملكيون وركبوا سرج الحكم. وأخذوا في القضاء على كل رموز الثورة، بما في ذلك علمها الثلاثي الألوان. أما في إسبانيا، فقد طلبت الكنيسة إعادة تكوين محاكم التفتيش، وحصلت على ما طالبت به. وتشبث أمبراطور النمسا بمواقعه من غير أية محاولة للتقدم نحو الأمام أو التراجع إلى الخلف، في حين كان رئيس وزرائه (مترنيخ)[٥] ينظر إلى قضية (توحيد جرمانيا) على أنها (هدف شائن). وتجاهل الحزبان البريطانيان (الويغ)[٦] و(التوري)[٧] تسارع الثورة الصناعية،

---

(٤) لويس الثامن عشر: (LOUIS-STANISLAS XAVIER) حفيد لويس الخامس عشر، والأخ الأصغر للملك الفرنسي لويس السادس عشر، وملك فرنسا من سنة (١٨١٤م) إلى سنة (١٨٢٤م). وقد ولد في فرساي سنة (١٧٥٥م) تنقل أثناء الثورة بين عدد من الأقاليم الأوروبية، ثم عاد إلى فرنسا بعد سقوط نابليون. أمكن له تحقيق الازدهار الاقتصادي خلال فترة حكمه لبلاده فرنسا.

(٥) مترنيخ (PRINCE DE-METTERNICH-WINNEBURG. KLEMENS LOTHAR WENZEL) رجل دولة نمساوي، من مواليد كوبلنز COBLENTZ (١٧٧٣ - ١٨٥٩م) عمل سفيراً لبلاده النمسا في باريس سنة ١٨٠٦ حتى سنة ١٨٠٩م، وهو الذي أجرى المفاوضات لزواج نابليون بونابرت من ماري لويس بعد اندحار الأمبراطورية النمساوية، وأصبح مهندس السياسة الأوروبية والمتحكم بأمورها من خلال تنظيمه للتحالف المقدس. وحكم بلاده حكمًا فردياً مطلقاً.

(٦) حزب الويغ: (WHIG-PARTY) هو حزب بريطاني. أقام برنامجه على أساس الانتصار للحريات الشعبية. وبقي هو ومنافسه حزب التوري يحكمان بريطانيا بالتناوب طوال قرون عديدة.

(٧) حزب التوري: (TORY-PARTY) هو حزب بريطاني، أقام برنامجه على أساس الانتصار لحقوق التاج، ومعارضة حزب الويغ.

وأخذ[1] في تركيز مطالبهما على حماية المصالح الزراعية، وتوثيق عرى التجارة مع دول الأمبراطورية.

كان قيصر روسيا (الكسندر)[8] في هذه الفترة ذاتها، يندفع وراء عواطفه الدينية، وأمكن له اقناع أمبراطور النمسا وملك بروسيا بالتوقيع معه على (الحلف المقدس) في معاهدة تضم (الدول الثلاث التي لا يمكن تجزئتها ـ بحسب تعبير الكسندر ذاته). وكان هدفه من ذلك هو توسيع حدود بلاده على حساب الدولة الإسلامية (الأمبراطوريةالعثمانية). وعمل كافة ملوك أوروبا بعد ذلك على توقيع هذه المعاهدة ـ باستثناء الوصي على عرش بريطانيا ـ. وبقي الطرفان اللذان لم يطلب إليهما التوقيع على هذه المعاهدة هما (البابا) و (السلطان العثماني).

لم تحدث خلال العشرين سنة التي جاءت بعد ذلك، ولو معركة كبيرة واحدة، بالرغم من كل ذلك (الضجيج الفارغ ـ كما وصفه مترنيخ). ذلك أن ثورة الروح الوطنية ضد القوى التقليدية، جعلت من هذه الفترة عهداً غارقاً في الدماء، لعل تاريخ الغرب لم يعرف مثله. فالمستعمرات الإسبانية ـ الأمريكية ثارت ضد إسبانيا، كما قامت البرازيل بثورة ضد البرتغال. وغرقت إسبانيا والبرتغال في طوفان الثورة، وقامت فرنسا باجتياح إسبانيا تحت رايات (الحلف المقدس). كما قامت ثورة في اليونان ضد الدولة العثمانية. واجتاحت الثورة روسيا في أعقاب موت (الكسندر). وتدخلت إنكلترا وروسيا وفرنسا لدعم ثورة اليونان، فأرسلت أساطيلها التي دمرت الأسطول الإسلامي في خليج (نافارين) يوم ٢٠ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٨٢٧. فحرمت بذلك الدولة العثمانية من الاتصال مع المغرب العربي الإسلامي،

---

(٨) القيصر الكسندر: (ALEXANDRE 1er) قيصر روسيا (١٧٧٧ ـ ١٨٢٥م) أصبح قيصراً سنة ١٨٠١، حارب نابليون، ثم تصالح معه، ثم عاد فاشترك مع دول التحالف في حربه.

الأمر الذي ساعد فرنسا على غزو الجزائر في ٥ حزيران ـ يونيو ـ ١٨٣٠ م. وقامت روسيا بغزو بلاد فارس (إيران) ثم أعلنت الحرب على الباب العالي في سنة ١٨٢٨، وقامت بغزو بلغاريا ـ التي كانت من البلاد التابعة للدولة العثمانية. وعادت الثورة فاندلعت في فرنسا، وأسقطت (شارل العاشر)[٩] ورفعت مكانه (لويس فيليب)[١٠] وقامت في بلجيكا ثورة ضد هولاندا، كما قامت في بولونيا ثورة ضد روسيا. في حين كان الهيجان عاماً في أمارتي (هانوفر)[١١] و (هيس كاسل)[١٢]. فيما كانت الاضطرابات تجتاح النمسا وهنغاريا وسويسرا وإيطاليا. وهزمت بولونيا سنة ١٨٣١، وألغي مجلسها التشريعي. كما سحقت ثورة الدول البابوية سنة ١٨٣٢، وهي الثورة التي قامت بها هذه الدول ضد النمسا. وقام الفرنسيون بفرض الحصار على (انتويرب)[١٣] في سنة ١٨٣٢م. وتمكن (السير شارل نابيير)[١٤] بجرأته وإقدامه من تدمير الأسطول الإسباني عند رأس (سانت فانسان) في سنة ١٨٣٣م. واندلعت (حرب الشارليين)[١٥] في إسبانيا سنة

---

(٩) شارل العاشر: (CHARLES X) من مواليد فرساي (١٧٥٧ ـ ١٨٣٦م) شقيق لويس السادس عشر. صعد إلى عرش فرنسا سنة ١٨٢٤، أدى دعمه للجزويت وضغطه على الحريات لقيام الثورة ضده.

(١٠) لويس فيليب: (LOUIS-PHILIPPE 1er) ولد في باريس سنة ١٧٧٣، وأصبح ملكاً على فرنسا في الفترة (١٨٣٠ ـ ١٨٤٨) مات في إنكلترا سنة ١٨٥٠.

(١١) هانوفر: (HANOVRE) مملكة ألمانيا قديمة (تكتب بالألمانية HANNOVER) وانضمت إلى بروسيا طوال الفترة (١٨٦٦ ـ ١٩٤٤) وتشكل اليوم قسمًا من الساكس السفلى. ومدينة (هانوفر) الواقعة على نهر لين: (LEINE) هي عاصمة الساكس السفلى.

(١٢) هيس كاسل: (HESSE-CASSEL) هي إحدى الدول الجرمانية القديمة التي انضمت إلى الاتحاد الجرمانى سنة ١٨٦٦. وهي تشكل اليوم اقليمًا في ألمانيا الغربية.

(١٣) أنتويرب: (ANTWERPEN) هو الاسم الفلامنكي لمدينة آنفرس: (ANVERS)وهي مدينة بلجيكية. وتشتهر بمينائها العالمي الذي يقع عند مصب نهر الأسكوت: (ESCAUT).

(١٤) السير شارل نابيير: (NAPIER-CHARLES) أميرال إنكليزي (١٧٨٦ ـ ١٨٦٠) اقترن اسمه بالحملة البريطانية على سوريا (سنة ١٨٤٠) عندما قام إبراهيم باشا بغزو سوريا. وتولى قيادة أسطول البلطيق أثناء حرب (١٨٥٤ ـ ١٨٥٥).

(١٥) الشارليين، أو الكارليين (CARLISTES) الاسم الذي أطلق على أنصار شارل العاشر في فرنسا. سنة ١٨٣٠، كما أطلق على أنصار (دون كارلوس: Don-CARLES) في إسبانيا سنة ١٨٣٣:

١٨٣٤ فأغرقت شبه الجزيرة الأندلسية بالدماء طوال سبعة أعـوام. وصعدت إلى حكم بريطانيا في سنـة ١٨٣٧ (الملكة فيكتـوريا)[١٦] فعرفت إنكلترا في عهدها فترة من الهدوء النسبي لمدة عشر سنوات.

تفجرت الثورة التالية في فرنسا سنة (١٨٤٨م) ولم يكن هدفها في هذه المرة تغيير نظام الحكم، وإنما تغيير التكوين الاجتماعي للأمة، إذ باتت الطبقة السفلى في المجتمع تعيش في بؤس يتزايد قسوة يوماً بعد يوم مع كل تطور في التصنيع فتأسس الاتحاد الشيوعي في لندن سنة ١٨٤٧ تحت قيـادة (ماركس) و(انجلز). ولم يعـد النشيد الـوطني الفرنسي (المارسيلييز) الذي وصف بأنه نشيد البورجوازية كافياً للتعبير عن متطلبات المرحلة، فانطلقت حناجر العمال هادرة، صاخبة، وهي تردد بصورة مرعبة كلمات النشيد (العالمي) للعمال، ومنه:

وقوفاً أيا بؤساء الأرض.
وقوفاً! أيها الهالكون جوعاً.

. . . . . .

فوهة البركان تزمجر منذرة
بانفجار ثورة الجوع.
إنها ستسحق كل بؤس الماضي.
وقوفاً! وقوفاً! يا جموع العبيد.
سينقلب العالم رأساً على عقب.
فنحن لا شيء، وسنصبح كل شيء.

وعلى انصار حفيده في الفترة (١٨٧٣ ـ ١٨٧٤م).

(١٦) الملكة فيكتوريا: (VICTORIA) ملكة إنكلترا، ولدت في لندن (١٨١٩ ـ ١٩٠١م) وقد توجت ملكة في سنة ١٨٣٧م. وحققت التقارب مع فرنسا سنة ١٨٥٢. واشتركت في حرب القرم (١٨٥٤م). وعاشت فترة ثورة الهند ثم القضاء عليها. وتوجت إمبراطورة للهند سنة ١٨٧٦م. خلفها على الحكم انها إدوارد السابع. وكان عهدها أعظم عهود بريطانيا.

تسلل الملك الفرنسي (لويس فيليب) وزوجته الملكة من الباب الخلفي لقصر (التويلري) وهربا إلى إنكلترا يوم ٢٢ شباط - فبراير - ١٨٤٨ على الرغم من أن الثورة التي قامت ضده كانت أقل الثورات ولوغاً بالدماء. وأصبح مبدأ (حق العمل) هو المبدأ الرئيسي الموجه لحركة الإصلاح. وقد تم إلغاء (الحرس الوطني) من أجل ضمان تنفيذ هذا المبدأ كما سلحت الطبقة العمالية. وتم تعيين (الجنرال كافينياك)[١٧] في شهر حزيران - يونيو - (دكتاتوراً لفرنسا) فتولى قيادة (غرب باريس) ضد المنطقة الصناعية في (شرق باريس) وأمكن له سحق الثورة بقنابل المدافع بعد معارك وصفت بأنها: «معارك لم تكن لتحقيق هدف سياسي، أو لتشكيل حكومة، وإنما من أجل قلب المجتمع القائم على أساس الملكية الفردية» واهتزت فرنسا من هذه الثورة بصورة عنيفة حتى ان (الدوق ويلينغتون) كتب مايلي: «**تحتاج فرنسا إلى نابليون! فأين هو؟ إنني لا أراه!...**»[١٨].

إنتابت إنكلترا موجة كبيرة من الهيجان المثير، غير أن تظاهرة الكارليين أخفقت بعد نجاحها الأولي، وتم سحب قوانين الذرة وإلغاؤها في سنة ١٨٤٩م، وانزلقت بريطانيا نحو إتجاه (التجارة الحرة). وفي هذه الفترة ذاتها، تفجرت الثورة فيما حول (فيينا) وتطورت الثورة إلى اضطرابات عامة اجتاحت كافة أرجاء الأمبراطورية. ووقفت إيطاليا بكاملها وراء (شارل البرت)[١٩] ملك

---

(١٧) الجنرال كافينياك: (CAVAGNAC, LOUIS EUGÈNE) جنرال فرنسي (١٨٠٢ - ١٨٥٧م) برز اسمه عندما عمل حاكمًا عاماً للجزائر، واصبح رئيساً للسلطة التنفيذية في فرنسا سنة (١٨٤٨) فقضى على ثورة حزيران - يونيو - غير أنه فشل في تعيين مرشحه لحكم فرنسا ضد لويس نابليون الثالث.

(١٨) الدوق ويلينغتون (WELLINGTON, ARTHUR WELLESLEY) جنرال إنكليزي (١٧٦٩ - ١٨٥٢) حارب في بداية الأمر القوات الفرنسية - النابوليونية في البرتغال وإسبانيا وانتصر عليها. وتولى قيادة القوات المتحالفة وانتصر على نابليون في واترلو (١٨١٥). وقد أطلق عليه لقب الدوق الحديدي لما توافر له من الكفاءة البدنية والقدرة.

(١٩) شارل البرت: (CHARLES — ALBERT) ملك سردينيا (١٧٩٨ - ١٨٤٩م) نصب ملكاً سنة =

(بييمونت)[٢٠] - باستثناء مملكة البابا - وخاض (شارل) معارك فاشلة في (سانتا لوسيا) و(كوستوزا) وأخيراً في (نوفارا) يوم ٢٣ آذار - مارس - ١٨٤٩، الأمر الذي اضطره إلى التنازل عن الملك لابنه (فيكتور أمانويل)[٢١]. وانفجر لهيب الثورة في (هنغاريا) خلال هذه الفترة ذاتها، فأحرقها. ونهض التشيك في (بوهيميا) كما نهض الصربيون والكرواتيون. وحملوا السلاح - سلاح الثورة - وانعكست أصداء هذه الثورات على (فيينا) فتنازل الملك (فرديناند الأول) عن الملك لابن أخيه (فرانسيس جوزيف) الشاب الذي لم يكن قد تجاوز الثامنة عشرة من عمره[٢٢].

رفضت (هنغاريا) الاعتراف بالملك الجديد (فرانسيس جوزيف). ولم تكن الحكومةالنمساوية قادرة على قمع الثورة الهنغارية والقضاء عليها، ولهذا فقد طلبت إلى روسيا التدخل باسم (الحلف المقدس) وقامت القوات الروسية باجتياح هنغاريا، والقضاء على قواتها في معركة (طمشوار)[٢٣] في ٩ آب - أغسطس - ١٨٤٩م. واضطر الهنغاريون للخضوع للنمسا.

تبع العمال الألمان النهج الذي رسمه الثوار الفرنسيون، إلا أن شغفهم لبناء بروسيا العظمى، ومشاركة أرباب العمال لعمالهم في

= ١٨٣٢، حرر لومبارديا من حكم النمساويين، غير أن هؤلاء ألحقوا به الهزيمة، خاصة في معركة نوفارا NOVARE.

(٢٠) بييمونت: (PIÉMONT) أو سفح الجبال: (AUPIED DES MONTS) إقليم في إيطاليا الشمالية بين جبال الألب، وتيسان: TESSIN والألبنين. وكانت قبل سنة ١٨٦ تشكل مع سافوا LA SAVOIE ما كان يسمى دول السرد: (SARDES).

(٢١) فيكتور أمانويل: (VIÇTOR-EMMANUEL) الثاني، ملك سردينيا (١٨٢٠ - ١٨٧٨) تولى ملك سردينيا سنة ١٨٤٩، ونودي به ملكاً على إيطاليا الموحدة سنة ١٨٦١م.

(٢٢) فرانسيس جوزيف: (FRANÇOIS-JOSEPH) إمبراطور النمسا وملك هنغاريا (١٨٣٠ - ١٩١٦م) نصب على ملك النمسا سنة ١٨٤٨م. تميزت فترة حكمه بعدد من الحروب ضد إيطاليا (١٨٥٩) وضد هنغاريا (١٨٤٩) وضد بروسيا (١٨٦٦) والتحالف الثلاثي (١٨٧٨).

(٢٣) طمشوار: (TEMESVAR) أو (TIMISHORA) مدينة رومانية تقع على نهر بيغا: (BEGA).

الأرباح، جعل الثورة في البلاد الجرمانية تتخذ نهجاً وطنياً أكثر منه نهجاً اجتماعياً. ويذكر أن (فريدريك وليم الرابع)(٢٤) قد استدعى في شهر شباط ـ فبراير ـ ١٨٤٧ (المجلس البروسي الموحذ ـ الدييت) الذي عمل فوراً على إلغاء (مجلس الدييت القديم) والذي بقي قائماً منذ سنة ١٨١٥م، ووافق على إقامة (برلمان جرماني وطني) يتخذ من (فرانكفورت) مقراً له، ويعمل على إقامة (ألمانيا جديدة) من مجموع الدول المكونة لها. ولكن، وبينما كان الجدل مستمراً حول التنظيم الجديد، اجتاحت الثورة (شيلز ـ و ـ هولشتين)(٢٥) ضد التاج الدانمركي. وقامت روسيا بدعم الدانمارك. وشعر (فريدريك وليم) بالخوف من تدهور الموقف، فتجاوز (البرلمان الوطني) ووافق على الهدنة، وصدرت الأوامر إلى الجيش الذي أرسلته بروسيا لدعم (شيلزويغ) بإيقاف الحرب. وعلى الرغم من ذلك، فقد جاء (البرلمان الوطني) التالي، وعرض عليه اقتراحاً بتنصيبه إمبراطوراً على جرمانيا ـ ألمانيا ـ . وقبل (فريدريك وليم) الاقتراح، وذلك على أمل أن لا تقوم النمسا بالتصدي له ومقاومته نظراً لانصراف النمسا لمعالجة الاضطرابات التي كانت تجتاحها. غير أن نفور (فريدريك وليم) من الأساليب الديموقراطية التي كان يتبعها البرلمان الوطني حمله على تعليق المشروع، وذلك إلى أن تحصل المدن الجرمانية على حريتها أولاً، وإلى أن يوافق الأمراء حكام المدن والمقاطعات على إصدار قانون بتنصيبه أمبراطوراً. وكان ذلك بمثابة الضربة القاضية لآمال المواطنين الألمان. ولم يكن باستطاعة الوصي على العرش (غليوم الأول)(٢٦) أن يعترض

---

(٢٤) فريدريك وليم ـ أو غليوم الرابع ـ ملك بروسيا (١٧٩١ ـ ١٨٦١م) تولى الملك سنة ١٨٤٠ غير أنه لم يتكيف مع النظام البرلماني، وحدثت اضطرابات حملته على التنازل بالوصاية لأخيه غليوم الأول بعد ١٨٤٨م.

(٢٥) شيلزويغ وهولشتين: (SCHLESWIG-HOLSTEIN) مقاطعات جرمانية ـ ألمانية ـ عاصمتها كييل (KIEL) ومساحتها (١٥,٦٦٧ كيلومتر مربع) وتقع حالياً في ألمانيا الغربية.

(٢٦) غليوم ـ أو وليم الأول: (GUILLAUME 1er DE HOHENZOLLERN) ملك بروسيا =

على إرادة أخيه (فريدريك وليم ـ غليوم). حاول فريدريك وليم على كل حال، معالجة الاحباط الناجم عن موقفه، فوقع معاهدة مع ملوك (هانوفر) و(ساكسوني) تتضمن الموافقة على تنظيم مجلس تشريعي جديد، ويتم بموجبه اختيار (رئيس أعلى) يعاونه زملاؤه من أمراء الأقاليم، وذلك كحل بديل عن (الأمبراطور). وقد تمت الموافقة على هذا الحل الذي حمل عنوان (الاتحاد). غير أن اللحظة المناسبة للانتقال بهذا الحل إلى مجال التنفيذ كانت قد مضت وانقضت، لسوء حظ فريدريك وليم، ذلك لأن النمسا تمكنت خلال هذه الفترة من معالجة مشكلاتها، وتجاوزت أزمتها، وأمكن لها فصل (ساكسوني) و(هانوفر) عن (الاتحاد) فقسمت بذلك (جرمانيا) إلى قسمين متصارعين، أحدهما يدعم بروسيا والآخر يدعم النمسا، ووصل العداء بين القسمين إلى حافة الحرب عندما اجتاحت الاضطرابات (هيس كاسل). ولما لم يكن (فريدريك وليم) على استعداد أبداً لخوض غمار الحرب، فقد عمل في ٢٩ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٨٥٠م (ومن مدينة أولمتز) على التسليم طوعاً بكل مطالب النمسا، فتم حل الاتحاد، وباتت بروسيا ملزمة على الاعتراف بمجلس الدييت القديم ـ في فرانكفورت ـ وكانت الأيام التالية لذلك هي أسوأ أيام عاشتها بروسيا منذ (معركة يينا)(*).

حكم (كافينياك) فرنسا حكمًا ديكتاتورياً بعد نجاحه في القضاء على ثوره حزيران ـ يونيو ـ ١٨٤٨م. غير أنه فشل فى إقامة حكومة مستقره،

= (١٧٦٧ ـ ١٨٨٨م) أصبح ملكاً لبروسيا سنة ١٨٦١م خلفاً لأخيه فريدريك وليم الرابع إشتهر بالحزم والجرأة، اعتمد في الحكم على وريره (بسمارك). وأولى اهتماماً كبيراً للجيش. تحالف مع النمسا لسحق الدانمارك سنة ١٨٦٤م ثم وجه جيوشه ضد حليفه النمساوي، فهزمه في معركة سادوفا (سنة ١٨٦٦). وانتصر على فرنسا فانتزع منها الألزاس وقسمًا من اللورين (سنة ١٨٧١) وتم له في هذه الحروب الثلاث تحقيق وحدة البلاد الجرمانية. فتم تتويجه إمبراطوراً على جرمانيا فى قاعة المرايا في باريس (سنة ١٨٧١).

(*) معركة (يينا): (JENA) أو (IÉNA) مدينة ألمانية تقع على نهر السال (SAALE) وفيها انتصر نابليون بونابرت على البروسيين في سنة ١٨٠٦م.

ولهذا فعندما أجريت الانتخابات الرئاسية في ١٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٤٨ م. فاز عليه منافسه (لويس نابليون)[٢٧] وظهر بذلك الرجل الذي كان يتساءل (ويليعتون) عن وجوده، ويبحث عنه، قبل أشهر قليلة فقط من غير جدوى.

لقد عرف عن (لويس بونابرت) أنه نموذج للانتهازية السياسية، وكان كل همه هو الإفادة من هالة المجد التي صنعها عمه العظيم. ومما يذكر له وقوفه إلى جانب (المجلس الوطني) يوم أقدم هذا المجلس على اتخاذ إجراء ينفر منه الشعب الفرنسي نفوراً كبيراً، وهو إنقاص عدد الناخبين من تسعة ملايين إلى ستة ملايين. هذا على الرغم من أن (لويس بونابرت) كان قد نصب نفسه قبل عام أو عامين مدافعاً عن الحقوق الدولية، وها هو يقف الآن إلى جانب (المجلس الوطني) في شهر أيار ـ مايو ـ **١٨٥٠** مغتنماً الفرصة للإسراع بتدمير المجلس الوطني، وعندما قال له أحد المقربين إليه: «**ولكنك بدعمك للمجلس تعرض نفسك للهلاك معه**» أجابه نابليون الثالث بثقة: «**الأمر على النقيض من ذلك، فعندما يصل المجلس إلى حافة الهاوية، وهو معلق من رقبته، أقوم بقطع الحبل..**»، وهكذا، وبعد أن جرد المجلس الوطني من رصيده الشعبي، توجه نحو الكنيسة، فوعد رجالها بالرفاه. ووعد البورجوازية، بالترف، كما وعد العمال بالثروة، وقام بتوزيع (السيكار) و(النقانق) على الجنود. حتى أصبح في أنظار

---

(٢٧) لويس نابليون: (CHARLES-LOUIS-NAPOLEON-BONAPARTE) ابن لويس بونابرت ملك هولاندا، وهورتنس بوهارنية (HORTENSE-BEAUHARNAIS) ولد في باريس (١٨٠٨ ـ ١٨٧٣م) فهو ابن أخ نابليون بونابرت. عاش في بداية أمره حياة الشاب المغامر، حاول قلب نظام لويس فيليب مرتين (في ستراسبورغ سنة ١٨٣٦) وفي (بولوني سنة ١٨٤٠) بهدف تنصيب نفسه أمبراطوراً. غير أنه فشل، وألقي عليه القبض وحكم بالسجن مدى الحياة، غير أن الماسونيين ساعدوه على الفرار من سجنه (في هام HAM) والسفر إلى انكلترا. حيث عاد بعد ذلك إلى فرنسا بعد ثورة سنة ١٨٤٨م. ورشح نفسه على أنه ممثل الأفكار النابوليونية، والمدافع عن المبادىء والضامن للاستقرار والنظام.

الشعب بطلاً شعبياً، وحتى بات أبسط مواطن يقول عنه (أميرنا). وعندما انتهى من استعداداته المحكمة بدقة، أقدم يوم ٢ كانون الأول - ديسمبر - **١٨٥١** على قلب الحكومة، ولم تمض إلا سنة على ذلك حتى تم انتخابه باستفتاء شعبي (أمبراطوراً لفرنسا) باسم (نابليون الثالث).

عندما كان نابليون الثالث في إنكلترا يضع مخططه (للعرض العظيم) الذي يجري في (لندن) كتب عنه السيد (فيف) مايلي: «يظهر - نابليون - بأنه يمثل الرمز والرائد لعهد جديد في تاريخ الرجال، عهد يجب أن تتوقف فيه الحروب... هذا على الرغم من أن العهد الذي كانت تعيشه أوروبا يشير إلى أنها كانت تندفع نحو عصر الحرب. وجاء ربع القرن الثاني ليؤكد بأنه ما من قوة عظمى إلا واشتبكت في صراع مسلح مع منافسيها».

كانت (حرب القرم)(*) أول هذه الصراعات، وعلى الرغم من المزاعم القائلة بأن سبب هذه الحرب هي مطالبة لويس نابليون بحق مزعوم لفرنسا في حماية الأماكن المقدسة من (فلسطين)، إلا أن السبب الحقيق والخفي هو سياسة روسيا التوسعية، وسعي القيصر (نيقولا الأول)[٢٨] لفرض هيمنته على مضائق الدردنيل. وقد عملت الدولة العثمانية على ضمان دعم القوى الأوروبية لها قبل أن تعلن الحرب على روسيا في شهر تشرين الأول - أكتوبر - **١٨٥٣**م. وما لبثت إنكلترا وفرنسا

(*) القرم: (CRIMEE) وكانت قديماً تعرف باسم (طريق شرسونيس/CHERSONESE TAURIQUE) وهيَ شبه جزيرة تقع على البحر الأسود - جنوب روسيا، واشتهرت بالحرب التي جرت على أرضها. وضمتها روسيا إليها.

(٢٨) نيقولا الأول: (NICOLAS 1er) قيصر روسيا (١٧٩٦ - ١٨٥٥م) أصبح قيصراً سنة (١٨٢٥) استولى على أريفان (ERIVAN) من فارس - إيران - سنة ١٨٢٦. وتدخل بالثورة اليونانية ضد الدولة العثمانية في سنة (١٨٢٧ - ١٨٢٩) وذلك بالتعاون مع فرنسا وانكلترا. غير أن الفشل كان من نصيبه في حرب القرم (١٨٥٣ - ١٨٥٥). ساعد النمسا للقضاء على ثورة هنغاريا.

وسردينيا ـ بعد ذلك ـ أن وقفت إلى جانب الدولة العثمانية وانضمت إليها ضد روسيا (مع بداية سنة ١٨٥٤م) وقد جاءت (حرب القرم) لتضع حداً نهائياً لفترة السلم التي أعقبت (معركة واترلو) والتي استمرت طوال أربعين عاماً، وكانت نتائج هذه الحرب مدمرة بالنسبة لأوروبا، إذ وقعت في الفترة من سنة ١٨٥٦ حتى سنة ١٨٧٨ خمسة حروب عظمى كانت كلها تتصل بجذورها (بحرب القرم).

خرجت (روسيا) من (حرب القرم) وهي مستنزفة يائسة، بينما خرجت منها (بريطانيا العظمى) وقد اغتنت بغنائم الهند. بينما اكتشف (نابليون الثالث) فور انتهاء هذه الحرب، بأن هناك مؤامرة قد حبكت خيوطها ضده في لندن من أجل اغتياله على أيدي الثائر الشهير (أورسيني ـ فيليكس)(٢٩).

كان من نتائج هذه المحاولة أنها أحدثت قطيعة بين فرنسا وبريطانيا، وليس ذلك فحسب، بل إن الذعر الذي هيمن على (نابليون الثالث) دفعه إلى إقناع نفسه بأنه ما لم يحمل السلاح لدعم حركة التحرر الإيطالي، فإن المحاولات للإعتداء على حياته ستستمر، ونجم عن ذلك الحرب الفرنسية ـ النمساوية سنة ١٨٥٩م، وهي الحرب التي أحرزت فيها فرنسا نصراً (في معركة سولفورينو)(٣٠) وانتهت (بمعاهدة فيلافرانسا)(٣١) وضمت فرنسا إليها ـ بموجب هذه المعاهدة (سافوا) و(نيس) وتوحدت إيطاليا بكاملها ـ باستثناء (فينيتيا) و(روما) ـ تحت قيادة (فيكتور أمانويل).

---

(٢٩) أورسيني فيليكس: (ORSINI-FELIX) مغامر إيطالي (١٨١٩ ـ ١٨٥٨) حاول اغتيال نابليون الثالث، في يوم ١٤ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٨٥٨، غير انه فشل في محاولته وألقي عليه القبض، وحوكم، وحكم عليه بالإعدام، ونفذ فيه الحكم.

(٣٠) سولفورينو: (SOLFORINO) قرية إيطالية في إقليم مانتوا: MANTOUEقريبة من مينسيو (MIN-CIO) إنتصر فيها الفرنسيون على النمساويين يوم ٢٤ حزيران ـ يونيو ـ ١٨٥٩.

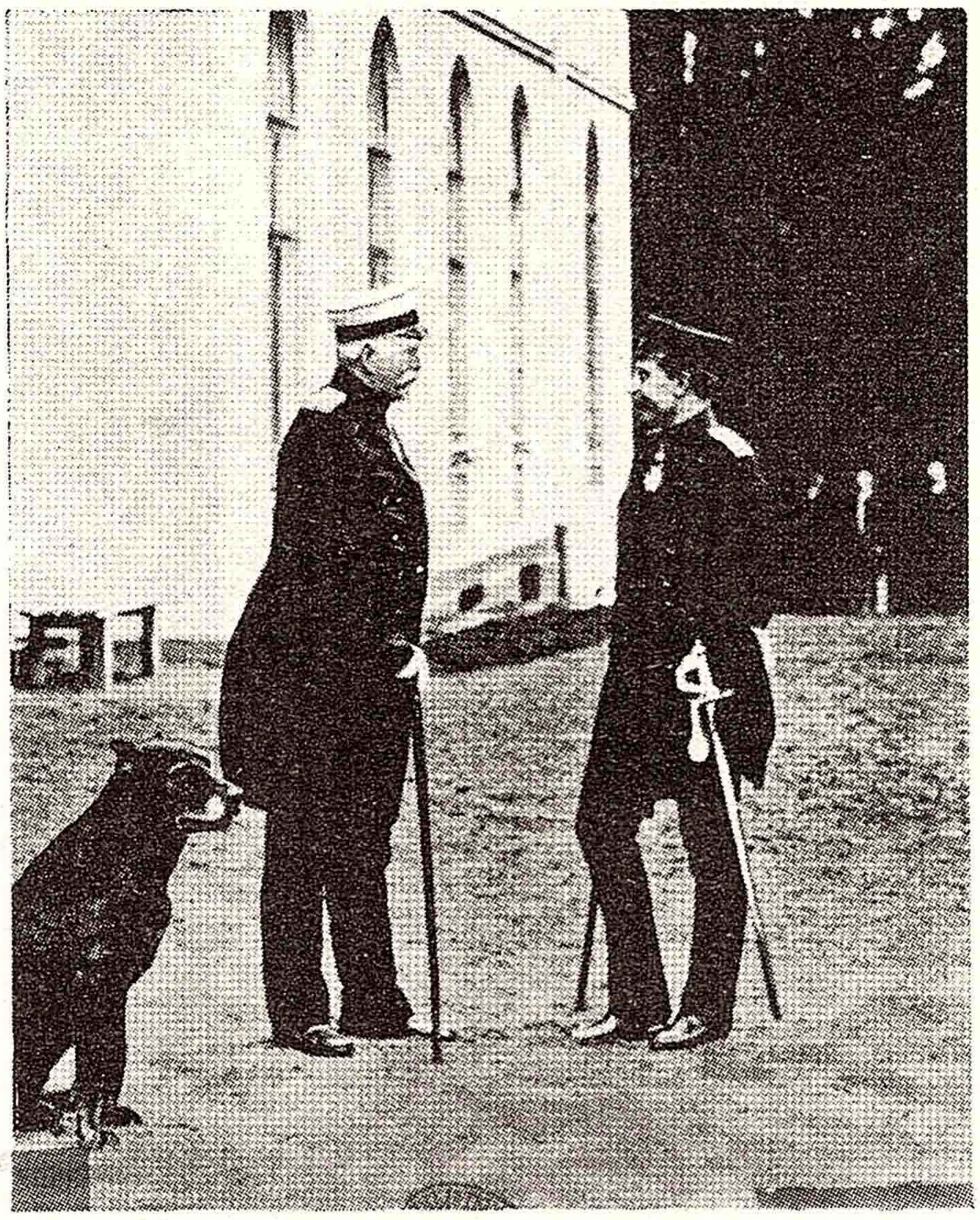
(٣١) فيلا فرانسا: (VILLAFRANCA) مدينة إيطالية تقع على نهر بو PÔ، حيث تقابل فيها نابليون الثالث مع الأمبراطور النمساوي في سنة ١٨٥٩، ووقعا على إتفاقية لوقف القتال بينهما.

ترافقت الحربان المذكورتان بمجموعة من التطورات المثيرة والهامة. فقد استخدمت مادة (الكلوروفورم) للمرة الأولى في (حرب القرم). وأخذت الصحافة في ممارسة دور مؤثر وحاسم على الرأي العام، وعلى الجيوش المتحاربة، سواء بسواء. وانطلق المراسلون الحربيون لمرافقه الجيوش للمرة الأولى في تاريخ الحروب. وعرض داعية السلام (جيمس كوان) استخدام وسائط الجر المدرعة والمجهزة بالمقصات (المناجل) لقص العشب. عبر خطوط مشاة العدو. كما عمل المهندس الجرماني (بوير) على بناء غواصة لروسيا أطلق عليها اسم (شيطان البحر). وأقدم (اللورد ديندونالد) على بعث مشروعه القديم الذي كان وضعه منذ سنة ١٨١٢م، باستخدام (السولفور الحارق) لخنق الحاميات المدافعة عن القلاع البحرية. وعلى الرغم من عدم تنفيذ هذا المشروع، إلا أنه توقع مايلي، «سيكون الغاز الخانق والسام سلاحاً في جملة الأسلحة المتفق على استخدامها في الحرب». واستخدم القطار ـ على نطاق واسع في الحرب، وللمرة الأولى، في سنة ١٨٥٩. كما استخدمت المدافع الرشاشة بأعداد وفيرة. وتم التوقيع على معاهدة جنيف الأولى في سنة ١٨٦٤ بسبب المعاناة الكبرى التي تعرض لها الجرحى في معركة (سولفورينو).

* * *



صورة رسمية للأمبراطور غليوم الأول



بسمارك مع الأمير غليوم الذي سيعرف بعدئذٍ باسم (غليوم الثاني)



بسمارك (١٨٧٧)



بسمارك (١٨٩٥)

٢ ـ الوضع الخاص في (بروسيا).

عرفت بروسيا فترة من العزلة والإحباط على أثر استسلامها الشائن والمخجل في (أولمتز)[٣٢] غير أن هذه الفترة من النكوص تحولت إلى انتعاش سريع بصعود (وليم ـ غليوم ـ الأول) للملك يوم ٢ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٨٦١م. وقد عرف عن (وليم الأول) منذ طفولته المبكرة انه خلق ليكون جندياً بطبعه ثم جاءت ثقافته العسكرية لتسهم في تطوير موهبته، وقد ظهر ذلك واضحاً عندما اشترك في معركة (آركيس ـ سير ـ أوب)[٣٣] ثم تأكد ذلك عندما تولى أمور الملك. فتضمنت كلمته الأولى مايلي: «**سيكون الجيش البروسي في المستقبل، هو الأمة البروسية المسلحة**» وقد جاءت هذه العبارة القصيرة لتقلب مصير أوروبا، ومستقبلها، ولتقلب معها مستقبل العالم ومصيره. وقد باشر (غليوم الأول) فور تسلمه لمقاليد الحكم، بإعادة تنظيم الجيش البروسي، حتى يجعل منه قوة حربية ضخمة، تضم (٣٧١) ألف مقاتل، تدعمها قوة احتياطية من (١٢٦) ألف رجل. مع قوة برية تضم (١٦٣) ألف رجل. وعين الكونت (فون رون)[٣٤] وزيراً للحرب. والكونت (فون مولكته) رئيساً لهيئة الأركان العامة. ثم عين في سنة ١٨٦٢ (أوتو ـ فون بسمارك) رئيساً لمجلس وزرائه.

وضع (بسمارك) أسس سياسة واضحة وبسيطة ومباشرة، هدفها إخراج النمسا من الأقاليم الجرمانية، وبما أن روسيا كانت قد خرجت من حرب القرم وهي في حاجة لفترة طويلة حتى تتمكن من استراداد

---

(٣٢) أولمتز: (OLOMOUC) وباللغة الألمانية (OLMUTZ)مدينة في تشيكوسلوفاكيا) إقليم (مورافيا) على نهر (مورافا). وتنازل فيها فرديناند الأول عن العرش سنة ١٨٤٨ على أثر ثورة فيينا.

(٣٣) آركيس سير أوب: (ARCIS-SUR-AUBE) تقع على نهر الأوب، وهي بلدة فرنسية اشتهرت بالمعركة التي شنها نابليون بونابرت على جنود الحلفاء.

(٣٤) فون رون: (VON ROON, EMILE) جنرال بروسي، ورجل دولة (١٨٠٣ ـ ١٨٧٩م) وعمل وزيراً للحرب، أسهم مع (بسمارك) في صنع الوحدة الألمانية.

قوتها، وبما أن (فرنسا) كانت رغم قدراتها الجبارة، منصرفة لمتابعة مشاريعها الحمقاء التي لا طائل تحتها في (المكسيك)، فقد ظهر أن الطريق أمام (بسمارك) ممهدة للسير في مشاريعه، فقرر المضي لتنفيذ سياسته، واغتنام أول فرصة سانحة. وقد توافرت له هذه الفرصة بسرعة (سنة ١٨٦٣) عندما صعد (شارل التاسع) لسدة الملك الدانمركي، فمضت الوحدات الساكسونية والهانوفرية نحو (هولشتين)(٣٥) وقامت باجتياحها. وتقدم (بسمارك) إلى (النمسا) وطلب إليها الانضمام معه لضمان السلم، ونجح في ذلك؛ فوقعت الحرب في سنة ١٨٦٤، على إقليمي (شيلزويغ) و (هولشتين) وهي الحرب التي انتهت في تشرين الأول - أكتوبر - بمعاهدة فيينا - التي وضعت الإقليمين تحت هيمنة (النمسا) و (بروسيا).

وضع (بسمارك)(٣٦) حساباته الدقيقة والصحيحة، فقدر أن (شيلزويغ وهولشتين) ستكون هي محور الصراع المقبل مع النمسا. ونتيجة لذلك. فقد قرر عزلها عن طريق قطع الوعود (لنابليون الثالث) بإطلاق يده في (بلجيكا) أو قسم من أقاليم (رينان) وذلك

---

(٣٥) هولشتين: (HOLSTEIN) دوقية قديمة، ودولة من الدول التي شكلت الاتحاد الجرماني. ألحقت في بروسيا سنة ١٨٦٤ مع سليسفيغ (SLESVIG) وهي في ألمانيا الغربية حالياً.

(٣٦) بسمارك: (PRINCE DE BISMARCK, OTTO) رجل دولة بروسي (١٨١٥ - ١٨٩٨) عينه ملك بروسيا، غليوم الأول، رئيساً لوزرائه، فكان واحداً من مؤسسي الوحدة الألمانية. انتزع من الدانمارك أقاليم شيلزويغ وهولشتين. وأعطى بروسيا بنتيجة معركة (سادوفا) المكانة التي كانت تحتلها النمسا بين الدول الجرمانية. ثم انتقل للصراع مع فرنسا فمهد الظروف السياسية للحرب البروسية - الفرنسية، وانصرف بعدذ لك لدعم مكانة اللأمبراطورية، وعمل على توجيه الدولة توجيهاً اشتراكياً بهدف اكتساب الطبقة العاملة فيها. وحدد سياسته الخارجية على أساس عزل فرنسا عن أوروبا، فأقام مع النمسا ومع إيطاليا (الحلف الثلاثي). وما نبث أن حول ألمانيا إلى إمبراطورية استعمارية، غير أنه اضطر للاعتزال - مكرهاً - وذلك بعد تولي (غليوم الثاني) أمور الأمبراطورية بفترة قصيرة. وكان السبب في ذلك تعاظم نفوذ بسمارك وهيبته وتحديه للأمبراطور (غليوم الثاني) الذي أكد على قدرته، بعزل بسمارك، رغم ما كان يمتلكه من رصيد شعبي هائل، وعندما اقترب (بسمارك) من نهاية حياته، أوصى بدفنه من غير مراسم. وكان مما قاله: «لا أريد كذباً رسمياً على قبري».

مقابل قيامه بإقناع النمسا ببيع (فينيتيا) إلى إيطاليا. وكان (بسمارك) على قناعة تامة برفض النمسا لهذه الصفقة. وفي الوقت ذاته، وحتى يقوم بإزعاج النمسا وإثارة غضبها، فقد عمل على إعادة طرح قضية (الاتحاد الجرماني). وبما أن النمسا لم تكن مستعدة للخروج من (فينيتيا) فقد مضت بروسيا في طريقها ووقعت مع إيطاليا في يوم ٨ نيسان ـ إبريل ـ ١٨٦٦ م. معاهدة هجومية ـ دفاعية. ووقف (نابليون الثالث) يرقب تجمع الغيوم العاصفة، معتقداً بأن الوقت قد حان لإلغاء معاهدات سنة ١٨١٥م، فعرض على (بروسيا) الانضمام إليها، ودعمها بقوة (٣٠٠) ألف جندي، مقابل حصوله على أقاليم (رينان). غير أن (بسمارك) لم يكن راغباً في إشراك فرنسا في مشاريعه، لاسيما وأن إيطاليا قد باتت في قبضته وتحت رحمته، ولهذا فقد أصدر أوامره إلى قواته الموجودة في (هولشتين) للاشتراك في الصراع. وفي يوم ١٢ حزيران ـ يونيو ـ قطعت النمسا علاقاتها الديبلوماسية مع (بروسيا). واندلعت الحرب التي لم تكن حرباً عدوانية بكل ما تحمله هذه الكلمة من المعاني، كما إنها لم تكن حرب غزو وفتوح، وإنما كانت حرباً تصحيحية ـ ديبلوماسية. ولهذا فإن بروسيا لم تكن راغبة في إذلال النمسا أو اضعافها، وإنما كان هدفها محدداً بإقناع النمسا بأن الروح الوطنية في جرمانيا هي روح حية متوثبة تشكل قوة متعاظمة مطلبها تحقيق الوحدة. وقد وضع (بسمارك) سياسته على هذا الأساس، فكان هدفه عدم تحويل (النمسا) إلى عدو حاقد، لأنه كان يعرف بأنه سيأتي يوم تقف فيه بروسيا في مواجهة فرنسا. وستكون بروسيا عندئذٍ في حاجة لوضع النمسا على الحياد. ومقابل ذلك، فقد كانت أسباب الصراع مع فرنسا مغايرة لما كانت عليه مع النمسا. فقد كانت بروسيا مصممة كل التصميم على توحيد كل الدول والإمارات الجرمانيه تحت قيادتها، في الوقت الذي كانت فيه فرنسا مصممة أيضاً على منع إقامة هذه الوحدة. ويجب أن يضاف إلى ذلك العداء القديم والتقليدي بين

الغول (جدود الفرنسيين) والتيوتون (جدود الجرمان). حتى إنه قد يكون من الصعب العثور على كيانين متجاورين بينهما من سوء الجوار، ومن درجة العداء، ما كان بين هؤلاء (الغول)(٣٧) و(التيوتون)(٣٨). وقد عاشت رواسب الأحقاد حتى وقت متأخر بحيث ان القوات الفرنسية قامت باجتياح البلاد الألمانية ـ الجرمانية ـ أكثر من (١٤) مرة خلال الفترة من سنة (١٦٧٥م) وحتى سنة (١٨١٣م). أي بمعدل غزوه في كل عشرة أعوام. وإلى جانب ذلك فقد بقيت فرنسا على امتداد مئات السنين وهي تمارس دور (الأمة العظمى) و(الشعب العظيم) و(القدرة المهيمنة) على أمور أوروبا وشؤونها. وقد بات ينتابها خوف ضمني من انحلال مجدها وانحسار عظمتها، فباتت شديدة الحساسية وذات مزاج سيىء تعبر عنه بشدة الغضب (الحماقة). وزاد من سوء موقفها انفجار الثورة الفرنسية، إذ أخذ مهندسو السياسة الأوروبية في التحرك المستمر ضدها منذ سنة ١٧٨٩م. وانتقلت السلطة فيها من البلاط والملوك إلى الديماغوجيين ورجال المجالس النيابية الذين كانوا مثلهم كمثل كرة المضرب حيث يتقاذفها الشعب من جهة والصحافة من جهة مقابلة، وفتح بذلك المجال للصراع على امتلاك الثروات

---

(٣٧) الغول: (GAULE) هم من الشعوب البرابرة التي استقرت في منطقتين متميزتين: منطقة شرق الألب حتى شمال إيطاليا. ومنطقة غرب الألب (ما بين الألب وجبال البيرينه والمحيط الأطلسي ونهر الراين) حدود فرنسا حالياً ـ تقريباً ـ حيث استقر في هذه المنطقة عدد من القبائل والشعوب المتناصرة. (الأبير والكيمري. وجاء الفتح الروماني ليدمج هذه الشعوب كلها، إذ استولى يوليوس قيصر على بلاد الغول في الفترة من ٥٨ إلى ٥٠ ق. م. وجاء القيصر (أوغست) فقسم بلاد الغول إلى أربع مناطق (ناربون واكيتانيا وليون والبلجيك). وبقيت بلاد الغول من أهم البلاد التي تعتمد عليها الأمبراطورية الرومانية، فعاش الغول تحت الحكم الروماني فترة من الترف الواسع. وقام الرومان بحمايتهم للغول ضد هجمات الجرمان وغزواتهم، ونظموا لهم شبكات الطرق والخدمات العامة، وأقاموا المدن الضخمة: «مثل ليون وآرل وتولوز وبوردو وأورليان الخ» ثم اجتاحتهم في القرن الخامس الميلادي شعوب (الفيزقوط أو القوط ا لغربيين) و(البورغونديون) و(الفرانس) الذين بقوا هم العنصر المهيمن (العرق).

(٣٨) التيوتون: (TEUTONS) الشعب الجرماني القديم، تعاون مع (السيمبر. CIMBRES) لاجتياح بلاد الغول. غير أن القائد الروماني (ماريوس) مزقهم شر ممزق سنة ١٠٢ ق. م، بالقرب من (أكس ـ آن ـ بروفانس AIX-EN-PROVENCE).

الضخمة والاستثمارات الصناعية. وكانت هذه الأسباب كلها من الأسباب غير المباشرة التي وضعت فرنسا في موضع العداء المستحكم ضد تطلعات بروسيا وأهدافها. وقد عرف (بسمارك) هذه الحقيقة جيداً، فأخذ يحدد سياسته بوضوح، منتظراً توافر الأسباب المباشرة لتطوير الصراع البروسي ـ الفرنسي.

٣ ـ مدرسة الحرب البروسية:

تحققت الوحدة الألمانية بفضل التوازن المحكم بين الصراع السياسي الذي اضطلع به (بسمارك) والصراع المسلح الذي اضطلع به (فون مولتكه) غير أنه من المحال التصديق بأن ذلك الجهاز العسكري الضخم قد برز مباغتة إلى الوجود ليلحق الهزيمة بأكبر الجيوش الأوروبية وأوفرها عدداً وعتاداً ـ الجيش الفرنسي بعد الجيش النمساوي ـ ومن هنا فقد يكون من المناسب التوقف قليلاً عند (مدرسة الحرب البروسية). وفي الواقع، فقد تباعدت (بروسيا) عن الاشتراك الإيجابي في الحروب الأوروبية طوال نصف قرن كامل من عمر الزمن ـ بعد صلح فيينا ـ. وعندما ظهر الجيش البروسي وهو أكبر قوة في القارة الأوروبية، كان قد مر بمرحلتين من غير أن يخوض خلالهما أية تجربة عملية في الحرب. في حين كانت الجيوش الروسية والنمساوية والإفرنسية والإنكليزية تخوض حروباً متتالية. على أن الأفضلية التي توافرت للجيش البروسي في العقد السادس من القرن التاسع عشر إنما كانت بسبب تنظيمه وتدريبه في أيام السلم، ثم بسبب الدراسة النظرية للحرب، هذه الدراسة التي وصلت إلى الكمال في نصف القرن الذي سبق معركتي (سادوفا) و(سيدان). وإذا كان الجيش البروسي مديناً بوجوده للأمبراطورين (فريدريك الكبير) و(نابليون بونابرت) فإنه مدين بأفكاره وتوجهاته إلى الكاتب والمنظر (كارل فون

كـلاوزفيتز). وهـو مدين أيضـاً في تطوره للمصلحـين العسكريـين (شارنهورست) و (جينيسناو).

لقد خلف (فريدريك الكبير)[٣٩] وراءه ذكريات مجيدة لانتصارات رائعة هي من أهم الضروريات التي يمكن أن يفخر بها جيش في مرحلة نشوئه وتطوره، وأن يستمد منها أفراده جملة الفضائل الحربية التي تبعث الثقة بالنفس. وبالإضافة إلى ذلك، فقد غرس (فريدريك) في خلفائه العسكريين المعرفة بأنه حتى في فترات السلم، يجب أن ينصرف الجيش كله إلى العمل العنيف والشاق والمتواصل، وإن المعارك إنما تكسب أولاً على أرض التدريب. ومما لا شك فيه أن الجيش البروسي كان يهتم اهتماماً يفوق الحد بدقائق الحياة العسكرية، حتى ما كان منها يظهر على أنه بسيط ولا قيمة له، الأمر الذي عدلت من توازنه آصلاً العبقرية الإستراتيجية للملك (فريدريك الكبير) والذي لم يدرب جيلاً من الإستراتيجيين الشبان، وإنما ترك هذه المهمة لرجل الغزو الأجنبي (نابليون بونابرت) الذي ذكرالبروسيين بالدور الحاسم الذي تمارسه الإستراتيجية في تصنيع الحرب وإدارتها وتحديد نتائجها.

ما إن تذكر (الحروب النابوليونية) حتى يبرز اسم (كلاوزفيتز)[٤٠] في طليعة من تعلموا منها، وأفادوا من تجربتها. وكان (كلاوزفيتز) قد

---

(٣٩) فريدريك الكبير: (FREDERIC II, LE GRAND) ملك بروسيا، وهو من مواليد مدينة (برلين) عاش في الفترة (١٧١٢ ـ ١٧٨٦م) تولى أمور الملك سنة (١٧٤٠م) واشتهر بكفاءته القيادية العسكرية، وقدرته الإدارية، وإليه يعود فضل تأسيس بروسيا وإظهار قدرتها كقوة عظمى. ضم سيليزيا إلى بلاده في معركة (مولوميتز سنة ١٧٤١م) وتحالف مع إنكلترا. وأمكن له تحقيق نجاح رائع في مقاومته للتحالف النمساوي ـ الروسي ـ الفرنسي خلال حرب السبع سنوات، والتي كان من أبرز معاركها: (روز باك ولوثن وزورندورف). وأعاد بعد ذلك تنظيم بلاده، وحصل على قسم من بولونيا عندما تم تقسيمها للمرة الأولى (١٧٧٢م). وكان من المشجعين للأدب والأدباء والفن والفنانين (صدر كتاب عن حياته وأعماله في هذه المجموعة من مشاهير قادة العالم).

(٤٠) كلاوزفيتز: (CLAUSEWITZ, KARL VON-) جنرال بروسي (١٧٨٠ ـ ١٨٣١م).



فون كلاوزيفتز (١٧٨٠ - ١٨٣١)

مارس الخدمة العسكرية في عمر مبكر أثناء حملة الراين (عام ١٧٩٣ - ١٧٩٤م) ومكنه العمل المتواصل في السنوات التالية والتي مرت في سلم، من التقدم إلى (أكاديمية برلين العسكرية لصغار الضباط) عام ١٨٠١م، وأن يلتحق بها. وهنا استرعى انتباه (شارنهورست) الذي تولى بعد ذلك إعادة تنظيم الجيش البروسي. وفي هذه السنوات أيضاً إتصل (كلاوزفيتز) بفلسفة (كانت) وتأثر بها، وبأسلوبها، إلى حد بعيد. وخدم (كلاوزفيتز) في حملة عام ١٨٠٦ برتبة نقيب (كابتن) وعمل مرافقاً (ياوراً) لأميربروسي. وأسر بعد معركة (أوشتادت) وقضى أكثر من سنة في فرنسا وسويسرا. وعند عودته إلى (بروسيا) عمل مساعداً لأستاذه وقائده (شارنهورست) وقام بدور هام في إصلاح جهاز الحكومة البروسية وإعادة تنظيم الجيش البروسي. وعندما أرغمت بروسيا (في العام ١٨١١م) على التعاون العسكري مع (نابليون) استعار (كلاوزفيتز) اصطلاحاً عرفه العصر الحديث، هو اصطلاح (البروسيون الأحرار) واتجه إلى خدمة (روسيا القيصرية). وأصبح (كلاوزفيتز) يحمل رتبة عقيد - كولونيل - في الجيش الروسي، عندما بدأت حروب التحرير في سنة ١٨١٣م. وقد عمل في البداية ضابطاً للاتصال في رئاسة (الجنرال بلوخر)[٤١] ثم عمل رئيساً لهيئة أركان الحرب الفرقة الروسية - البروسية. ولم يعد (كلاوزفيتز) للجيش البروسي إلا بعد صلح باريس الأول، حيث تم تعيينه رئيساً لهيئة أركان حرب الفيلق الذي اشترك سنة ١٨١٥ في معركة (ليني)[٤٢] و(ويفر)[٤٣] وقد كانت المعركتان فاشلتين بالنسبة

---

(٤١) بلوخر: (BLUSHER, GEBHARD LEBERECHT, VON) جنرال بروسي (١٧٤٢ - ١٨١٩) برز اسمه أثناء حملة الحلفاء على فرنسا سنة ١٨١٤م. وقد تمكن نابليون بونابرت من إلحاق الهزيمة به في معركة ليني، غير إنه تمكن من مجابهة المأزق وتقديم الدعم للجنرال ويلينغتون.

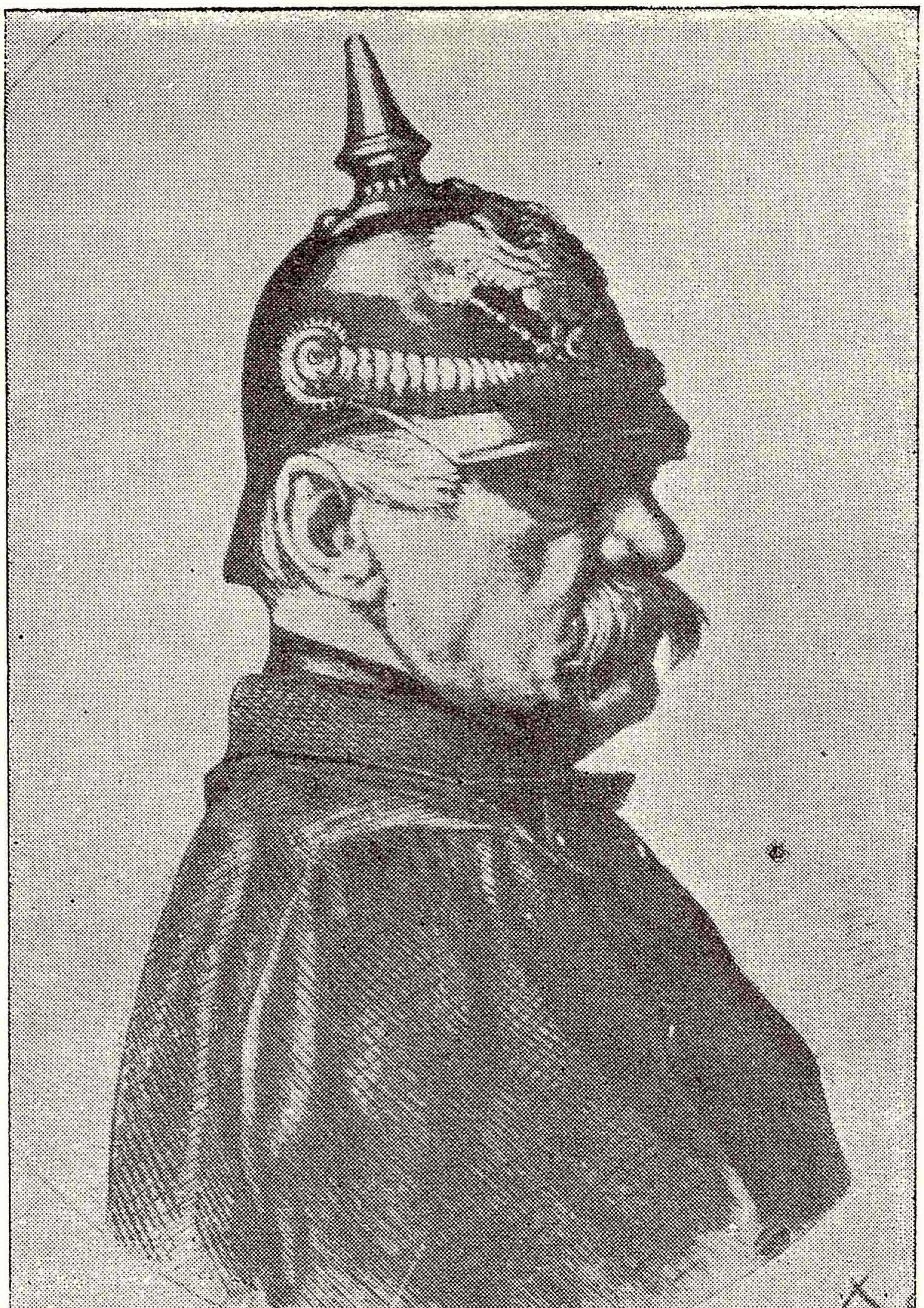
(٤٢) ليني: (LIGNY) مدينة بلجيكية في إقليم نامور: NAMUR. وفيها ألحق نابليون بونابرت الهزيمة بالقوات البروسية وقائدها بلوخر يوم ١٦ حزيران - يونيو - ١٨١٥.

(٤٣) ويفر (WAVRE) وباللغة الفلامنكية (WAVER)مدينة بلجيكية في إقليم برابان (BRABANT) =

للبروسيين من الناحية التعبوية ـ التكتيكية ـ إلا أنهما مهدتا من الناحية الإستراتيجية الطريق أمام النصر الحاسم في (واترلو).

لم يشترك (كلاوزفيتز) اشتراكاً مباشراً في معركة واترلـو. إلا أن أحداث هذه الفترة اتصلت بحياته اتصالاً وثيقاً. إذ بقي (كلاوزفيتز) طوال سنوات عديدة وهو في قلب الأحداث الهامة المختلفة غير أنه كان يبتعد عنها بصورة من الصور، فكانت تتوافر له دائماً في غمرة الصراع المرير، والعنيف، حالة من الصفاء الذهني ـ العقلي ـ وإنتاج الأفكـار ذات الاتجاهات السليمة، فلما عاد السلم من جديد، أخذ دوره في الحياة يتحول تدريجياً، ليجعل منه، مراقباً للأحداث ومنظراً لها: يجمع الحقائق بعضها إلى بعض، ويحللها، ويخرج منها باستنتاجات محددة. وهكذا، انصرف من سنة ١٨١٨ حتى سنة ١٨٣٠ لإدارة الأكاديمية العسكرية في برلين. وكان عمله يحرمه من ممارسة أي تأثير في تدريب الضباط البروسيين، وأفاد من ذلك للتفرغ لمشروعه الضخم في الكتابة العسكرية التي تلخص تجارب عصره. وقد احتلت كتاباته هذه، التي لم تظهر للنور إلا بعد وفاته، حيزاً هاماً في تاريخ (الفكر العسكري) وخاصة منها كتابه الشهير (في الحرب) الذي بقي المرجع الأساسي لقادة الحرب وتلاميذها طوال القرن التاسـع عشر، ذلـك لأن هذا الكتاب كان أول دراسة للحرب تمسك إمساكاً تاماً بأهداف الموضوع الذي تتصدى لمعالجته. وعلى الرغم مما يحتويه الكتاب من أقسام كبيرة قد تجاوزها الزمن، إلا أن هناك أقساماً أخرى تشكل قاعدة فكرية أساسية تشمل فن الحرب في كل عصور التاريخ. وتجدر الإشارة إلى تلك الصعوبة الكبرى التي صيغت بها أفكار الكتاب، نتيجة تأثر كاتبه بالفلسفة الميتافيزيقية، الأمر الذي جعل الكتاب هدفاً للهجوم من قبل

= وقعت فيها معركة بين القوات الفرنسية التي كان يقودها غروشي: (GROUCHY) والقوات البروسية يوم ١٨ حزيران ـ يونيو ـ ١٨١٥.



DE ROON, MINISTRE DE LA GUERRE EN PRUSSE

دي رون وزير حربية ألمانيا
١٨٠٣ - ١٨٧٩

عدد من الكتاب العسكريين في العالم، كما أن التعقيد الكبير في أسلوب الكتابة، أدى إلى ظهور تفسيرات متناقضة لها، ولعل أبرز من تصدي للهجوم على (كتابات كلاوزفيتز) هو معاصره (هنري جوميني)(٤٤) الذي قال عندما فرغ من قراءة (فن الحرب ـ لكلاوزفيتز) مايلي: «يوجد في هذا الأخطبوط العلمي قليل من الأفكار التي تسترعي الانتباه... وقد كان بالمستطاع أن تكون هذه الأفكار أكثر نفعاً لو أن كاتبها عالج الموضوع بغير هذه الطريقة. إنه ككاتب يهدف إلى التعليم، قد أثار من الشكوك أكثر مما أوضح من حقائق. وهو كمؤرخ ناقد، كان مقلداً فيما عدا القليل الذي كانت فيه بعض الأصالة. إن أولئك الذين قرؤوا كتابي عن حملة ١٧٩٩ والذي نشر قبل كتاب كلاوزفيتز بعشر سنوات لن ينكروا ما أقوله من أنه لا يوجد إنعكاس فكري واحد لي، لم يكرره هو في كتابه». ولقد استمرت الانتقادات الحادة والمتناقضة لنظريات (كلاوزفيتز) وآرائه طوال أكثر من قرن من الزمن، وليس ذلك إلا دليلاً على مدى تأثير كتابات كلاوزفيتز في الفكر العسكري، وعمق هذا التأثير، وقد كتب ناقد أمريكي هو (هوفمان نيكرسون)(*) مايلي: «إتجه العسكريون منذ أيام كلاوزفيتز، اتجاهاً عنيداً نحو فكرة ممارسة الحرب بعنف وقسوة. ألم يكن كلاوزفيتز هو الداعي ـ الهادي ـ إلى الحشود الكبيرة؟ ألم يكن هو الذي قدم النظريات التي تؤكد ضرورة الحصول على التفوق بالقوى؟» وهذا ما أكده الكاتب العسكري البريطاني (ليدل هارت)(**) بقوله: «لقد انتشى قادة النصف الثاني من القرن التاسع عشر» بخمرة

---

(٤٤) هنري جوميني: (JOMINI — HENRY) قائد من أصل سويسري (١٧٧٩ ـ ١٨٦٩م) عمل في هيئة أركان حرب الجيش الفرنسي ولما يكن قد تجاوز السابعة عشرة من عمره، ووصل إلى رتبة لواء، ثم انتقل في سنة ١٨١٣ للخدمة في الجيش الروسي حيث منح رتبة جنرال حتى وفاته. تميزت كتاباته بعمق الفكرة وبساطة الأسلوب (وجمعت في ٢٧ مجلداً).

(*) REF: HOFFMAN NICKERSON (THE ARMED HORDE) NEW-YORK, 1940 P. 52

(**) LIDDELL HART (THE GHOST OF NAPOLEON) LONDON, 1933 P. 21.

الدم الأحمر الذي أنبته كلاوزفيتز».

مهما كان عليه الموقف، فالأمر الذي لا يقبل الجدل والنقاش هو أن كتابات (كلاوزفيتز) قد تركت أثراً عميقاً في مدرسة الحرب البروسية. وقد ظهر هذا الأثر واضحاً في الحرب البروسية ـ الإفرنسية (١٨٧٠ ـ ١٨٧١م) كما انه امتد ليؤثر في الحرب العالمية الأولى وحتى الحرب العالمية الثانية. وهذا ما أكده (الكونت فون شليفن)[٤٥] بقوله: **«لقد أبقى ـ كلاوزفيتز فكرة الحرب الحقيقية حية في أذهان الضباط البروسيين» ولقد سئل (الجنرال فون مولتكه) مرة عن أحب الكتب إليه، فأجاب: «الانجيل، والياذة هوميروس، وعجائب السماء للكاتب ليترو، ورسالة عن الكيمياء الزراعية لكاتبها ليبيج، ثم في الحرب لكاتبه كلاوزفيتز».**

لقد وضع (كلاوزفيتز) أفكاره في وقت كانت (النزعة البروسية) تمارس دورها في التأثير على التفكير السياسي والعسكري، فتصدى لها، ووقف ضدها، باعتبار أن هذه (النزعة البروسية)[٤٦] تتناقض مع متطلبات الاتحاد الجرماني. الأمر الذي دفع إلى وصفه بأنه: «كان ألمانياً أكثر من الألمان». وفي الوقت ذاته، فإنه تصدى لفكرة (جنون

(٤٥) شليفن: (SCHLIEFFEN, ALFRED VON) قائد بروسي (١٨٣٣ ـ ١٩١٣م) كان له دور بارز في الحرب البروسية ـ الفرنسية ١٨٧١م. وعين رئيساً لهيئة أركان الحرب الألمانية عام ١٨٩١ وظل يشغل هذا المركز حتى سنة ١٩٠٥. وله يعود فضل تطوير التدريب في الجيش الألماني، كتب كثيراً من الدراسات العسكرية، وعلى الأخص رسالته عن معركة (كاني) التي يعبرها المثل الكامل والعملي لتطويق جناحي العدو، وتدميره، وقد وضع مخططه الكامل للحرب ضد فرنسا وحلفائها على هذا الأساس. وقد فشل الألمان في تطبيق هذا المخطط سنة ١٩١٤، لا بسبب قصور المخطط وإنما بسبب ضعف قواتهم على جناحهم الأيمن. فعادوا إلى تطبيق هذا المخطط سنة ١٩٤٠ بعد تعديله على أساس تطوير حرب الحركة (الحرب الخاطفة) واستخدام البعد الثالث (الفضاء) لزج القوات من الجو.

(٤٦) النزعة البروسية (PRUSSIANISM) هي نزعة كانت تستند إلى فكرة سيادة بروسيا ووضعها في مركز الصدارة من الأمبراطورية الجرمانية ـ الألمانية ـ وبقي لبروسيا طابع استقلالي مميز وسط المجموعة التي تشكل ألمانيا الكبرى. وظل هذا الوضع سائداً حتى ثورة ١٩٣٣. وقضى انتصار النازية على هذه النزعة.

المعركة)[٤٧] وهي التهمة التي كانت تلصق بالقادة الذين يبحثون عن المعركة. وعمل على تحديد مفاهيم الحرب، وذلك على ضوء تجارب الحروب النابوليونية، وعلى أساس تطورات التسلح.

لقد طبعت كتابات (كلاوزفيتز) في الشؤون العسكرية، وإدارة الحرب، وصدرت في عشرة مجلدات غير أن كتابه (في الحرب) بقي أشهر مؤلفاته. وتقسم دراساته إلى ثمانية كتب يُعنى أولها (بدراسة طبيعة الحرب) ويعنى ثانيها (بنظرية الحرب) ويناقش كلاوزفيتز في الكتاب الثالث (الإستراتيجية) ويتحدث في الكتاب الرابع عن (المقاتلة). ووقف الكتابين الخامس والسادس على الحديث عن (القوات المسلحة) و(الدفاع) ثم جاءت في الكتابين الأخيرين السابع والثامن كل الصور الأولية - التمهيدية - لمناقشته (للهجوم) و(خطة الحرب).

قد يكون من الصعب، إن لم يكن من المحال، اختصار ماكتبه (كلاوزفيتز) بهدف التعريف به أو بهدف إبراز مدى تأثيره في (مدرسة الحرب البروسية) بل وحتى في (الفكر العسكري العالمي).

لقد عرف (كلاوزفيتز) الحرب: «بأنها شكل من أشكال العنف يستهدف إكراه الخصم على فرض إرادتنا» و«العنف إذن هو الوسيلة، أما الغاية فهي فرض إرادتنا على الخصم. وليس هناك من حدود للتعبير عن هذا العنف» و«**إننا لا نحب أن نسمع عن قادة ينتصرون دون سفك الدماء. وإذا كانت المعارك الدامية مخيفة المنظر، فإن هذا يجب أن يكون السبب في أن نقدر الحرب حق قدرها، لا أن نسمح**

---

(٤٧) جنون المعركة: هو اصطلاح كان سائداً في القرن الثامن عشر، وهدفه كسب الحرب بالمسيرات والمناورات وتجنب سفك الدماء، وحصر القتال في حدود ضيقة. وكان هذا في الواقع اتجاها مضاداً للقادة الذين يهيمن عليهم (جنون المعركة) فيسرعون للإلتحام بالعدو والاشتباك معه، من غير تقدير للخسائر، ومن غير أي اعتبار لكسب الحرب عاجلاً أم آجلاً.

لسيوفنا أن لا تكون حادة، أو أن تصدأ بمرور الأيام بعامل الإنسانية، حتى يشب فرد ما، ويقطع بسيفه الحاد أذرعتنا عن أجسامنا». «وليست المعركة، على كل حال، مجرد قتل متبادل. وينصب تأثيرها على قتل الشجاعة أكثر من إبادة مقاتلي العدو... ولكن هذا لا يمنع الدم من أن يكون ثمن المعركة» وفي مجال العلاقة الجدلية الثابتة بين الحرب والسياسة، كتب (كلاوزفيتز) مايلي: «**إننا نرى أن علينا في كل الظروف، إعتبار الحرب أداة سياسية**، لا شيئاً مستقلاً، بحد ذاته... ونحن نعرف أن العلاقات السياسية بين الحكومات والأمم هي التي تؤدي إلى الحرب. ونتصور أحياناً أن هذه العلاقات تنقطع مع اندلاع الحرب... غير اننا نؤكد بأن الحرب لا تشكل شيئاً سوى استمرار العلاقات السياسية بمعونة وسائل جديدة أخرى... وان الخيوط الرئيسية التي تجري عبر أحداث الحرب، والتي ترتبط بها ليست سوى خيوط سياسية تتابع مسارها عبر الحرب حتى تحقيق السلم... **وان تعلق الحرب بالسياسة يجعلها تأخذ بالضرورة صفتها. فإذا كانت السياسة عظيمة قوية، كانت الحرب كذلك، وقد تبلغ في بعض الحالات ذروتها حيث تأخذ شكلها المطلق..**».

عالج (كلاوزفيتز) مبادىء الحرب بقوله: «إن المبدأ الأول هو إعادة وزن القوة المعادية، وتجزئتها إلى مراكز ثقل عديدة قدر المستطاع، وإلى مركز ثقل واحد إن أمكن. ومن ثم تحديد الهجوم ضد مراكز الثقل هذه إلى عدد من الهجمات الرئيسية العديدة قدر المستطاع. وإلى هجوم رئيسي واحد إذا ما أمكن، وأخيراً إبقاء كل الهجمات الثانوية تابعة لها بقدر الإمكان. أي أن المبدأ الأول هو التجمع ما أمكن. والمبدأ الثاني: هو العمل بأكبر سرعة ممكنة، وعدم السماح للعدو بأية مهلة. أو تحول، دون سبب وجيه جداً... فإذا ما تضافر هذان المبدآن، فإنهما يتيحان تشابهاً كبيراً مع حكمة نابليون القائلة: في فن

الحرب، كما في علم الميكانيك، **يعتبر عامل الزمن هو أكبر العناصر بين الوزن والقوة»** ومن ثم، فقد صاغ (كلاوزفيتز) بقية مبادىء الحرب: «أ ـ قهر الجيش المعادي وتدميره. ب ـ الاستيلاء على موارد العدو المادية، وموارد وجود الجيش المعادي الأخرى. ج ـ كسب الرأي العام. ولتحقيق الهدف الأول، يوجه القائد دوماً عمليته الرئيسية ضد الجيش الرئيسي للعدو، الذي ينبغي أن يهزم قبل هزيمة الهدفين الآخرين. وللاستيلاء على الموارد المادية للعدو، يوجه القائد عملياته إلى النقاط التي تتركز فيها هذه الموارد: «العواصم والمستودعات والمواقع المحصنة الكبرى» الخ ويحدد كلاوزفيتز مبادىء الحرب بما يلي: «**المحافظة على الهدف واستمرار التقدم نحوه. ٢ ـ أمن العمل. ٣ ـ الحركية. ٤ ـ إستخدام القوة الهجومية. ٥ ـ الاقتصاد بالقوى. ٦ ـ حشد القوى. ٧ ـ المباغتة**».

تلك هي ومضات خاطفة مما قدمه (كلاوزفيتز) للفكر العسكري البروسي. أما التطور الحقيقي فقد جاء على يد إثنين من المصلحين هما: (شارنهورست) و (جينيسناو).

عرف المصلحان العسكريان البروسيان أن أساليب الحرب الحديثة إنما هي إيضاح للتطورات الاجتماعية والسياسية العميقة الأثر التي جاءت بها الثورة الفرنسية. فقد كان جيش (فريدريك الأكبر) قوة من المأجورين ـ المرتزقة ـ ينعزل أفرادها تماماً عن المجتمع المدني الأهلي. وكان الضباط، الذين هم أصلاً من طبقة النبلاء، وحدهم الذين يعرفون الشرف والولاء. على حين كان باقي أفراد الجيش والذين هم في صفوف الجند، لا يعيشون متماسكين معاً إلا بالانضباط الصارم. تولى المصلحان العسكريان (شارنهورست)[٤٨] و (جينيسناو) تحويل

---

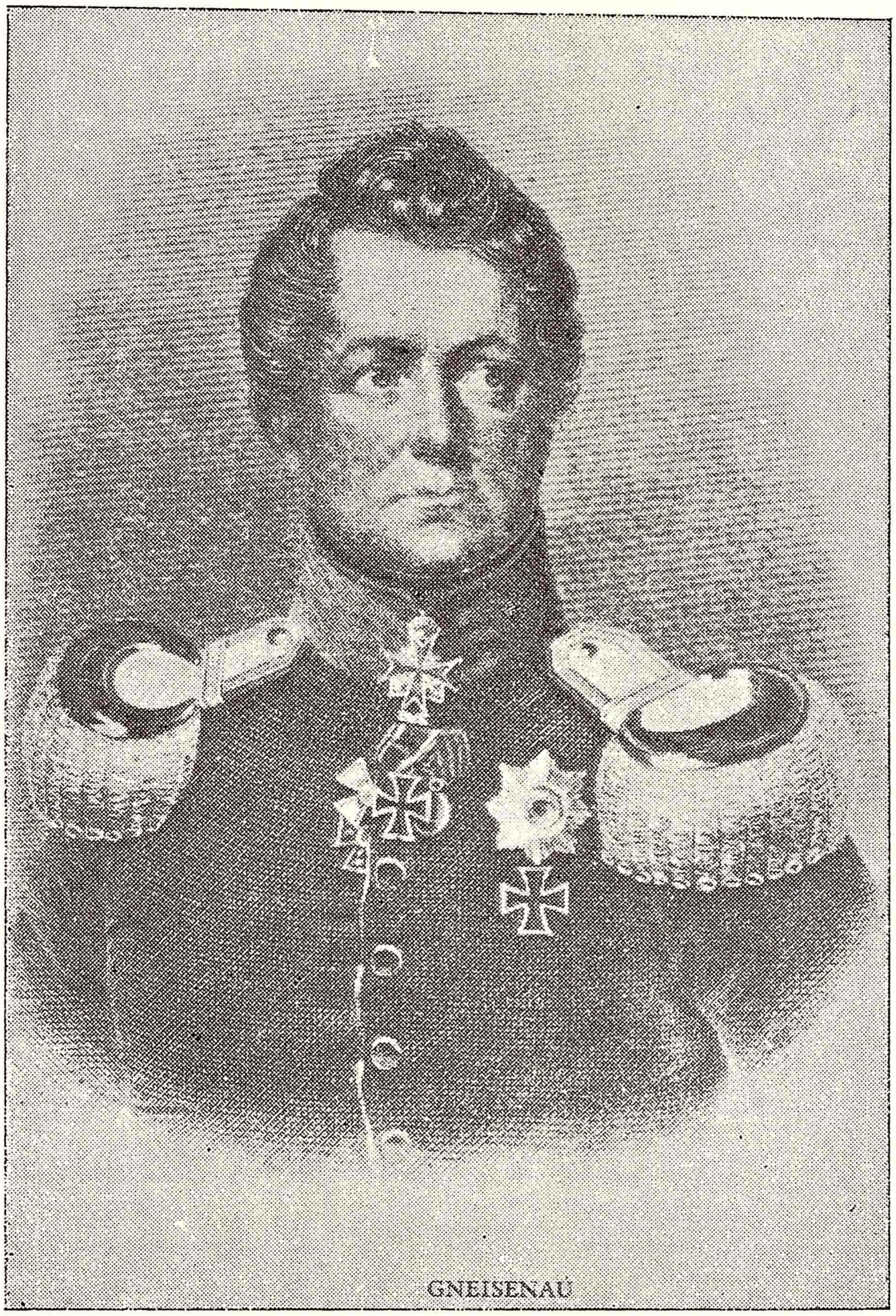
(٤٨) شارنهورست: (SCHARNHORST, GERAR DE) جنرال بروسي، من مواليد بوردينو (BORDE-NAU) (١٧٥٥ ـ ١٨١٣م) أعاد تنظيم الجيش البروسي بعد تيليست.

جيش عصر الملكية والأوتوقراطية إلى جيش قومي أهلي، بهدف الإفادة من كل إمكانات الأمة ومواردها البشرية ويذكر أن (جينيسناو) قال غداة هزيمة بروسيا (عام ١٨٠٦) ما يلي: «**لقد وصلت فرنسا إلى ذروة المجد والعظمة بفضل توافر عامل واحد يزيد في أهميته على كل العوامل الأخرى: لقد أيقظت الثورة كل قوى الدولة، وقدمت لكل فرد ميداناً صالحاً لنشاطه حتى يعمل فيه**». ولتحقيق هذا، أدخل المصلحان البروسيان نظام (التجنيد الاجباري) في طابع أكثر تحولاً نحو التغيير الاجتماعي من أية محاولة سابقة. وقد عطلت معاهدة (تيليست)(٤٩) التي فرضها نابليون على بروسيا من التفهم المباشر لآراء (شارنهورست). ولكن مشروع القانون العسكري البروسي لعام ١٨١٤، جعل تخطيط (شارنهورست) هو الصورة الدائمة للنظام العسكري البروسي.

كان التجنيد الاجباي قد بات القاعدة العامة لتكوين الجيوش في كل الدول الأوروبية. ولكن كان التجنيد في هذه الدول كلها ـ عدا بروسيا ـ يطبق على الفقراء. إذ سمح لمن يملك مالاً أن يدفع نقداً بدلاً من خدمة الجيش، أو أن يقدم بديلاً عنه لأداء الخدمة الإلزامية. أما في (بروسيا) فكان الأمر على النقيض من ذلك، لأن كل طبقات الشعب قد أسهمت في خدمة الجيش، مما أعطى لجيش بروسيا طابعاً قومياً مميزاً لم يبلغه أي جيش من الجيوش الأوروبية. ومما ساعد على ذلك هو أن البروسيين لم يكونوا مشبعين بروح الديموقراطية، فقد ظلوا رعايا النظام الحكم الأوتوقراطي المطلق. كما كان لأشراف الأقاليم من

---

(٤٩) تيليست (TILSIT) وتعرف اليوم باسم (سوفييتسك: SOVIETSK) مدينة من مدن الاتحاد السوفييتي (ليتوانيا) تقع على نهر نييمن: (NIEMEN) وقّع فيها نابليون الأول مع قيصر روسيا إلكسندر الأول معاهدة في يوم ٨ تموز ـ يوليو ـ ١٨٠٧ نصت على تجريد بروسيا من ممتلكاتها غرب الألب بالإضافه إلى تجريدها مما كسبته من تقسيم بولونيا (١٧٩٣ ـ ١٧٩٥) وخفض جيشها إلى (٤٢) ألف جندي، وفرضت عليها غرامة مالية كبيرة، أما روسيا فقد أطلقت يدها في تركيا والسويد.



جنيسناو ١٧٦٠ - ١٨٣١

البروسيين مكانة مرموقة في قيادة الجيش وإدارة الدولة وبقيت طبقة (اليونكرز)[٥٠] هي الطبقة المهيمنة على توجيه التعيينات لضباط الجيش وتحديد مراكزهم وأضحت الخدمة الإلزامية - الاجبارية - التي كانت ظاهرة تعبر عن التحرر في فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، أضحت في بروسيا عاملاً لدعم قوة الدولة الأوتوقراطية.

جاءت الأعمال السياسية بعد سنة ١٨١٥ مضادة لما كانت تتطلع إليه بروسيا. وظهر لفترة أن حلم المصلحين العسكريين البروسيين، لإيجاد جيش المواطنين، قد تبددت وضاعت، ولكن تبين أن ما قدماه من معرفة في مجالي (الإستراتيجية) و (التكتيك) قد حظي من الناحية العملية بدرجة كبيرة من التقدير والتقدم، هذا على الرغم من أن المدرسة القديمة قد حافظت على وجودها، بل وأمكن لها أيضاً إحراز بعض النجاح. وعندما صدر قانون (خدمة الميدان) البروسي في سنة ١٨٤٧م، أعاد إلى الوجود الأساليب التعبوية - التكتيكية - التي كانت متبعة منذ أيام (فريدريك الكبير) والتي عمل (شارنهورست) على إلغائها منذ سنة ١٨١٢ واستبعادها. إلا أن آراء (شارنهورست) و (جينيسناو) الإستراتيجية لم تغفل تماماً في الجيش البروسي.

لقد كان هذان الضابطان اللذان انحدرا من أسرتين (هانوفريه) و (نمساويه) هما وحدهما، من بين كل الذين عاشوا التجربة النابليونية، واللذان يمكن أن يقال عنهما أنهما كانا على مستوى نابليون في صناعة الجندية وفن الحرب. وقد حالت وفاة (شارنهورست) المبكرة والتي حدثت في صيف سنة ١٨١٣م دون توليه القيادة العليا في الميدان.

---

(٥٠) اليونكرز: (YONKERS) اصطلاح قصد منه التعريف بأفراد طبقة ملاك الأراضي في بروسيا (الإقطاعيين) وقد احتفظ أفراد هذه الطبقة بنفوذهم في الجيش الألماني حتى ثورة عام ١٩١٨م واستخدمت الكلمة الإنكليزية في عصر الملكة إليزابيث للتعريف بالفارس الشجاع المميز بفضائله الرفيعة.

على أن رئاسة (جينيسناو) لهيئة أركان الحرب البروسية، من نهاية سنة ١٨١٣ إلى صيف سنة ١٨١٥، قد أثبتت أن المدرسة البروسية الجديدة للفكر العسكري، لا تقتصر على تكوين فلسفة جديدة للحرب، وإنما تتوافر لها القدرة أيضاً على تخريج قادة يمكن لهم وضع نظرياتهم وآرائهم موضع التطبيق العملي والاختبار.

لقد حدث نقاش طويل لتقويم أي من الرجلين (شارنهورست) أو (جينيسناو)[٥١] كان هو القائد الأكبر أو الأعظم. وقد أعطى (كلاوزفيتز) الذي كان صديقاً وتلميذاً للاثنين، تاج الإمارة لشارنهورست، بسبب امتزاج عقليته الناضجة المفكرة بالتعمق ودقة العمل. ولكن (شليفن) يقرر أن (جينيسناو) هو أقدر الاثنين وأعظمهما بسبب ما توافر له من عمق الإدراك، ودقة الحكم، مع العزيمة في ميدان القتال. ومع هذا، فإنه ـ من وجهة النظر التاريخية ـ قد يكون من الأهمية بمكان أن نذكر بأن كلا القائدين، سواء (شارنهورست) الهادىء الطبع، أو (جينيسناو) الكريم، والسريع التفكير والعمل، إنما يمثلان طابعاً جديداً للقادة. فقد ولد كل من الرجلين ليكون قائداً للرجال، وربما كان أولهما أقدر على إعدادهم للحرب. والثاني أقدر على قيادتهم في ميدان القتال. ويشترك الاثنان بخصائص واحدة. فقد عاشا في ألمانيا في العصر الفلسفي، عصر (جوته) و(كانت) وآمنا بأن التفكير يمكن أن يقدم للعمل التنفيذي الأجنحة التي تمكنه من الانطلاق. وكان لهما دور متشابه في إرساء قواعد الفكر الإستراتيجي البروسي.

لقد وضعت المدرسة البروسية الجديدة للإستراتيجية عمدها في

---

(٥١) جينيسناو: (GNEISENAU, COMTE NEITHARDT) فيلد مارشال بروسي، من مواليد (شيلدو: SCHILDAU) ١٧٦٠ ـ ١٨٣١م. تولى رئاسة هيئة الأركان العامة تحت قيادة بلوخر BLÜCHER خلال حملتي ١٨١٣ و١٨١٥م.

داخل هيئة أركان الحرب البروسية التي كانت عصب الجيش ورأسه المفكر. على أن تكوين هيئة أركان الحرب البروسية يرجع في الواقع إلى حقبة من السنين قبل عام ١٨٠٦، وإن كانت لم تصل إلى مكانتها البارزة، ومرتبتها المرموقة، قبل عهد (شارنهورست). فلما أن أعاد (شارنهورست) تنظيم وزارة الحرب في سنة ١٨٠٦، أوجد إدارة خاصة، وكل إليها أمر التخطيط لتنظيم الجيش وتعبئته في وقت الحرب، على أن تتولى هذه الإدارة أيضاً في وقت السلم كل ما يتعلق بتعليم الجيش وتدريبه. ولم تقف مسؤوليات هذه الإدارة عند هذا الحد. فقد جاء أيضاً تحت إشرافها كل ما يختص بالإعداد للأعمال القتالية، مثل المخابرات والمساحة العسكرية، وكذلك كل ما يختص بالإعداد الإستراتيجي والتوجيه التعبوي - التكتيكي - وعندما أصبح (شارنهورست) وزيراً للحربية، احتفظ لنفسه برئاسة هذه الإدارة. وبذلك كان تأثيره كبيراً في التفكير الاستراتيجي والتعبوي - التكتيكي - للضباط العاملين بهذه الإدارة، لأنه هو الذي كان يتولى تدريبهم في (مباريات الحرب)(٥٢) ومناورات (أركان الحرب). ولما صار

---

(٥٢) مباريات الحرب: (WAR GAMES) وهي اصطلاح مأخوذ عن الأصل الألماني: (KRIEGSPIEL) غير أن أصول هذه المباريات قديمة جداً ومتنوعة لدى مختلف الشعوب، وتمثل (لعبة الشطرنج) نموذجاً لها. أما وضع هذه المباريات في إطارها المعروف في الغرب، فيعود إلى الماريشال كيت، الألماني، الذي اخترع نوعاً متقدماً على طراز الشطرنج أسماه (شطرنج الحرب) ثم جاء الضابط البروسي (فون رايز ويتز) (١٧٩٤ - ١٨٢٦م) فوضع مباريات الحرب في صورتها الحديثة وذلك سنة ١٨٢٤، وانتشرت هذه المباريات بسرعة في البلاط الألماني كأداة للتسلية، وأدخلت بعد ذلك في الجيش البروسي كوسيلة للتدريب، ومنه انتشرت في كل جيوش العالم. وفي سنة ١٨٩٨م أوجد (ف. ت. جان) نموذجاً منها للحرب البحرية. وقد بدأت المباريات بدراسة معارك معروفة من التاريخ، ووضع الجنود طبقاً للأوضاع المعروفة عند بدء المعركة. ولهذا كانت الخرائط تعد بمقياس واحد. فلما استخدمت هذه المباريات لأغراض التدريب، أعدت الخرائط بمقياس كبير لإيضاح التفاصيل الضرورية، كالمرتفعات والطرق والمباني ومجاري المياه الخ.. وقد أصبح لهذه المباريات قواعدها وأنظمتها وقاعات تدريبها المجهزة (بطاولات الرمل، والخرائط، وأجهزة الاتصال الهاتفي) وقد جاءت الأجهزة الألكترونية لتسهم في تطور مباريات الحرب، فصار بالإمكان عرض خطة الحرب وتحليلها وطرح فرضياتها وتوقع نتائجها على أساس معطيات ثابتة.

من الأمور العادية ـ الروتينية ـ أن يتم تعيين هؤلاء الضباط في مراكز أركان الحرب لمختلف وحدات الجيش، فقد امتدت سيطرة رئيس هيئة أركان الحرب، عن طريقهم، إلى مختلف القيادات من غير استثناء. وكان الضباط الشبان الذين يرتدون السراويل القرمزية ـ البنطال ـ هم الأداة لنقل التوجيه الإستراتيجي إلى كل فروع الجيش وأقسامه. وبقيت (هيئة أركان الحرب) في إدارة (شارنهورست) قسماً من (وزارة الحرب). وكان من الضروري أن يظل الأمر كذلك لو كانت ألمانيا قد عرفت الحكم النيابي الديموقراطي. ولكن تنظيم الحكومة البروسية على أساس الحكم المطلق جعل تقسيم المسؤولية العسكرية تابعاً للقيادة العليا التي يتولاها الملك ذاته.

عين رئيس هيئة أركان الحرب في سنة ١٨٢١ مستشاراً أعلى للملك في كل الأمور العسكرية. وحدد دور وزارة الحرب بالسيطرة السياسية والإدارة على الجيش فقط. وكان لهذا القرار تبعاته ونتائجه على المدى البعيد. إذ انه مكن من أن تكون لهيئة أركان الحرب اليد الطولى في توجيه الفعاليات العسكرية بكاملها، سواء في مرحلة الاعداد للحرب، أو في مرحلة إدارة معاركها.

٤ ـ فون مولتكه.

توافرت أمام (مولتكه) الظروف الملائمة حتى ينتفع بكافة آراء الذين سبقوه وخبراتهم التي تشكلت بصورة أساسية في ظروف (الحروب النابوليونية). وكان (مولتكه) مثله كمثل (شارنهورست) و(جينيسناو) غريباً عن (بروسيا) بحكم مولده، فقد جاء إلى (بروسيا) من منطقة مجاورة، هي منطقة (مكلنبورغ) وكان أبوه ضابطاً في جيش ملك الدانيمارك. وكان كدوق (شيلزويغ وهولشتاين) أميراً ألمانياً. وقد نشأ (مولتكه) يطلب العلم في معاهد الدانيمارك، حتى تخرج في الكلية

الحربية فيها (سنة ١٨١٩م) وهو يحمل رتبة ملازم غير أن كافة العوامل كانت تدفعه لهجرة البلاد، إذ إنه لم يكن سعيداً في حياته المدرسية، كما أن صلته بأبيه لم تكن صلة جيدة وقوية، وعلاوة على ذلك - وهذا العامل الأكثر أهمية - فانه لم يجد في خدمة الجيش الدانيماركي الفرصة التي كان يتطلع إليها، أو الظروف التي تستجيب لطموحاته وحوافزه القوية. وهكذا تقدم (مولتكه) بطلب للخدمة في الجيش البروسي، وهو الجيش الذي سبق أن بدأ أبوه ذاته حياته العسكرية فيه، قبل أن ينتقل للخدمة في الجيش الدانيماركي.

كان البروسيون يشجعون من يريد الالتحاق بجيشهم، وعلى الرغم من ذلك فقد وضعوا الملازم الشاب في مواجهة اختبار عسير، إذ فرضوا عليه أن يعود من جديد ليبدأ تسلق درجات السلم العسكري من أولها. وبعد سنة كاملة منحوه فرصة الالتحاق بالكلية الحربية التي كان يتولى إدارتها (كلاوزفيتز) على أن (كلاوزفيتز) ذاته لم يكن يلقي على طلاب معهده العسكري أية محاضرات. ولهذا فإن (مولتكه) لم يتأثر به من قريب أو بعيد، حتى كان عام ١٨٣١م عندما طبعت مؤلفات (كلاوزفيتز) في المجموعة التي قربت الرجل ودراساته إلى المتعلمين. غير أن (مولتكه) أفاد من مدة بقائه بالكلية الحربية البروسية للانصراف لدراسة علوم الجغرافيا والطبيعة والتاريخ العسكري، وهي العلوم التي كانوا يتقنون تدريسها وعرضها في الكلية، فلما رجع (مولتكه) إلى وحدته سنة ١٨٢٦م، قضى سنتين في دراسة نظرية، وفي تدريس هذه العلوم الثلاثة لضباط وحدته. ونقل في سنة (١٨٢٨) إلى هيئة أركان الحرب، فظل من ضباطها طوال أكثر من ستين سنة. على أن (مولتكه) فيما عدا السنوات الخمس التي قضاها برتبة ملازم في الجيشين الدانيماركي ثم البروسي، لم يعمل في الوحدات قط. ولم يتولّ قيادة سرية ولا وحدة مماثلة، حتى تولى وهو

في الخامسة والستين من عمره، قيادة الجيوش البروسية كلها في الحرب ضد النمسا.

قضى (مولتكه الفترة من سنة (١٨٣٥) إلى سنة (١٨٣٩م) في تركيا، حيث عمل مستشاراً عسكرياً لدى (الباب العالي) وهو برتبة (نقيب ـ كابتن). وقد أعاقه صغر رتبته عن فرض مقترحاته وآرائه على كبار قادة الجيش التركي ـ العثماني ـ. ولهذا فما من أحد اهتم بنصائحه وآرائه، فكان لا بد للنقيب (مولتكه) من أن يشهد الحروب التي قام بها (محمد علي حاكم مصر) ضد العثمانيين. وعاش أسوأ أيام حياته وسط جنود مهزومين.

عاد (مولتكه) من جديد إلى (برلين) ليقف على عتبة عهد جديد من الرخاء ـ بالنسبة له ـ وكان قد عاش ـ في الواقع ـ ظروفاً عسيرة، عندما كان برتبة ملازم، إذ انه لم يكن يجد بين يديه ما يغطي نفقاته، الأمر الذي حمله على كتابة بعض القصص القصيرة لمجلة شعبية. وأن يكتب بعض الموضوعات التاريخية لصحيفة أخرى، وعندما أراد أن يشتري جواداً ليعد نفسه للعمل في هيئة أركان الحرب، إضطر لترجمة ستة مجلدات من (تاريخ جيبون)[٥٣]. على انه لم يلبث أن اكتشف إفلاس الناشر الذي تعاقد معه على نشر الكتب. ومن الغريب أن الرجل مع هذه المشكلات المادية التي كانت تأخذ بخناقه، قد استطاع أن يصل إلى حصيلة طيبة من العلم والمعرفة، سيما في العلوم الثلاثة التي استهوته من البداية (الجغرافية، والطبيعة والتاريخ العسكري) وهكذا اكتسب قدرة تعبيرية كبيرة، جعلت منه واحداً من أعظم الكتاب الألمان.

لم يكن (مولتكه) من رجال السياسة، ولم تكن له صلة قريبة أو

---

(٥٣) جيبون إدوارد: (GIBBON, EDWARD) مؤرخ إنكليزي (١٧٣٧ ـ ١٧٩٤) أهم كتبه (سقوط إمبراطورية روما واضمحلالها) وهو المؤلف الذى اكسب كاتبه شهرة واسعة.

بعيدة بالاتجاهات السياسية. فكان على النقيض من (شارنهورست) و (جينيسناو) اللذين كانا من رجال السياسة بقدر ما كانا قائدين عسكريين. وقد اتجهت إصلاحاتهما العسكرية مباشرة إلى إصلاح حياة الأمة، وهذا مما جعل منهما موضع شك المحافظين من رجال البلاط البروسي، بل وموضع شك كل دوائر البلاطين النمساوي والروسي. ولهذا فإنه عندما وضحت هزيمة (نابليون) وبدا أن الثورة الفرنسية بدورها قد قهرت، أطلق عليهما اسم (اليعقوبيين) وأحيلا على التقاعد.

إن عدم اشتراك (مولتكه) اشتراكاً إيجابياً بالشؤون السياسية، وعدم اهتمامه بأمر السلطة القائمة على الحكم، لم يكن ليمنعه من إدراك العلاقة الوثيقة القائمة بين السياسة والقيادة، ولهذا فقد عمل على إجراء دراساته الشخصية للاتجاهات والآراء السياسية. وكان مقتنعاً بسيادة الحكومة الملكية، مقدراً لها تركها العسكريين أحراراً في إدارة المسائل الخاصة بالجيش، دون أي تدخل من غير الإخصائيين المحترفين. وكان (مولتكه) راضياً عن هزيمة الأفكار التحررية الألمانية التي كانت وراء ثورة سنة ١٨٤٨ ـ ١٨٤٩م. كما كانت ذات أثر مماثل في ثورة عام ١٨٦٠م.

كان من الطبيعي، ومن المتوقع، أن يرحب البلاط البروسي بضابط له مثل هذه النظرة السياسية، مع ما يتوافر له من سعة الاطلاع وغزارة العلم والمعرفة. فعمل (فريدريك وليم ـ غليوم ـ الرابع) على تعيينه في سنة ١٨٥٥، مرافقاً لابن أخيه (فريدريك وليم ـ غليوم) الذي أصبح فيما بعد أمبراطوراً باسم (فريدريك الثالث). ومكنه هذا من الاتصال (بالأمير الجندي) ويظهر أن (غليوم الأول ـ وليم) قد كشف عن مواهب (مولتكه) وما يتوافر له من إمكانات تؤهله للاضطلاع بأعباء (رئاسة هيئة أركان الحرب).

* * *

كان أول عمل قام به (غليوم) في العام ١٨٥٧ ـ عندما سرلى الوصاية على عرش بروسيا، أن عين (مولتكه) في الوظيفة التي رشحته لها مواهبه (رئيس هيئة الأركان). ولما كان (غليوم) يهتم بالسياسة قدر اهتمامه بتنظيم الجيش وتدريبه، فقد وجد نفسه أكثر قرباً إلى وزير الحربية (فون رون) الذي طغت شخصيته الصاخبة على شخصية الرجل الصامت (مولتكه ـ رئيس هيئة أركان الحرب) الذي كان صمته وانطواؤه، سبباً في ابتعاده عن الكثير من المجالس الحكومية.

حدد الأمبراطور (غليوم) ووزير حربيته (رون) الهدف من الإصلاحات التي اقترحاها وعملا على تنفيذها، وكان هذا الهدف هو زيادة كفاءة الجيش وتطوير قدراته. وشملت هذه الإصلاحات ـ فيما شملته ـ إلغاء كافة التشكيلات (شبه العسكرية) التي كانت تعتمد في تنظيمها على الروح التحررية الشعبية، وهكذا بترت وضغطت (قوات التريتوريال) و(الحرس الوطني) وتم هذا كله من أجل زيادة قدرة الجيش العامل، وقد مكن هذا فيلق الضباط المحترفين من السيطرة على كل التشكيلات العسكرية للأمة. وقد تصدى (البرلمان البروسي) لمقاومة هذه الإصلاحات، غير أن (بسمارك) لم ينتظر موافقة المجلس النيابي (البرلمان) على الأجراءات الإصلاحية، ووضع مخططات إعادة التنظيم موضع التنفيذ بصورة مباشرة وفورية وتحت إشرافه. **وقررت إستراتيجية (مولتكه) الناجحة أمرين أساسيين هما:**

١ ـ نهضة الاتحاد الجرماني ـ الألماني ـ على كل أمم أوروبا.

٢ ـ إنتصار الملكية البروسية على المعارضة الديموقراطية التحررية في الأقاليم الجرمانية، تبعاً للاحتفاظ بالسلطة ـ مركز القوة ـ في الجيش البروسي.

مارس وزير الحرب (رون) دوره بنجاح كبير في سنوات الصراع

السياسي، الأمر الذي جعل منه أكبر وأقوى شخصية في الجيش قبل عام ١٨٦٦م. وقد اعتاد الامبراطور (غليوم الأول) أن يستشير وزير حربيته (رون) في كافة الشؤون العسكرية، وحتى السياسية. الأمر الذي حجب رئيس هيئة الأركان (مولتكه) وابتعد به عن دائرة الضوء، وهو ما كان يلائم شخص (مولتكه) العزوف عن المظاهر البراقة. غير أن ذلك جعله في الوقت ذاته ـ مجهولاً ـ حتى في دوائر الجيش. **ويذكر أن (مولتكه) بعث بأحد ضباطه في هيئة الأركان لنقل أوامره إلى أحد قادة الفرق أثناء معركة (سادوفا). وأصغى قائد الفرقة إلى الأمر، وقرأ الرسالة المحمولة إليه متمهلاً، ثم قال: «هذا جميل... ولكن من هو الجنرال مولتكه هذا؟!!».**

كان وصول (مولتكه) إلى مركز الصدارة بين مستشاري الملك مفاجأة غير متوقعة، ولو انه بات أمراً طبيعياً في تاريخ العسكرية البروسية منذ أيام (شارنهورست) و (جينيمناو).

أفاد (مولتكه) من ابتعاده عن مسرح الصراع السياسي طوال الفترة من سنة ١٨٥٧ إلى سنة ١٨٦٦، فأمكن له بذلك تركيز كل جهده لإعداد متطلبات الأعمال القتالية المقبلة. وكانت ثورات عام (١٨٤٨ ـ ١٨٤٩) وقيام الأمبراطورية الثانية في فرنسا (نابليون الثالث)، ثم اندلاع نار (حرب القرم) قد أوضحت كلها معالم العهد الجديد الذي وقفت أوروبا على عتبته، كما أوضحت إمكان استخدام القوة العسكرية بحرية مطلقة في هذا العهد الجديد. وقد بدأ (مولتكه) فور استلامه لعمله، مراجعة كافة المخططات التي وضعتها هيئة أركان الحرب الألمانية قبل توليه رئاستها. وكان سلفه (الجنرال رايهر) واحداً من القادة البروسيين القلائل الذين جاؤوا من الصفوف. والواقع أنه كان رجلاً خصب الخيال، واسع التصور، وكان استاذاً ممتازاً للإستراتيجية. وكان في استطاعة (مولتكه) أيضاً أن يعتمد على كفاءة

الضبـاط البروسيـين. وحسن اعدادهم، مما يؤهلهم لإيجاد الحلول الصحيحة للمشكلات التعبوية ـ التكتيكية ـ التي قد تصادفهم في ميادين القتال. ويجب أن نذكر أن الضباط البروسيين، بمجرد أن اجتازوا حدود بوهيميا للقتال ضد النمسا، قد أسقطوا من أيديهم في صمت كتاب (تعليمات خدمة الميدان) الصادر سنة ١٨٤٧، وأخذوا يعملون بآرائهم الخاصة في فن القتال.

ومسألة أخرى؛ لقد كانت تشكيلات السلم للجيش البـروسي، أكثر تطوراً وتقدماً من تشكيلات أية أمة أوروبية أخرى. وكانت كل وحدات الجيش البروسي ـ عدا وحدات الحرس ـ تجمع جنودها وقوتها الاحتياطية من المناطق المحلية التي تقيم فيها وتعسكر على أرضها، وهو أمر لم تتمكن من أن تفعله إمبراطورية (آل هبسبورغ) مع مشكلاتها الخاصة بالقومية، تبعاً لتباين أصول السكان.

كان الجيش البروسي أيضاً قد احتفظ منذ سنة ١٨١٥ بتشكيل (الفيلق) وهو التشكيل الذي أوجده نابليون في حملاته الحربية، والذي أغفلته فرنسا في حكم (آل ـ بوربون) ونفضت يديها منه. وإن كان هذا التشكيل في الحقيقة يتأثر بسرعة التعبئة، كما يتأثر بقدرة الجنود والقادة على القيام بالأعمال القتالية الكبرى.

وكانت (التعبئة) في الجيش البروسي سريعة نسبياً، وقد استطاع (مولتكه) زيادة هذه السرعة، إلا أن الامتداد الجغرافي الكبير للأقاليم البروسية (ما بين إكس لاشابيل شرقاً وتيليست غرباً) كان يشكل عقبة تزيد من مشاكل بروسيا عسكرياً. وقد جاء عصر (الخطوط الحديدية) ليحمل معه الحل لهذه المشكلة، والذي حاول (مولتكه) الإفادة منه قدر المستطاع.

كان (مولتكه) قد بدأ دراسة الخطوط الحديدية قبل أن يمدد منها

خط حديدي واحد في الأقاليم الجرمانية. وكان مؤمناً بفوائد الخطوط الحديدية وأهميتها حتى إنه عندما بدأ العمل لإنشاء الخطوط الحديدية وتمديدها (سنة ١٨٤٠) جازف فأسهم بكل ما يدخره من مال في خط (برلين ـ هامبورغ). وقد قيل بأن اهتمامه بهذا الخط الحديدي إنما كان نـاجمـاً عن تطلعه لتقصير المسافة بينه وبين زوجته الصغيرة التي كانت تعيش في (هولشتين). ولكن ما من شك في أن تفكيره بالخـطوط الحديدية، وإمكان الإفادة منها عسكرياً، كان كبيراً جداً.

إستخدمت دول أوروبا المختلفة الخطوط الحديدية لنقل جنودها في الفترة من سنة ١٨٤٧م إلى سنة ١٨٥٠م. وعندما تمت تعبئة الجيش البروسي أثناء الحملة الإيطالية (سنة ١٨٥٩م) عمل (مولتكه). على اختبار التسهيلات التي جاء بها النقل بالخطوط الحديدية. وأمكن له بفضل هذا الاحتبار إدخال تحسينـات كثيرة عـلى عمليات النقـل. والواقع، فإن الخطوط الحديدية قد جاءت بفرص إستراتيجية جديدة. فقد كان بالمستطاع نقل القوات بسرعة تصل إلى ستة أضعاف السرعة التي سارت بها جيوش نابليون. وظهر أن (**الوقت**) و(**المسافة**) هما العاملان الأساسيان لكل إستراتيجية، في ضوء جديد له أهميته. وقد حصلت الدولة التي توافر لها نظام جيد للنقل بالخطوط الحديدية على تفوق حاسم في الحرب ذلك لأن سرعة التعبئة، وسرعة الحشد، قد باتا عاملين ضروريين لهما أهميتهما في التقديرات الإستراتيجيـة. ومما لاريب فيه هو أن الجداول الزمنية للتعبئة، وترتيبات الحشد، وأوامر السير، أوجدت العمود الفقري للخـطط الإستراتيجيـة التي تضعها هيئات أركان الحرب للمستقبل لتنفيذها عند قيام الحرب.

اقترح (مولتكه) بالإضافة إلى الانتفاع بالخطوط الحديدية الجديدة، استخدام شبكة الطرق البرية الكثيفة التي تطورت كثيراً مـع تطور الثورة الصناعية. وكان نابليون قد وجه الأنظار إلى هذا بتقسيمه لجيشه

أثناء التحرك على الطرق ـ المسير ـ وفي حملة عام ١٨٠٥م، أفاد نابليون من ذلك لإلحاق الهزيمة بالجيش النمساوي في (أولم). فقدم مثلاً جيداً للاستخدام الإستراتيجي لقوات منفصلة تسير كل منها بأمر تحرك خاص بها. وكان الجيش الذي يتقدم، مع عدم استعداده للمعركة، يحتاج يوماً كاملاً للقيام بعملية الفتح لكل فيلق يتكون من ثلاثين ألف جندي (الانتقال من تشكيل التحرك إلى تشكيل القتال). وكانت هذه العملية تتطلب وقتاً، لهذا كان لا بد من حشد الجيوش قبل المعركة بأيام عديدة.

تحسنت الحالة العامة لشبكات الطرق تحسناً كبيراً بعد سنة ١٨١٥م. وبذلك أمكن استخدام أساليب تعبوية ـ تكتيكية ـ جديدة. وكتب (مولتكه) عام ١٨٠٥ مايلي:

«تتزايد الصعاب التي تواجه خفة الحركة تبعاً لزيادة حجم التشكيلات العسكرية. ولا يمكن في اليوم الواحد نقل أكثر من فيلق واحد من فيالق الجيش إذا ما استخدم طريق واحد في عملية النقل هذه. ثم تزداد هذه الصعاب كلما اقتربنا من الهدف، وذلك تبعاً لتحديد عدد الطرق التي يمكن استخدامها. وعلى هذا كانت الحال العادية هي أن يقسم الجيش إلى فيالق. كما وضح أن حشد هذه الفيالق معاً في كتلة واحدة، ما لم يكن الهدف من هذا التكتل محدداً، يعتبر خطأ يجب تجنبه. ولا يستطيع الجيش المحتشد ـ المتكتل ـ السير على الطرق، ويمكن تحريكه فقط في ميادين القتال. ولكي يسير الجيش، يجب أن يقسم إلى وحدات صغرى، الأمر الذي له خطره إذا ما حدث في مواجهة العدو. ولكن لما كان حشد الجنود من جهة أخرى ضرورياً للمعركة، فإن محور الإستراتيجية هو تنظيم عمليات سير منفصلة، على شرط أن يضمن هذا التحرك تأمين حشد القوات وجمعها في اللحظة المناسبة».

من المحتمل أن يكون (مولتكه) قد عني العناية كلها بالعمليات التي يتم فيها احتشاد الجيش في ميدان المعركة، ولذلك فقد أغفل المبدأ الذي تحدث عنه نابليون بضرورة (حشد الجيش) قبل المعركة. غير أن (مولكته) لم يغفل تماماً مبادىء نابليون عندما أرسل توجيهاته للعمليات قبل معركة (سادوفا) والواقع، فإنه رأى ضرورة تجمع الجيوش قبل المعركة، ثم عاد في تاريخ متأخر وقرر استمرار فصلها على أن يتم تجمعها في مسرح القتال، ولخص نظرياته بعد (سادوفا) فيمايلي:

«**من الأفضل أن تحرك القوات يوم المعركة من عدة نقاط منفصلة، وأن توجه لتحشد في ميدان المعركة**». وفي كلمات أخرى: «**إذا أمكن أن تؤدي عمليات المسير القصيرة القادمة من إتجاهات مختلفة إلى حشد القوات في الجبهة وعلى جنب العدو، فإننا بذلك نحصل على خير ما يمكن إدراكه. ويجب أن نتوقع الحصول بهذا على نتائج عظيمة لم يكن بالمستطاع الوصول إليها بجيوش تعمل منفصلة**. وذلك لأن هذا لا يتوقف وحسب على العوامل التي يمكن تقديرها وحسابها، بمثل ما يتم تقدير وحساب عاملي (الوقت) و(المسافة). بل ويتوقف أيضاً على المعارك الصغرى السابقة وعلى حالة الجو، كما يتوقف على الأنباء الكاذبة. وبإيجاز، يتوقف على كل ما يقال عنه ـ فرصة الحرب ـ أو ـ الحظ ـ في الحياة البشرية العادية. ومع هذا، فإن النجاح الكبير في الحرب لا يمكن إدراكه دون القيام بمغامرات كبيرة».

تساعد هذه الملاحظات الأخيرة على إدراك فلسفة (مولتكه) في الحرب. فهو، كطالب مخلص شديد الولاء لنظريات كلاوزفيتز، يحاول تأكيد العلاقات السببية بمشكلات الحرب حتى أبعد الحدود. وقد أدرك جيداً أن (مشكلات الحرب) لا يمكن إضعافها بالعمليات الحسابية، أي بالعوامل التي يمكن قياسها. ذلك لأن الحرب خاضعة للمؤثرات السياسية. وبالرغم من أن (مولتكه) بقي مؤمناً بضرورة

تحرر القائد في إدارته للحرب، فقد اعترف بأن الأهداف السياسية المتأرجحة في صعود وهبوط، مثلها كمثل (الظروف) و(الأحوال الجوية) تتجه إلى تعديل الاستراتيجية في كل الأوقات وتبسيطها.

وبالرغم من (حالة الشك) الناجمه عن تأثير السياسة على الاستراتيجية أو الضغط عليها. فقد أدرك (مولتكه) أن العمليات الأولية للحشد والتعبئة يمكن حسابها ويمكن إعدادها قبل بداية الحرب بوقت طويل. ولكن «**الخطأ الذي يحدث عند حشد الجيوش يصعب تصحيحه على امتداد مسير الحملة**» ومع هذا فإن الأوامر الضرورية للحشد يمكن أن توضع في وقت مبكر، وما دامت الوحدات متأهبة للحرب، وما دامت وسائل النقل منظمة تماماً، فمما لا شك فيه أنه يجب توقع نتائج جيدة. وإلى ما وراء هذه المرحلة، تكون الحرب مزيجاً من الجرأة، أو المجازفة، في جانب، بينما يقف في الجانب المقابل (التقدير الحسابي للعوامل المادية) فإذا ما بدأت العمليات فعلاً: «**اصطدمت رغباتنا لتوها بالرغبات المستقلة للعدو. ومن المؤكد اننا نستطيع وقف رغبات العدو عند حد معين نظراً لتأهبنا لملاقاته، ولاعتزامنا الحصول على قوة المبادأة، ولكننا لا نستطيع أن نحطم رغباته بأية وسيلة أخرى غير القتال، أو بمعنى آخر بغير المعركة**. ثم تكون معقبات هذا من العوامل المادية والمعنوية مع ما ينتج عنها من مواقف مختلفة تماماً قاعدة لتدابير جديدة. وعلى أية حال، فإن أي تخطيط للعمليات لا تكون له صورة مؤكدة قبل الالتقاء الأول بقوات العدو الأساسية، ولهذا فإن القائد يضطر طوال الحملة أن يضع قراراته على أساس مواقف لا يستطيع التنبؤ بها أو تقديرها قبل هذا الاصطدام. ومن هنا فإن كل الأعمال التي تحدث لا تكون تنفيذاً لخطة معدة من قبل، بل تكون نتيجة طبيعية لضغط الحوادث. وتكون المشكلة التي تواجه القائد هي ضرورة تقديره لهذا العدد الكبير من

الصور المختلفة للموقف الحقيقي الذي يغطيه ضباب الشك. ثم تقدير القيم الحقيقية لهذه الصور واستخدامها استخداماً صحيحاً. وكذلك تقدير العوامل غير المعروفة للوصول إلى قرار سريع، ثم العمل بقوة ودون هوادة. ومن الواضح أن المعرفة النظرية ليست كافية، بل إن هناك مؤثرات وخواص للعقل والخلق، تمكن بدورها من الوصول إلى ما يمكن الانتفاع به نتيجة للتدريب العسكري، والتجارب المستخلصة من التاريخ العسكري، بل ومن صميم الحياة ذاتها».

أنكر (مولتكه) أن تكون الإستراتيجية علمًا من العلوم. وان الأصول العامة يمكن أن توضع بحيث يمكن أن تستنبط منها استنباطاً منطقياً. وقد بدا له أن هذه القواعد ـ كالفائدة التي لخط العمليات الداخلي أو وقاية الجنب وغير هذا على سبيل المثال لا الحصر ـ لها قيمتها بدرجة نسبية فقط. ثم ان كل موقف يتطلب تفهمًا للظروف المحيطة به. كما يتطلب حلاً تتجمع فيه التجربة والمعرفة بالجرأة والتصور. وفي رأي (مولتكه) أن هذا هو الدرس الأساسي الذي يمكن اكتسابه من التاريخ. ولدراسة التاريخ أيضاً فائدتها في جعل من يعد نفسه للقيادة في المستقبل على معرفة بتعقد الظروف التي تجيء الأعمال العسكرية في ظلها. وقد أكد (مولتكه) بأنه لا تدريبات هيئة أركان الحرب، ولا حتى مناورات الجيش يمكن أن تقدم الصورة الحقيقية لمراحل الحرب، كما يمكن أن تصورها دراسة التاريخ!.

جعل (مولتكه) دراسة التاريخ من مسؤولية (هيئة أركان الحرب البروسية) دون الأقسام التابعة لها. ووضع دراسته (الكلاسيكية) عن الحرب الإيطالية لعام **١٨٥٩**، والتي طبعت لأول مرة في العام **١٨٦٢**، مستهدفاً الوصف الموضوعي للحوادث قاصداً استخلاص الدروس العملية منها. ثم كتب فيما بعد الدراسات الخاصة بحربي سنة **١٨٦٦** وسنة (١٨٧٠ ـ ١٨٧١) بالأسلوب ذاته. **وكانت وجهة نظره**

تتلخص بأن الإستراتيجية يمكن أن تستفيد من التاريخ ما دامت تدرس بالأسلوب الصحيح الذي يعنى بالعلاقة الوطيدة بين مناحي الموضوع. وتوضح تجارب (مولتكه) ذاته مدى الفائدة التي توافرت له من دراساته التاريخية.

كان (مولتكه) يعرف يقيناً باستخدام (نابليون) لنظام الارتال المنفصلة للهجوم على أجناب العدو ومؤخرته. ولكن هذه العمليات للوحدات المستقلة لم تؤثر على المبادىء العامة التي قدمها نابليون عن حشد الجيش. كما لم تؤثر في اعتقاده الكبير بأهمية الهجوم المركز. ولقد كان لهذه الإستراتيجية فائدتها الكبرى، وقيمتها العظمى، في عصر نابليون. غير انها لم تمنع دون هزيمته (في واترلو). وأوضحت معركة (ليبزيغ) الإمكانات التي تتوافر للحركات المحتشدة للجيوش المنفصلة والتي تنبأ بها (شارنهورست) في نصيحته: «**بأن الفرد يجب أن لا يترك أي جيش محتشداً دون هدف بل يجب أن يقاتل دائمًا بقوات محتشدة**» وفي رأي (مولتكه): «بأن التقدم الفني والتطور في النقل قد مكنا من التخطيط للعمليات في حشد أوسع مدى مما كان لها قبل نصف قرن من الزمان».

أشار (مولتكه) إلى أن أهمية دراسة الضابط للتاريخ العسكري لا تقل عن أهمية دراسته للإستراتيجية: «فالإستراتيجية مجموعة من الوسائل التي تستخدم لإدراك وتحقيق الوصول إلى غرض محدد، إنها أكثر من أن تعتبر معلومات بالنسبة للضابط. إنها تطبيق المعرفة في الحياة العامة. إنها تطور الفكرة الأساسية الأصلية بالتمشي مع الحوادث الدائمة التغير، إنها فن العمل تحت ضغط أصعب الظروف وأقساها».

إحتلت قضية (تنظيم القيادة) مكانة الصدارة في جهد (مولتكه) وتفكيره. وقد عالج القضية بوضوح وإسهاب في تأريخه للحملة

الإيطالية «فلا يمكن لأي مجلس حرب أن يتولى توجيه جيش ما» ويجب أن يكون رئيس هيئة أركان الحرب هو المرجع الوحيد للقائد العام في التخطيط للعمليات، وحتى لو كانت الخطة التي يضعانها فيما بينهما خاطئة. فإن تنفيذها بعزيمة وإصرار يجعلها أفضل من الخطة التي تجيء نتيجة تخطيط وتفكير عدد من الأفراد لكل رأيه وتوجهاته. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإنه من المحال توقع كل ما يعترض مسار الحرب من تغييرات وتحولات غير منتظمة، مهما بلغت المخططات الأساسية من الكمال، ومهما تضمنته من احتمالات. إذ يبقى هناك مجال للحظ أو الصدفة، كما يبقى هناك مجال للمبادءات الفردية في اتخاذ قرارات تعبوية - تكتيكية - يقتضي الموقف اتخاذها آنياً وتنفيذها فورياً. ولا بد لهذه وتلك من إدخال تعديلات على المخطط الأساسي. ولهذا يرى (مولتكه) بأن إرغام القائد على تنفيذ خطة ما للعمليات هو خطيئة قاتلة. ويجب بذل كل جهد مستطاع من أجل تشجيع القادة على الإبداع والمبادأة، مهما كانت رتبهم في سلم التسلسل العسكري، ومهما كان نوع العمل الذي يمارسونه. وهكذا بقيت القرارات والأحكام الاستقلالية الخارجية عن التعليمات، والتي يصدرها الضباط في المسائل العسكرية، موضع التقدير الدائم والتشجيع المستمر. ولم يكن في ذلك ما يتناقض مع الانضباط الصارم الذي اشتهرت به العسكرية البروسية.

يمكن على هذا الأساس فهم الأسباب التي دفعت (مولتكه) لعدم إصدار الأوامر - إلا لما هو ضروري جداً منها، وفي رأيه: «**ان الأمر يتضمن كل شيء لا يستطيع القائد أن يفعله بنفسه، ثم لا شيء غير هذا**» وكان المعنى الذي يستهدفه هو: «**ان القائد العام يجب ألا يتدخل إطلاقاً في التدابير التعبوية - التكتيكية**» وقد ذهب (مولتكه) إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير، إذ كان على استعداد دائم لإجراء أي تعديل على

مخطط العمليات إذا ما استطاع القائد التابع له تحقيق نجاح على مستوى العمليات، أو على المستوى التعبوي ـ التكتيكي ـ ذلك لأنه كما قال: «**يجب أن تستجيب الإستراتيجية لأي نصر تعبوي ـ تكتيكي ـ**» وقد احتفظ برأيه هذا، ولم يتحول عنه، حتى عندما كاد بعض قادته في الأسابيع الأولى من الحرب الفرنسية ـ البروسية، أن يسببوا الفشل الكامل لخطة عملياته. وقد جاءت الانتصارات في ميادين القتال لتدعم من وجهة نظره، ولتؤيد صحة رأيه.

لم يرغب (مولتكه) في أن يربك روح القتال التي توافرت للجيش البروسي، ولا أن يعطل ظاهرة الإقبال على العمل، أو العمل المضاد طواعية، من جانب القادة التابعين. فلقد وضعت التطورات الحديثة على عاتق القادة التابعين مسؤوليات جساماً لم يكونوا يعرفونها في العهود السابقة. والواقع، فإن من أهم الأسباب التي جعلت نابليون يحتفظ دائماً بجيشه متجمعاً، هو رغبته في أن يبقى الجنود قريبين منه ما أمكن لتنفيذ أوامره المباشرة، ولكن طريقة (مولتكه) للتوزع في الاتجاه الأفقي ـ الجبهي ـ جعلت من غير الممكن الاعتماد على التوجيه المركزي. ولو أن عمليات السير قبل المعركة بقيت خاضعة للسيطرة بفضل استخدام أجهزة الاتصال (اللاسلكية).

وجه (مولتكه) معظم التحركات في الحرب البروسية النمساوية (سنة ١٨٦٦) من مكتبه في (برلين). ووصل إلى ميدان القتال قبل معركة (سادوفا) بأربعة أيام فقط. ولا ريب أنه تصرف بحكمة عندما احتفظ لنفسه بحق إصدار الأوامر الإستراتيجية فقط. وقد نظم هيئات القيادة للجيش، وترك لقادة الفيالق والفرق حرية العمل لمجابهة المشكلات التي تعترضهم، على مستوى العمليات وعلى المستوى التعبوي ـ التكتيكي ـ وبذلك ضمن لنفسه فرصة التنفيذ الدقيق للأهداف الإستراتيجية.

تلك هي القيادة البروسية التي قدر لها أن تمارس أخطر دور، في أصعب مرحلة عاشتها بروسيا، مرحلة إقامة الاتحاد الجرماني تحت زعامة بروسيا وملكها غليوم.

٥ ـ الحرب البروسية ـ النمساوية (معركة سادوفا).

واجهت قيادة (مولتكه) أول اختبار لها وأعظمه في الحملة ضد النمسا (سنة ١٨٦٦م). إذ ان دوره في الحرب النمساوية ـ البروسية ضد الدانيمارك لسنة ١٨٦٤ لم يكن دوراً كبيراً. وقد جعله تدخله السريع في المرحلة الأخيرة من الحرب لوقف الاضطراب الذي سببه الفيلد مارشال ـ الشيخ رانجل ـ ومجلس مستشاريه يبدو لعيني الامبراطور (غليوم الأول) كإستراتيجي محنك، يتجنب الاندفاع والتهور. ثم زادت من مكانته مناقشته لخطط القتال ضد النمسا، **حتى أصدر الأمبراطور غليوم توجيهاته في الثاني من حزيران يونيو ـ ١٨٦٦م. التي تقضي: «بأن كل الأوامر يجب أن تصدر عن طريق مولتكه»**. وبات الأمبراطور منذ هذا التاريخ يتقبل نصائح (مولتكه) بدون تردد. ووجد القائد الذي كان قد بلغ الخامسة والستين، والذي كان قد بدأ يفكر في التقاعد، وجد نفسه يتولى فعلاً القيادة العامة للجيش البروسي.

كان أول اختبار لقيادة (مولتكه) هو في ذات الوقت أعظمها أثراً في حياته، إذ كانت القوات تقريباً متماثلة بدرجة أكبر مما كانت فيها بعد (في الحرب الفرنسية ـ البروسية). وكان على (مولتكه) أيضاً أن يتغلب على مشاكل جغرافية وسياسية متعددة. وتصور حرب سنة (١٨٦٦م) وعلى الأخص (حملة بوهيميا) الجانب الإستراتيجي من الحرب، في صورة أوضح مما تصوره (الحرب الفرنسية ـ البروسية). بل أكثر مما تصوره أغلب الحروب الأخرى.

كان الأمبراطور غليوم الأول يتجنب عملياً خوض الحرب ضد النمسا، ويشعر بأن رئيس وزرائه (بسمارك) قد دفعه إليها دفعاً. فبدأ البروسيون بتعبئة قواتهم بعد أن بدأ النمساويون التعبئة بوقت طويل، وحتى إذ ذاك كان من المشكوك فيه ما إذا كان الأمبراطور سيوقع أمر (إعلان الحرب) حتى يمكن للجيش البروسي أن يقوم بالهجوم؟.. وكانت المشكلات الإستراتيجية الأصلية، بالتبعية أو بالضرورة، مشكلات دقيقة جداً. إذ كان باستطاعة النمساويين العمل ضد (سيليزيا العليا) أو (سيليزيا الوسطى) أو أن يتقدموا في (ساكسونيا) ليهددوا (برلين) بعد الاتصال مع الجيش البافاري في بوهيميا الشمالية أو في ساكسونيا. وكان توقع أي من هذه الاحتمالات يتوقف تماماً على موعد بدء الحرب. وكان أمراً طبيعياً، ومتوقعاً، أن يعمل (مولتكه) على دعم (بسمارك) لإقناع الأمبراطور بضرورة العمل الفوري. غير أن (مولتكه) تجنب أن يدفع (العمل السياسي) عن طريق (العمل العسكري) على نقيض ابن أخيه (مولتكه الصغير)[٥٤] الذي أخبر (الأمبراطور غليوم الثاني) في آب - أغسطس - سنة **١٩١٤** م أن التخطيط الإستراتيجي لهيئة أركان الحرب، قد حرم الحكومة من حرية العمل.

كان هدف (مولتكه) من تحركات القوات البروسية، هو أن يعوض التعطل الذي سببه تأخر بدء التعبئة، وبالإضافة إلى هذا، فقد رغب أن تتمشى هذه التحركات لتحقق النجاح ضد التقدم النمساوي المحتمل ضد ساكسونيا وبرلين، أو ضد بريسلاو - في سيليزيا الوسطى - على حين تبقى سيليزيا العليا غير محمية أصلاً.

---

(٥٤) مولتكه الصغير (MOLTKE, HELMUTH-JOHANNES-LUDWIG) ابن أخ (فون مولتكه) وقد أطلق عليه اسم (الصغير) تمييزاً له عن عمه. وكان مولتكه الصغير بدوره قائداً بروسيا - جنرالاً - (١٨٤٨ - ١٩١٦) تولى رئاسة هيئة أركان حرب الجيش الألماني سنة ١٩١٤. وكان الفشل نصيبه على جبهة المارن.

لم يكن باستطاعة النمساويين استخدام غير خط حديدي واحد لنقل قواتهم إلى (مورافيا)[٥٥] في حين كان باستطاعة (مولتكه) استخدام خمسة خطوط حديدية لنقل قوات بروسيا من كل أنحاء البلاد إلى جوار مسرح الحرب. وتبعاً لهذا فقد انتشرت القـوات البروسيـة (يوم ٥ حزيران - يونيو - ١٨٦٦) على امتداد نصف دائرة طولها (٢٧٥) ميلاً من (هال)[٥٦] و(تورغو)[٥٧] إلى (جورليتز) و(لاندشوت)[٥٨] وكان الوضع الأصلي للقوات البروسية سليمًا مابقيت القوات بعيدة إلى الجنوب (في بوهيميا، كما كان يعتقد مولتكه). غير أن هذه القوات كانت في الواقع في (مورافيا) لا في (بوهيميا). وعلى كل حال. فإن (مولتكه) لم يضع في اعتباره - ولا في مخطط عملياته - إبقاء جنوده حيث هم في نقاط إنزالهم، وإنما شرع على الفور بسحبهم إلى مركز متوسط حول (جورليتز). وقد رفض أن يأمر بحشد كامل في منطقة صغيرة، كما أشار بهذا كل القادة البروسيين. بل وحتى بعض أفراد هيئة أركان حربة، على إنه من جهة أخرى شعر بالجزع والقلق عندما عرف أن القوات النمساوية الرئيسية تتجمع في (مورافيا) لا في (بوهيميا) مما كان يشير إلى أن النمسا قد وضعت إجراءاتها على أساس القيام بالهجوم نحو (سيليزيا العليا).

قرر (مولتكـه) عندئـذٍ اجتياح (بـوهيميا) بقـوة جيشين: الجيش الأول - ويتولى قيادته (الأمير فريدريك شارل)[٥٩] ومهمته التقدم إلى

(٥٥) مورافيا: (MORAVIE) إقليم تشيكوسلوفاكي يشكل قسًا من مسطح (بوهيميا) عاصمته برنو: (BRUNN) أو (BRNO)ويخترقه نهر موراف

(٥٦) هال: (HAL = HALLE) مدينة بلجيكية في إقليم (برابان) BANT

(٥٧) تورغو: (TORGAU) مدينة ألمانية في إقليم (ساكس آنهالت: SAXE-ANHALT) تقع على نهر (البا: ELBE) وفيها التقت الجيوش الروسية بالجيوش الأمريكية في ٣٠ نيسان - إبريل - ١٩٤٥.

(٥٨) لاندشوت: (LANDSHUT) مدينة المانية تقع على نهر الأيسر (ISAR)في بافاريا السفلى.

(٥٩) فريدريك شارل: (FREDERIC-CHARLES) أمير بروسي من مواليد برلين (١٨٢٨ - ١٨٨٥م) ابن أخ الأمبراطور البروسي غليوم الأول، وهو أحد قادة بروسيا الشهيرين الذين كان لهم دورهم في الحرب البروسية - النمساوية (١٨٦٦) والحرب البروسية - الفرنسية (١٨٧٠م) خاض

(موشنفراتز). والجيش الثاني - ويتولى قيادته ولي العهد (فريدريك غليوم - الثالث)[٦٠]. ومهمته التقدم إلى (توتنو - ناشود). على أن يتقدم الجيشان ليلتقيا بعد ذلك عند (جيتشن)[٦١]

وقع اختيار (مولتكه) على مدينة (جيتشن) لتكون مركزاً لهذا الحشد، لا بسبب الأهمية الإستراتيجية التي لها. بل بسبب المسافة، إذ انها كانت على مسافة متساوية من الجيشين البروسيين الرئيسيين. وفي الوقت ذاته فإن (جيتشن) كانت على مسافة متساوية أيضاً من (تورجاو) و (أولمتز) أي على مسافة واحدة من جيش الألب البروسي، ومن الجيش النمساوي الأساسي. فإذا ما تحركت الجيوش البروسية لاتمام عملية الحشد في ذات اليوم الذي ينطلق فيه الجيش النمساوي من (مورافيا) فإن حشد الجيوش البروسية سيتم قبل أن يصل النمساويون إلى (جيتشن). على أن الضباط البروسيين الذين في المقدمة لم يسلموا الضباط النمساويين قرار بروسيا بإعلان الحرب على النمسا قبل يوم (٢٢ حزيران - يونيو - ١٨٦٦) وإن كانت بروسيا قد بدأت عملياتها العدائية ضد الولايات الألمانية الأخرى منذ يوم (١٦ حزيران - يونيو) فبدأ جيش الألب احتلاله لساكسونيا في ذات اليوم الذي بدأ فيه الجيش النمساوي سيره من (أولمتز)[٦٢] نحو (جوزيفستادت) على الألب العلوي.

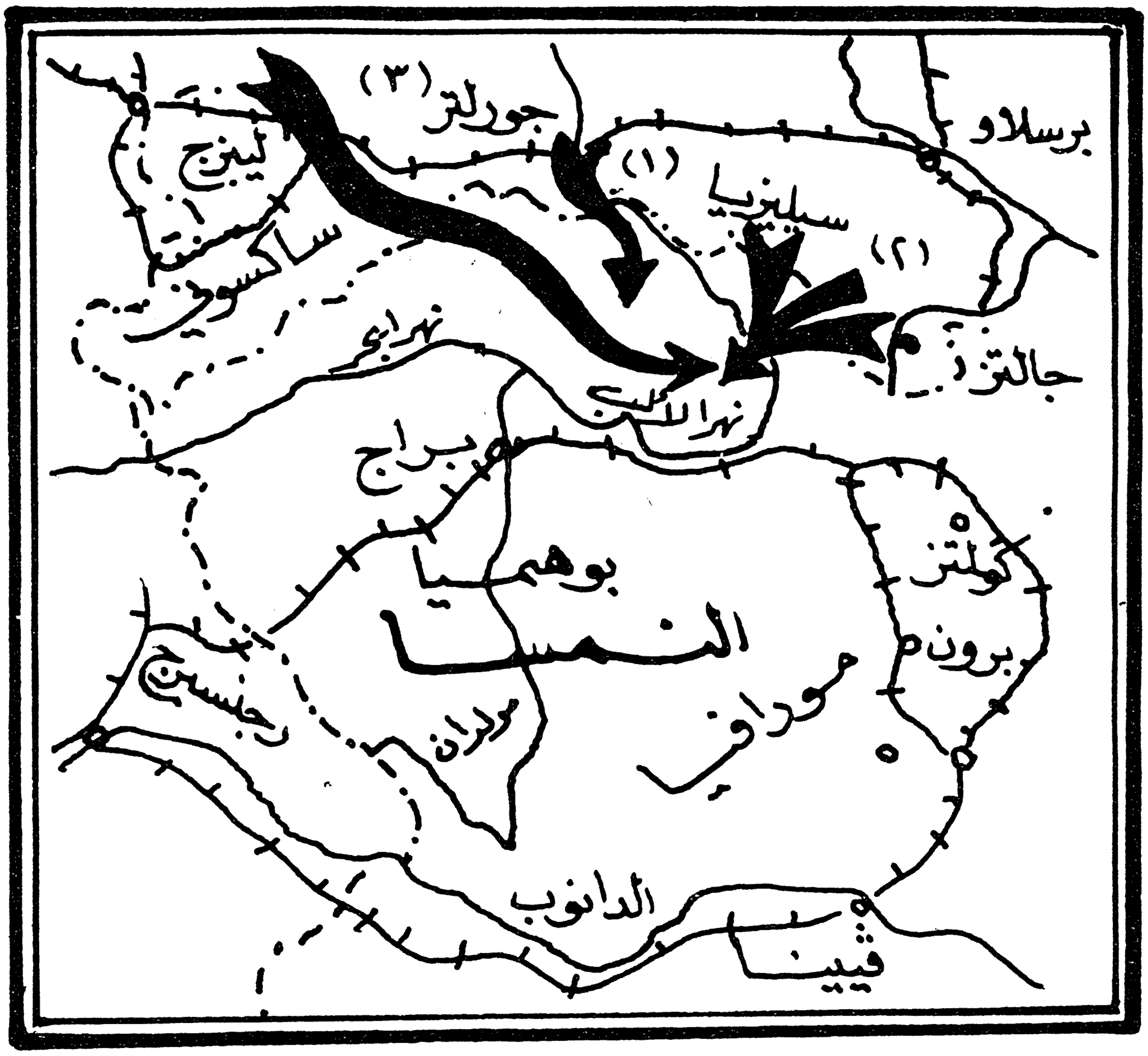
تحرك الجيش النمساوي من (مورافيا) في ثلاثة أرتال متوازية، وبالرغم من أن الجهد كان كبيراً، فإن النمساويين وصلوا إلى أهدافهم

معركة (سادوفا). اشتهر بالحزم والكفاءة قدر شهرته بالقسوة الوحشية - اللاإنسانة.

(٦٠) فريدريك غليوم (الثالث: (FREDERIC-III) ملك بروسي، من مواليد بوتسدام (١٨٣١ - ١٨٨٨م) برز إسمه في الحربين البروسيتين ضد النمسا وفرنسا. تولى الملك في سنة ١٨٨٨م ومات بعد ثلاثة أشهر فقط من استلامه الملك.

(٦١) جيتشن: (GITSCHIN).

(٦٢) أولمتز: (OLMÜTZ) أو (OLOMOUC)مدينة المانية (في تشيكو سلوفاكيا - إقليم مورافيا حالياً) تقع على نهر مورافا تنازل فيها (فرديناند الأول) عن العرش سنة ١٨٤٨ بنتيجة ثورة فيينا.



(١) جيش سيليزيا الأول (٢) جيش سيليزيا الثاني

(٣) جيش الألب

«منطقة معركة بوهيميا عام ١٨٦٦ توضح الخطوط الحديدية الرئيسية وتقدم الجيوش البروسية الثلاثة»

بسرعة، وفي نظام جيد. ولكن بعد وصول الحرس الأمامي إلى (جوزيفستادت) يوم (٢٦ حزيران ـ يونيو) كان حشد الجيش ثانية في كتلة واحدة يتطلب ثلاثة أيام. وربما كان ضياع الوقت هنا هو الذي أنقذ الجيش البروسي. وبالرغم من تحذيرات (مولتكه) المستمرة، فإن الجيش الذي تولى قيادته الأمير (فريدريك شارل) تقدم بصورة بطيئة لأنه أراد انتظار جيش الألب الذي تقرر أن ينضم إليه بعد احتلاله (لساكسونيا) وقد أعطى هذا لقائد الجيش النمساوي (بينديك) فرصة استخدام خط العمليات الداخلي.

كان الأمير (فريدريك شارل) قد أخذ في التحرك نحو (موشنفراتز) وعندما اقترب منها تراجع الجيش النمساوي الذي كان يقوده (كلام غالاس)[٦٣] نحو (غيتشن). وفي هذا الوقت ذاته كان ولي العهد (فريدريك غليوم) يلحق بالجيش النمساوي الآخر هزيمتين في (ناشود) و(سكاليتز) فأصدر القائد العام النمساوي (الفيلد مارشال بينديك)[٦٤] أمره بسحب كافة القوات النمساوية إلى (سادوفا)[٦٥] وفي يوم (٣٠ حزيران ـ يوينو) كان الجيشان البروسيان على مسافة قريبة كل من الآخر بحيث أن الاتصال بينهما لم يكن يتطلب جهداً كبيراً. وبدأ (مولكته) عندما وضح له أن خطر الهجوم النمساوي على واحد

(٦٣) كلام غالاس: (CLAM-GALLAS) واسمه إدوار (EDOUARD)جنرال نمساوي من مواليد براغ (١٨٠٥ ـ ١٨٩١م) ارتبط اسمه بعدد من المعارك التي خاضتها النمسا في هنغاريا وإيطاليا.

(٦٤) بينديك: (BENEDEK, LOUIS) جنرال نمساوي (١٨٠٤ ـ ١٨٨١م) يتمتع بكفاءة قيادية جيدة، وله سجل عسكري حافل في خدمة (آل هبسبورغ) خاض معركة (سادوفا) ووجه جنوده بجرأة وبصورة صحيحة أثناء المعركة (سواء في مرحلتي التراجع أو أثناء المعركة) وقد نشأ (بينديك) في المدرسة الكلاسيكية للفكر الإستراتيجي. وكان مستشاره (الجنرال كريسمانيك: KRISMANIC) والذي لم يكن له رأي في اختياره، رجلاً عاش في الفكر العسكري للقرن الثامن عشر وكان لهذه العوامل كلها الأثر الأكبر في توجيه القيادة النمساوية العليا لإستراتيجية الحرب إذ هدفت القيادة النمساوية ضمان العمق في تشكيلاتها، مع إصرارها على الاحتفاظ بمواقع طبيعية قوية على حين أوضح (مولتكه) من جانبه أن (المسافة) يمكن أن تقهر بعامل (الوقت).

(٦٥) سادوفا (SADOVA) أو (KÖNIGGRÄTZ)قرية في بوهيميا، تقع على نهر بيستريس، (BIS-TRICE) إكتسبت شهرتها بسبب المعركة التي وقعت فيها بين النمسا وبروسيا.

من الجيشين البروسيين قد انتهى ولم يعد من سبيل لتحقيقه، يؤجل من حشد جيوشه، مبقياً كلاً منهما على مسيرة يوم واحد من الآخر ليضمن إتحادهما معاً فوق أرض المعركة. وقد صدرت الأوامر النهائية ليلة (٢ تموز ـ يوليو ـ ١٨٦٦) وكانت الأوامر أكثر جرأة مما ظهر أثناء تنفيذها. ووفقاً لتقدير (مولتكه) كان الجناح الأيسر للجيش الثاني، والجناح الأيمن للجيش الأول سيعملان، لا ضد جناحي النمساويين وحسب، بل وضد مؤخرتهم. وقد فكر (مولتكه) في (سادوفا) كمعركة تطويق. ولكن القادة البروسيين لم يتبعوا تعليماته.

عندما أشرقت شمس يوم (٣ تموز ـ يوليو) انطلقت الجيوش المحتشدة لخوض معركتها. فاشتبك الجيش البروسي الأول مع النمساويين في فترة الصباح. ثم انقض الجيش البروسي الثاني على الجناح الأيمن للقوات النمساوية. وفي ساعات قليلة تمزق الجيش النمساوي الضخم، وترك فوق أرض المعركة (٤٥) ألف قتيل وأسير وجريح (وهو ما يعادل ربع قوة الجيش تقريباً، واضطر (بينديك) لقيادة الجيش الممزق الذي بات يضم (١٥٠) ألف جندي مبتعداً به عن مسرح القتال. وعلى الرغم من أن البروسيين قد حققوا نصراً حاسماً على القوات النمساوية، إلا أن ما اعتراه من الفوضى والاضطراب جعله عاجزاً عن استثمار النصر، ومطاردة خصومه النمساويين بصورة فورية. وبعد فترة أسبوعين، أصدر (مولتكه) أوامره (يوم ١٨ تموز ـ يوليو ـ لاستئناف التقدم نحو (واغرام)[٦٦] لتهديد العاصمة النمساوية. غير أن الحكومة النمساوية أسرعت لطلب الهدنة. ووافقت بروسيا على ذلك.

عندما لحقت الهزيمة بالقوات النمساوية في (سادوفا) أرسل

---

(٦٦) واغرام (WAGRAM) قرية نمساوية تقع على بعد عشرة أميال إلى الشمال الشرقي من فيينا. انتصر فيها نابليون الأول على الأرشيدوق شارل يوم ٦ تموز ـ يوليو ـ ١٨٠٩.

الأمبـراطور النمسـاوي (فرانسيس أو فرانسوا جـوزيف) برقيـة إلى إمبراطور فرنسا (نابليون الثالث) طالباً إليه التدخل. غير أن صدمته في (المكسيك) جعلته غير راغب في ركوب مركب الحرب. وبالإضافة إلى ذلك، فإن النصر الحاسم والسريع الذي أحرزته القوات البروسية جاء مضاداً لكل توقعاته. فكان لا بد من لجوء النمسا إلى الصلح الذي تم التوقيع على معاهدته في (براغ). وقد نصت بنود المعاهدة على أن (فيينا) و (برلين) تتفقان على احترام سيادة العرش النمساوي. ولكن ذلك لم يمنع من إعطاء (فينيتيا) لإيطاليا، كما حصلت بروسيا على ضم أقاليم (هانوفر) و (شيلزويغ ـ هولشتين) و (هيس) و (ناسو) ومدينة (فرانكفورت ـ شير ـ مين) الحرة. وتركت (ساكسوني) من غـير أي مساس بوحدتها. وتشكلت الدول الواقعة إلى (شمال ـ مين) ضمن إتحاد (الشمال الجرماني) تحت زعامة بروسيا. أما الدول الواقعة إلى الجنوب من نهر (مين) فقد ضمها (اتحاد الجنوب المستقل).

ما أن رجع الأمبراطور (غليوم) ظافراً إلى (برلين) حتى أقام المجلس النيابي (البرلمان) الاتحادي، بهدف تأكيد عواطفه التحررية (الليبرالية) الوطنية. كما تم تشكيل حزب جديد عرف باسم (الحزب الـوطني الليبيرالي) وهدفه دعم مسيرة الاتحاد بين (الاتحادين الشمالي والجنوبي). وتمت المـوافقة عـلى (الاتحـاد الجمـركي) من قبـل مجلسي البـرلمـان الاتحاديين. ولكن، وعلى الرغم من ذلك، فقد كان الطريق أمـام الاتحاد الجرماني لازال طويلاً وشاقاً، وذلك بسبب الضغوط التي أخذ امبراطور فرنسا بممارستها على الدول الجرمانية كلها بهدف إعاقتها عن بلوغ هدفها. وكان (بسمارك) يتوقع كل ذلك، حتى من قبل أن يتم التوقيع على معاهدة (براغ) بين النسما وبروسيا، وقد طلب (نابليـون الثالـث) أن يضم إليه كل ما وراء الضفة اليسرى من نهر الراين كتعويض له مقابل ما حققته بروسيا من مغانم وذلك قبل التوقيع على

معاهدة براغ، وها هو الآن يعود للمطالبة بها. وهيمنت على (إتحاد الجنوب البروسي) المخاوف من وقوع عدوان فرنسي، فقام هذا الاتحاد بالتوقيع على معاهدة هجومية ـ دفاعية مع (ملك بروسيا) بصورة سرية. وبات كل شيء جاهزاً للقيام بحرب مشتركة ضد عدو مشترك، تسهم في صهر (دول الاتحاد الجرماني). وكان هذا بدقة هو ما يسعى إليه (بسمارك) ويعمل له بدأب مستمر وجهد متواصل.

٦ ـ مولتكه، وتقويم معركة سادوفا.

إنتهت (معركة سادوفا) بانتصار بروسيا انتصاراً حاسمًا. وقد كان هذا الانتصار ثمرة جهد مشترك، تزعمه (الملك غليوم) وأشرف على إعداده (بسمارك) وخطط له ونفذه (فون مولتكه). وتعرضت المعركة لبحث دقيق، شمل كافة عوامل الصراع (السياسي والعسكري بما في ذلك إدارة الحرب وعملياتها والأسلحة المستخدمة فيها وأساليبها التعبوية ـ التكتيكية وطرائق عملياتها). وكان (مولتكه) هو أستاذ معركة (سادوفا) وهو تلميذها أيضاً إذ ما كادت الحرب تضع أوزارها حتى انصرف (مولتكه) لاستخلاص الدروس المستفادة من المعركة السابقة، والاعداد للحرب القادمة.

تجدر الإشارة قبل كل شيء إلى تلك المذكرة الطويلة جداً، التي كان (مولتكه) قد كتبها في عام ١٨٦٠، وعالج فيها قضية الصراع المحتمل مع النمسا. وقد يكون من الصعب هنا التعرض لكل ما تضمنته تلك المذكرة، غير أن ذكر بعض مقتطفات منها هو أمر كافٍ لإبراز الطريقة التي كان يعالج فيها (مولتكه) مشكلات الصراع.

«... لا ينبغي أن تترك الحرب بين النمسا وبروسيا أية دولة من دول أوروبا غريبة عن النزاع أو لا مبالية فيه، لأن نتيجة انتصار أحد

الخصمين ستضع حداً للتجزئة الحالية لالمانيـا. . وستخلق في وسط أوروبا دولة موحدة تساوي في قوتها ونفوذها أو تتفوق على قوة ونفوذ كل دولة من الدول المجاورة لها.

«إن إنكلترا هي من بين الدول الكبرى التي تحتاج بالضرورة إلى حليف قوي في القارة الأوروبية. ولن تجد دولة من الدول تتجاوب مع مصالحها بصورة مثلى أفضل من (ألمانيا الموحدة) والعاجزة عن الطموح في السيادة على البحار. ولكن من المحتمل أن تقف إنكلترا، كما كانت تقف في الماضي، إلى جانب الطرف الذي يتعرض للهجوم، لتعارض أية تسوية سياسية لأوروبا، ليس من السهل توقعها والتكهن بنتائجها وآثارها على المدى البعيد. . . أما فرنسا، فإنها لا تستطيع أن تقبل بإقامة إمبراطورية ألمانية عدد سكانها سبعون مليون نسمة. . . إلا أنها تستطيع أن تطمح إلى استخلاص أفضل الميزات لنفسها من النزاع، كأن تضم إليها بلجيكا، والمقاطعات الرينانية، وهولندا أيضاً، وأن تكون واثقة كل الثقة من عملية ضمها، إذا جمدت القوات البروسية الرئيسية على الألب والأودر. . . . ومن المحتمل أن تنتصر روسيا لبروسيا وذلك حتى تتمكن من الحصول على القسطنطينية، التي تستطيع النمسا وحدها أن تمنعها من الحصول عليها، بالإضافة إلى الدول البحرية. . ولكن لدعم روسيا لبروسيا محاذيره المضاعفة، مثل وصول الدعم متأخراً عن الوقت الملائم، أو أن يكون دعماً قوياً جداً. . . فما يكاد الجيش الروسي يصل إلى حدودنا، إلا ونكون إما منتصرين، وعندئذٍ لا نهتم بمساعدته. أو مهزومين ومضطرين عندئذٍ إلى دفع ثمن هذا الدعم من الغزو الذي تتعرض له مقاطعاتنا. لأن روسيا عندما تتدخل في نهاية الحملة بجيش نشيط يضم (٣٠٠) ألف جندي، تصبح سيدة الموقف، وفي وضع يسمح لها بإملاء شروطها علينا، وتحديد المدى الذي نستطيع توسيع حدودنا إليه في حالة

النجاح. أو الحد الذي ينبغي أن نعيد إليه حدودنا في حالة الهزيمة».

تعتبر هذه المذكرة في الواقع، نموذجاً واضحاً للمحاكمة المنطقية التي مارسها (مولتكه) بصورة منتظمة خلال السنوات الست التالية، وليس من الغريب بعد ذلك أن تنتصر الإرادة المصممة على بلوغ النصر، والتي أعدت لهذا النصر عدته طوال سنوات حافلة بالعمل والجهد ضد أقوى الجيوش الأوروبية. لقد كان الجيش النمساوي في سنة ١٨٦٦م مصنفاً على انه من أفضل الجيوش الأوروبية. إذ كان يتم تطويع الجنود فيه لمدة سبع سنوات. وكانت خيالته (فرسانه) على درجة عالية من الكفاءة والتدريب. وكانت مدافعه الميدانية المحلزنة متفوقة على مدافع البروسيين التي كانت تنتجها مصانع (كروب) ويصل مداها حتى (٣,٥) كم. ومع ذلك هزم الجيش النمساوي في سبعة أسابيع. وتعزى هذه النتيجة - أولاً - إلى عدم كفاءة هيئة أركانه العامة بالسبة للأركان العامة الألمانية، الأمر الذي لاحظه (مولتكه) عن قرب، وحكم بضعفها أثناء معركة (شيلزويغ - هولشتين) في العام ١٨٦٤. و- ثانياً - بسبب ضعف مشاتها المسلحة ببندقية (لونز) التي تلقم من السبطانة ولا تسمح بالرمي إلا واقفاً -. في حين كانت البارودة البروسية تتفوق عليها تفوقاً واضحاً لأنها كانت تلقم من المغلاق، كما كان تلقيمها يتم بقطعة واحدة تضم الرصاصة والبارود والكبسولة التي تتفجر بإبرة القدح، وكانت هذه البارودة التي حملت إسم (دريزة) مجهزة بموجه يسمح لها بالرمي حتى أربعمائة متر. وكان باستطاعة الرامي نتيجة لذلك أن يستخدمها في وضع (الرامي منبطحاً) وهذا ما ساعد الرماة البروسيين على استخدام أسلحتهم بكفاءة أكبر من كفاءة النمساويين - الرماة - رغم أن بواريد هؤلاء (لورنز) كانت مجهزة بموجه يسمح لها بالرمي حتى ألف متر (أي ضعف مدى البارودة البروسية تقريباً). وهكذا كانت نيران البروسيين

تحدث دماراً في تشكيلات النمساويين الضخمة. ففي معركة (ناشود) جمدت ست كتائب ونصف من البروسيين من مسافة بعيدة، قوة (٢١) كتيبة نمساوية خلال ساعتين كاملتين بواسطة نيران البنادق فقط، وألحقوا بها خسائر تعادل خمسة أضعاف الخسائر التي لحقت بهم. وفي معركة (سادوفا) ومع أن النسماويين قاتلوا دفاعياً طوال يوم المعركة (٣ - تموز - يوليو - ١٨٦٦) بتفوق لصالحهم يعادل خمسة مقابل ثلاثة، إلا أنهم خسروا (١٨) ألف قتيلٍ وجريحٍ مقابل (٩) آلاف قتيل وجريح من الجانب البروسي. وبالإضافة إلى ذلك كان للتلقيم السريع والسهل للنبدقية المزودة بإبرة القدح في وضع الرامي منبطحاً أثر مثبط للعزيمة على المشاة النمساوية التي كانت مضطرة إلى إتخاذ وضعية الرامي واقفاً لتلقيم بنادقها. وقد أكد عقيد نمساوي: «**إن رجاله كانوا يشعرون بأنهم عزل من السلاح في القتال، معظم وقت المعركة. على حين كان البروسيون مستعدين دوماً للرمي**». وقد طبع (مولتكه) تعليماته التي استخلصها من تجاربه، في عام ١٨٦٩، ووجهها إلى قادة الوحدات والتشكيلات، وجاء فيها ما يلي:

«**مما لا شك فيه، هو أن الجندي الذي يرمي بثبات، يتفوق على الجندي الذي يرمي وهو يتقدم، لأنه يجد حماية له في الأرض، على حين لا يجد الآخر المتقدم أمامه سوى الحواجز، وانه إذا ما واجهنا أقوى إندفاع لجندي من جنود المتقدمين، بثبات جنان هادىء، فإن أثر النار الذي أصبح قوياً جداً في أيامنا هذه هو الذي يحصل على النصر. وإذا كان بالمستطاع بالنسبة إلينا أن نحتل موقعاً من المواقع، نضطر خصمنا، إحتمالاً، إلى مهاجمته لسبب سياسي أو عسكري أو بدافع الكرامة القومية، يبدو من المعقول استخدام مميزات الدفاع أولاً، قبل الانتقال إلى الهجوم**». وقد أكدت حملة (سادوفا) رأي (مولتكه) القائل بأن البندقية التي تلقم بواسطة المغلاق، جعلت من الدفاع شكل

الحرب الأقوى، وأن من الواجب تطويق الخصم إذا كنا نريد هجوماً حاسمًا. وقد كتب في هذا الصدد: «**ينبغي أن نتذكر بأن هجوماً يشن من الجبهة فقط، لا يتضمن فرصاً كبيرة في الفوز، وقد يسبب بسهولة خسائر كبيرة. وهكذا فإنه يتعين على القائد أن يحول جهوده ضد أجنحة الموقع المعادي**».

لم يحصل أي تبديل جوهري في تراتيب قتال الطرفين في معركة (سادوفا). فقد استخدمت القوات البروسية الصفوف المنتشرة من أجل استخدام كل الأسلحة في الرمي عند صد هجمات أرتال الكتائب النمساوية. وكانت القوات البروسية بدورها تنطلق في الهجوم بأرتال الكتائب.

أفاد (مولتكه) من معركة (سادوفا) وما رافقها من قصور عن استثمار النصر مباشرة بمطاردة القوات النمساوية. وكان السبب في ذلك هو أن جنود الجيش الثاني، تقدموا في مواجهة الجيش الأول، فسببوا اضطراب الصفوف، وتشابكت وحدات الجيشين بعضها مع بعض، مما وضح معه ان هذا الموقف المضطرب يتطلب وقتا لفصل القوات وإعادة تنظيمها. وقد عمل(مولتكه) على معالجة هذا الموقف خلال مرحلة الإعداد لحربه القادمه (ضد فرنسا).

لقد تعرضت عمليات (سادوفا) للكثير من الجدل والمناقشة، ومما قيل فيها: «لقد وقف الجيش النمساوي بين الجيشين البروسيين الأول والثاني، فأي من الجيشين كان على بينديك أن يهاجمه أولاً؟» وربما كان تقدير (بينديك) صحيحاً عندما قدر أساسياً الهجوم على الجيش البروسي الأول، ولكنه مع هذا قد فشل أن يقدر ـ في الوقت المناسب ـ أن أمامه فقط يوماً واحداً وربما يومين اثنين لا أكثر، ليبدأ الهجوم ضد أحد الجيشين البروسيين دون أن يخشى أن يجيء الجيش

الثاني إلى مؤخرته. ولكن الفرصة أفلتت بسبب إيمان القيادة النمساوية العليا في الفائدة التعبوية ـ التكتيكية ـ للمواقع القوية، أكثر من إيمانها بالقيمة التي لا تقدر لعامل الوقت، ثم بسبب أن الحشد المبكر للجيش قد عطل من خفة حركته. وعندما اكتشف القائد النمساوي (بينديك) خطأه، كانت حتى فرصة التقهقر وراء الألب عند (جوزيفستادت) و(كورينجراتز) قد أفلتت، وكان عليه أن يتقبل المعركة والنهر في مؤخرته. وأفاد (مولتكه) من هذه التجربة، فأوضح أن أهمية (خط العمليات الداخلي) هي أهمية نسبية، وأوجز تجربته للرد على أولئك الذين أكثروا من الحديث عن فائدة العمل على هذا الخط، والتفاخر به، فقال: «**لا تتوافر فوائد خط العمليات الداخلي، ما لم تتوافر لك المسافة الكافية لتتقدم ضد عدو واحد ـ أو قوة واحدة من قوات العدو ـ على عدد من خطوط السير، وبذلك تحصل على الوقت الكافي لتنتصر على هذا العدو تطارده، ثم تتحول نحو عدو آخر، على شريطة أن يكون هذا العدو الثاني طوال قتالك للعدو الأول تحت مراقبتك، فإذا ضاقت هذه المسافة بحيث لا يمكنك مهاجمة العدو الأول دون أن تجازف بمواجهة هجوم العدو الثاني على جنب قواتك ومؤخرتها، فإن الفائدة الإستراتيجية (لخط العمليات الداخلي) تتحول لتكون ضرراً تعبوياً ـ تكتيكياً ـ ناجماً عن عملية التطويق في أثناء المعركة**».

لقد فسرت كلمات (مولتكه) على انها قضاء حاسم ضد العمليات على الخطوط الداخلية، وانها توصية للقيام بمناورات مركزة، أي مناورات تستند كلها إلى مركز واحد. ولكن هذا التفسير لم يكن هو ما يعنيه (مولتكه) أويقصده، ذلك لأنه في الحرب الفرنسية ـ البروسية (١٨٧٠ ـ ١٨٧١) استخدم الطريقتين بنجاح وبحرية تامة، مستنداً أساساً إلى ما يقوم به العدو، فيعمل هو تبعاً لذلك، وقد امتازت

إستراتيجية (مولتكه) بتحرر تفكيره، وتحوله المرن من تطبيق نظرية إلى استخدام أخرى ـ بسرعة ـ تبعاً لما يتطلبه لموقف.

ولقد قيل أيضاً أن إستراتيجية (مولتكه) إنما هي إنعكاس للقوة العسكرية التي توافرت لبروسيا في ذلك الوقت. ويعتبر مثل هذا القول صحيحاً مع بعض التحفظات، ففي سنة ١٨٦٦، كان على (مولتكه) أن يوجد الأفضلية القليلة في قوة الجيوش البروسية في (بوهيميا) وقد جازف بأن سحب الجنود من كل الولايات الألمانية تاركاً جيشاً صغيراً جداً للعمل ضد حلفاء النمسا من الألمان، ولو كانت حملة (بوهيميا) قد استمرت لوقت أطول، أو كانت قد توقفت دون نتيجة حاسمة، (كان باستطاعة (نابليون الثالث) الاستيلاء على أرض الرين، ولكان باستطاعته أن يقرر مستقبل القارة الأوروبية. وهذه إمكانات لم تتوافر له أبان الحرب (١٨٧٠ ـ ١٨٧١م).

٧ ـ الحرب البروسية ـ الفرنسية (١٨٧٠ ـ ١٨٧١م).

تجمعت السحب القاتمة في سماء (بروسيا ـ فرنسا) منذرة باقتراب العاصفة، وقد كان لتلك الغيوم عوامل تشكلها، الخارجية منها والداخلية، البعيدة منها والقريبة. وعلى هذا فلم تكن الحرب التي انفجرت بعد ذلك هي مجرد انحراف في مزاج الملكين (البروسي ـ والإفرنسي) ولا كانت مجرد حدث طارىء نجم عن ظروف عارضة. وقد يكون من المناسب هنا المرور سراعاً على مسيرة تلك الأحداث التي أدت للحرب، والتي تعتبر بدورها نموذجاً واضحاً لانفجار الحروب في بداية تشكل (عصر الديموقراطيات الغربية) وفقاً لما هو مصطلح على تسميته.

وقع عصيان في الأسطول الإسباني، في شهر أيلول سبتمبر ـ ١٨٦٨

أدى إلى إقصاء الملكة الإسبانية (إيزابيللا الثانيـة)[٦٧] عن الحكم، وتعيين الماريشـال (بريم)[٦٨] وصيـاً على الملك. ولـما كانت جماهير الشعب الإسباني غير راغبة في تبني النظام الجمهوري، وليست على استعداد لقبوله، فقد مضى الماريشال (بريم) في البحث عن (ملك) يقبل تسلم تاج المملكة، حتى أعيته الحيلة، وسدت في وجه مسعاه السبل. وأخيراً لجأ إلى مباحثات سريه في شهر شباط ـ فبراير ـ ١٨٧٠م مـع (بسمارك) الـذي اقتـرح عليـه مـرشحـاً منـاسبـاً هـو (الأمـير ليوبولد ـ الهوهنزوليرني ـ السيغماني) والذي يمت بصلة قرابة بعيدة إلى الأسرة المالكة البروسية (ال هوهنزولـرن)[٦٩] واتصل (بريم) مع الأمير المرشح للملك، فرحب هذا بالاقتراح، غير إنه اشترط لقبول العرض موافقة إمبراطور فرنسا (نابليون الثالث) وملك بروسيا (غليوم). وكتب (بريم) رسالة إلى الملك غليوم الذي بوغت مباغتة تامة بالأمر، إذ لم تكن لديه أية معرفة بالمباحثـات السريـة التي أجراهـا رئيس وزرائه (بسمارك) مع الـوصي على الملك الإسبـاني (بريم). ورفض الملك غليوم العرض الإسباني رفضاً قاطعاً، وأرسل إلى (بريم) رسالة أبلغه فيها معارضته لهذا الترشيح. وتبع ذلك المزيد من المبـاحثات بـين (بريم) و (بسمارك). وقامت الصحيفة الإسبانية (أيبوكا) بالكشف عن تلك المباحثات السرية بصورة مباغتة في يوم ٣ تموز (يوليو) ١٨٧٠.

---

(٦٧) إيزابيللا الثانية: (ISABELLE II) واسمها (ماري لويس: MARIE-LOUISE) إبنة فردينـاند الثامن، وهي من مواليد (مدريد) (١٨٣٠ ـ ١٩٠٤) سميت ملكة وهي طفلة (سنة ١٨٣٣) ثم قامت حركة تمرد في الأسطول امتدت إلى الجيش وعزلها قادتها عن الملك سنة ١٨٦٨.

(٦٨) بريم: (PRIM-JUAN) رجل دولة وقائد إسباني، (١٨١٤ ـ ١٨٧٠) وهو أحد مؤلفي قصة عزل إيزابيللا الثانية عن الملك، وأصبح بعد عزلها وزيراً للحرب ووصياً على الملك.

(٦٩) آل هو هنزولرن: (HOHENZOLLERN) كانت قديماً منطقة ألمانية تقع على نهر الدانوب، مهد الأسرة المالكة التي حملت الاسم ذاته وتولت الملك من سنة (١٧٠١) حتى سنة (١٩١٨) في ألمانيا. وكانت إلى جوارهـا (سيغمار ينغن: SIGMARINGEN) التي ألحقت ببـروسيا سنـة (١٨٤٩) وهي تؤلف اليـوم مع قسم من وورتمبـرغ: (WURTEMBERG) إقليمًا في ألمـانيـا الغربية ـ وقسمت إلى أقسام، تقع في وسط البلاد، وعاصمتها (توبنجن: TÜBENGEN).

وعندما علم (نابليون الثالث) بالأمر بوغت مباغتة تزيد على تلك التي أصابت (غليوم) يوم علم بأمر المباحثات السرية، وما كان منه إلا أن أرسل برقية احتجاجية شديدة اللهجة إلى كل من إسبانيا وبروسيا.

صدرت صحف باريس في اليوم التالي وهي تحمل العناوين المثيرة، والمقالات العنيفة، التي تتحدث عن إحياء إمبراطورية (شارل الخامس) واجتاحت العاصمة الفرنسية نوبة من الجنون الأحمق هستريا ـ مما دفع أحد السياسيين الفرنسيين إلى الكتابة في مذكراته اليومية: «**يبدو لي بأن هذه هي الحرب، أو ما يشبهها**». وفي اليوم التالي، استدعى الأمبراطور الفرنسي (نابليون الثالث) المجلس الاستشاري للدولة ونوقشت قضية التعبئة العامة. واقترح وزير الخارجية الفرنسي (الدوق غرامونت)[٧٠] تكليف السفير الفرنسي في برلين (الكونت بينيديتي)[٧١] بمقابلة ملك بروسيا (غليوم) والتماس وساطته لإقناع (ليوبولد) بسحب ترشيحه للمملكة الإسبانية. وكان الملك البروسي خلال هذه الفترة مقيمًا في (أيمس)[٧٢] يستريح في حمامتها المعدنية الدافئة. فتوجه (بينيديتي) إليها، وقابل (الملك غليوم) يوم ٩ تموز ـ يوليو ـ ١٨٧٠، فقال الملك غليوم: «**بأنه لا يعتزم تشجيع ليوبولد، وأن القضية تخص مدريد وحدها**». غير أن هذه الإجابة لم تقنع (نابليون الثالث) ولم تحظ برضاه، فعاد (غرامونت) وأبرق إلى السفير (بينيديتي) بما يلي: «**نطلب إلى الملك ـ البروسي ـ بأن يمنع الأمير من الاستمرار في ترشيح نفسه**» وعندما نقل السفير الفرنسي إلى الملك (غليوم) ما تتضمنه هذه

---

(٧٠) الدوق غرامونت: (GRAMONT, AGENOR — PRINCE DE BIDACHE, DUC DE-GUICHE ET, DE, GRAMONT) (١٨١٩ ـ ١٨٨٠م) ديبلوماسي فرنسي من مواليد باريس.

(٧١) الكونت بينيديتي: (BENEDETTI-VINCENT) ديبلوماسي فرنسي ـ من مواليد بيستيا (BASTIA) (١٨١٧ ـ ١٩٠٠م) كان سفيراً لفرنسا في برلين عندما أعلنت حرب ١٨٧٠.

(٧٢) أيمس: (EMS) مدينة المانية في إقليم هيس (HESSE)قريبة من (غوبلنز) وهي مركز استحمام للمياه المعدنية الدافئة. اشتهرت بالبرقية التي أرسلت منها يوم ١٣ تموز ـ يوليو ـ ١٨٧٠، والتي نقلها (بسمارك) للصحافة، فكانت السبب المباشر لإعلان الحرب البروسية ـ الفرنسية.

البرقية، اهتاج كثيراً وأظهر ضجره وضيقه، غير أنه وافق بالرغم من ذلك على السماح للسفير الفرنسي بالاتصال مباشرة مع (ليوبولـد) وإرسال برقية له بهذا المضمون. وكان الأمير ليوبولد في أثناء ذلك مقيمًا في (سويسرا) وقد تلقى والده البرقية، وأجاب عليها مباشرة: «**بأنه يسحب الترشيح باسم ابنه وبالنيابة عنه**». وكان للوالد كل الحق في اتخاذ هذا القرار باعتباره رئيس عائلة الأمراء. وعندما علم (الملك غليوم) برد والد (الأمير ليوبولد) ابتهج له، وشعر بالسعادة، واعتبر بأن القضيّـة بـاتت منتهية. غـير أن الأمبراطـور الفرنسي (نـابليون الثالث) لم يقنع بذلك، فطلب إلى وزير خارجيته (غرامونت) أن يرسل تعليمـاته إلى سفيـره (بينيديتي) لمقـابلة ملك بروسيـا مـرة أخـرى: «**والحصول منه على تأكيد شخصي بأنه سيمنع ليوبولد في المستقبل من العودة لترشيح نفسه**».

قابل الملك البروسي (غليوم) السفير الفرنسي (بينيديتي) في الساعة التاسعة من صباح يوم (١٣ ـ تموز ـ يوليو) في استراحة (أيمس) وكان اللقاء ودياً وأخوياً. وقال الملك البروسي «إنـه يشعر بـالبهجة لأن ليوبولد نشر في الصحافة الألمانية تنازله عن ترشيح نفسه لملك إسبانيا» عندئذٍ، تقدم (بينيديتي) إلى الملك (غليوم) بالـطلب الجديـد الذي أرسله نابليون الثالث، والذي رد عليه الملك غليوم بما يلي: «**إن أبناء عمومتي هم رجال شـرفاء، وهم لم يسحبـوا مرشحهم وفي نيتهم العودة لإحيائه من جديد**». وأوقف الملك غليوم محادثاته على الفور، وأنهى المقابلة.

علم (بسمارك) عن طريق ممثله في (أيمس) بما حدث من مناقشة في المقابلة بين الملك غليوم والسفير الفرنسي. فاستأذن الملك، والتمس منه إيقاف هذه المقابلات والمباحثات غير النظامية، والعودة إلى قنوات الاتصال الرسمي في المحادثات، عن طريق السفراء والوزراء. ووافق

الملك على ذلك، غير أن (بينيديتي) عاد بناء على طلب وزير الخارجية الفرنسي (غرامونت) فطلب مقابلة الملك البروسي مرة أخرى. ورفض الملك غليوم مقابلته، وأرسل إلى رئيس وزرائه (بسمارك) تقريراً بما جرى، وترك له حرية إتخاذ القرار المناسب لنقل ما حدث، سواء إلى السفارات أو إلى الصحافة. واستلم (بسمارك) برقية الملك مساء يوم ١٣ تموز - يوليو - ١٨٧٠م. وأفاد من سماح الملك له بنشر نصها، فعمل على إدخال بعض التعديلات - واللمسات - حتى صارت مقروءة على الشكل التالي: «**طلب السفير الفرنسي إلى الملك في (أيمس) اذناً لارسال برقية إلى باريس تذكر انه يرفض شخصياً ضمان عدم العودة للترشيح، وقد رفض صاحب الجلالة مقابلة السفير، وأبلغه عن طريق رئيس التشريفات - كبير المرافقين - بأنه ليس لديه من جديد ليبلغه إياه**».

بذلك يكون بسمارك قد زور (برقية أيمس) أو انه بالأحرى اخترعها. وكل ما فعله من أجل ذلك هو تكثيف رسالة الملك، وتحويلها إلى شكل (برقية). وعلى كل حال، فالرسالة التي بعثها الملك لم تكن من أجل النشر. لقد كان (بسمارك) يعرف بأن فرنسا تتجه نحو الحرب، وقد أوضح بسمارك موقفه بعدئذٍ بقوله: «**إنه لأمر أساسي بأن يقع الهجوم علينا. . ولهذا فقد عملت على نشر الرسالة - كما هي - وأرسلت نصها برقياً إلى السفراء لتعرف باريس مضمونها فوراً. . وسيكون لها تأثيرها على الفرنسيين، الغاليين، الذين سيثورون غضباً**».

ما ان نشر نص البرقية في باريس حتى أسرع الأمبراطور (نابليون الثالث) فدعا مجلسه الاستشاري للاجتماع. وعندما كان المجلس يناقش الموقف، تسلم الأمبراطور برقية سفيره في برلين (بينيديتي) وكان نص البرقية أكثر اعتدالاً مما أذاعه (بسمارك). وقد حاول وزير

الخارجية الفرنسي (غرامونت) تجنيب بلاده الانـزلاق نحو الحـرب، فاقترح طلب عقد مؤتمر أوروبي، يتم فيه الاتفاق فيما بين العائلات المالكة على منع أفرادها من قبول التاج في ممالك أجنبية. وقد وافق الإمبـراطور (نـابليون الثـالث) عـلى هـذا الاقتـراح فـوراً، إلا أن الأمبراطورة رفضت ذلك، واعتزلت المجلس، ولم يتقدم أحد بـأي اقتراح تبادلي. وجاء بعد ذلك دور الشارع ليتولى قيادة الموقف. وبدأ الجمهور بترديد نشيد (المـارسيليز) الـذي بقي محظوراً إنشـاده منذ سقوط نابليـون (١٨١٥) وحتى ذلك اليـوم. كما أخـذ الجمهور في (برلين) يردد صيحات (تحيا الحرب). وفقد المجلس الإفرنسي كل اتزان له، وأخذ في الانزلاق وراء ما يطالب به الجمهور في الشارع، ولم تنفع تحذيرات (ثيير)[٧٣] و(غامبيتا)[٧٤] فسارت فرنسا على طريق الحرب التي أعلنت يوم ١٩ تموز - يوليو - ١٨٧٠م.

كانت فرنسا تأمل في إقامة تحالف معها يضم النمسا وإيـطاليا، وأخذت في التقرب منهما خلال سنة (١٨٦٩) غير أنها لم تتلق أكثر من إجابات مبهمة وعامضـة. وعندمـا كادت العـاصفة تنفجـر، أرسل (نابليون الثالث) ممثلين شخصيين عنه إلى (فيينا للتفاوض في أمر إقامة

---

(٧٣) ثيـير (THIERS-ADOLPHE) رجل دولـة ومؤرخ فـرنسي، من مـواليـد (مـارسيليـا) (١٧٩٧ - ١٨٧٧م) عمل محامياً في أكس (١٨١٩) وقدم إلى (باريس) فعمل في الصحـافة وأسس صحيفة (لاناسيونال - سنة ١٨٣٠) إشترك في تنظيم المملكة وأصبح وزيراً سنة (١٨٣٢) ثم رئيساً للمجلس (١٨٣٦). وانتخب نائباً سنة ١٨٦٣ ثم في سنة ١٨٦٩. وقف موقف المعارضة من (الـوطنيين) وحـذر المجلس من الصراع ضـد بروسيـا. وعين رئيسـاً للسلطة التنفيذية، فوقع معاهدة (فرانكفورت) مع بروسيا بعد هزيمة فرنسا. وقضى على ثورة (كومونة باريس) وانتخب رئيساً للجمهورية (١٨٧١) نظم الملكيين والمحافظين واعتمد عليهم لقلب السلطة (١٨٧٣ - ٢٤ أيار، مايو) وله مؤلفات تاريخية هامة.

(٧٤) غامبيتا: (GAMBETTA, LÉON) محام ورجل دولـة فرنسي (١٨٣٨ - ١٨٨٢) بـرز دوره في الحزب الجمهوري بعد انهيار أمبراطورية نابليون الثالث، وأصبح عضواً في حكومة الدفاع الوطني وبذل جهوداً جبارة لتنظيم المقاومة ضد البروسيين وأصبح رئيساً لمجلس الوزراء سنة ١٨٧٩ ورئيسـاً للمجلس النيابي ١٨٨١. إشتهـر بالفصـاحة وصـدق الوطنيـة والإخـلاص للجمهورية.

الحلف. وعاد هؤلاء في يوم ٢٠ تموز ـ يوليو ـ أي بعد يوم واحد من إعلان الحرب على بروسيا) وهم يحملون* الإجابة الرسمية (**الحياد**). وقررت الدانيمارك بدورها أيضاً البقاء على (**الحياد**). ولم تكن انكلترا في موقف يشجعها على دعم فرنسا، بالرغم من أنها كانت تعارض استمرار قيام الحرب، لاسيما وأن (بسمارك) قد أقدم في يوم ٢٥ تموز ـ يوليو ـ على نشر رسالة في صحيفة (التايمز ـ اللندنية) فضح فيها مشروع الأمبراطور الفرنسي لعام ١٨٦٦ والذي كان يريد من ورائه ضم بلجيكا إلى فرنسا. وهكذا، وجدت فرنسا نفسها وحيدة في مواجهة الحرب، وكان أسوأ ما في موقفها انها لازالت مستمرة في التمسك بالأسطورة النابوليونية القائلة بأن (فرنسا لا تهزم). وقد أخفى هذا الحلم الخادع عن أنظار الشعب الواقع الذي كانت تعيشه فرنسا، من انقسام داخلي، وبحث عن المغانم، وتشتت بين أعضاء الحكومة «إن فرنسا كالجثة تجمعت فوقها كالوحوش الضارية فئة من السماسرة تريد أن تقتسم فيما بينها الغنيمة» لقد تأصلت في فرنسا روح الإهمال واللامبالاة بداية من الحكومة وحتى أجهزة الإدارة وقيادات الجيش وأجهزة التخطيط والعلوم والفنون والمصانع، ولم يبق إلا الجندي واقفاً بثبات في محاولة منه للمحافظة على تقاليده القديمة. **تلك هي أمثولة الرجل المادي، يحرث الأرض ويجدف في السماء**. ولقد حاول (الجنرال تروشو)[٧٥] تحليل هذا الموقف. ورسم لوحة له، فكتب ما يلي:

«عملت الثورات المتتالية منذ سنة ١٨١٥ على إثارة طموحات ـ المواطنين الفرنسيين ـ وخلقت بينهم المنافسة، وأفسدت تفكير كتلة الجماهير عندما خلطت بين الحقيقة والكذب، بين العدل

(٧٥) تروشو: (TROCHU, LOUIS JULES) جنرال فرنسي (١٨١٥ ـ ١٨٩٦) أصبح في سنة ١٨٧٠ رئساً لحكومة الدفاع الوطني وحاكمًا لمدينة باريس. وقد عزل عن منصبه الأخير قبل استسلام المدينة للبروسيين.

والظلم، وأصبحت المنفعة الشخصية هي مفهوم الوجود لدى المواطن والجمهور على حد سواء». لعل من الأمور الغريبة والتي لا يمكن فهم أسبابها الغامضة، رغبة الأمبراطور ومستشاريه العيش في جنة هذا الجنون، على الرغم من كافة المعلومات التي توافرت عن هذا الموقف، ومنها تلك المعلومات التي أرسلها الملحق العسكري الفرنسي في (برلين) وهو (العقيد البارون ستوفل) الذي راقب عن كثب ما يحدث في (بروسيا) وأرسل تقاريره الجريئة التي قارن فيها ـ من غير خوف ـ ظروف بروسيا مع نظيرتها في فرنسا. وتشكل تقاريره ـ من الوجهة التاريخية ـ نبراساً متألقاً. إذ انها تسلط الأضواء على تلك المؤشرات الإنذارية التي أهملتها الحكومة الفرنسية. ولم تحاول الأخذ بها، وكانت تلك التقارير مسهبة، طويلة بعض الشيء أحياناً، ويمكن منها اقتطاف مايلي:

«**٢٦ ـ** أيار ـ مايو ـ **١٨٦٨**، يرتفع مفهوم الخدمة السماوية أو الواجب المقدس فوق الملك والجيش والوزير، والبحث عن المجد هو رائد الجميع... ثم تأتي أجهزة الدولة المختلفة لتحتل مرتبتها بعد ذلك من أجل تنفيذ إرادة الملك وتأمين متطلبات الجيش، والاستجابة لرغبات الوزير... وهذا ما يناقض الموقف الذي يضطلع الجيش الفرنسي بممارسته، والذي أصبح مجرد ثروة مهملة، وكتلة من الرجال يخسرون يوماً بعد يوم انضباطهم وروحهم العسكرية» **وفي تقرير آخر تاريخه ١٢ ـ آب ـ أغسطس ـ ١٨٦٩ ـ للعقيد ستوفل ذاته ـ جاء ما يلي: «إن النقاط الرئيسية التي أحاول إيضاحها هي التالية:**

١ ـ ليس بالمستطاع تجنب الحرب ـ التي باتت تحت رحمة أي حدث طارىء.

٢ ـ لا تعتزم بروسيا مهاجمة فرنسا، وهي لا تبحث عن الحرب، وستحاول تجنبها بقدر ما تستطيع.

٣ ـ غير أن بروسيا تمتلك قدراً كافياً من بعد النظر، الأمر الذي يسمح لها بأن تدرك أن الحرب التي تحاول تجنبها ستتفجر بصورة حتمية، وهي لذلك تبذل قصارى جهدها حتى تتجنب كل مباغتة ممكنة أو محتملة عندما يقع الحدث الخطير.

٤ ـ لا تمتلك فرنسا بعد النظر، أو صحة التوقعات المتوافرة لبروسيا، وذلك بسبب عدم المبالاة والطيش، والجهل بطبيعة الأشياء قبل كل شيء، مما هو مهيمن على فرنسا».

* * *

فأي تناقض كانت تعيشه فرنسا؟ لقد نصبت الحكومة ذاتها باعتبارها ممثلاً للشعب، وانعكاساً لتطلعاته وآماله واهتماماته المتناقضة، والحمقاء أحياناً... وأية وطنية تلك التي تقوم على ا لحقد أو توزيع الاتهامات أو تعمد الشر. ثم تزعم أنها وحدها تستشعر القلق على مصالح الأقليم ورفاهيته، وتعمل على مناقشة الحكومة بشأن جندي واحد، أو بشأن إنفاق فرنك، وذلك من أجل اكتساب الشعبية في وسط حزبي ـ مشاغب ـ.

لقد عملوا على إضعاف فرنسا وقذفوا بها إلى التضليل والخداع الذي هو أرهب الأعداء وأخطرهم... والصحافة هي باستمرار صحافة تافهة وعابثة، وتسهب المقالات المستفيضة في معالجة أكثر المواضيع أهمية من غير أن تحاول فهم هذه المواضيع، إنها تتبع السبل لخدمة الأحزاب لا لخدمة الوطن الفرنسي... ولم يبق على فرنسا إلا أن تسخر ضاحكة من كل شيء وعلى كل شيء، ولم يعد هناك مجال لاحترام أقدس القيم والفضائل: مثل الأخلاق والروابط العائلية وحب الوطن والشرف والدين وسواها من الأشياء التي باتت موضوعات مضحكة للعابثين المستهترين وللجيل الذي نشأ على الشك

في كل الأمور . . . أليست هذه كلها مؤشرات للتدهور الحقيقي؟»[*].

تلك هي اللوحة لحالة فرنسا كما رسمتها أصابع الفرنسيين ذاتهم، ولم ترسمها أنامل الكتاب الأجانب، وقد انعكست هذه الحالة على الجيش الذي بات ينظر إلى قادته باحتقار وازدراء بعد حروب الجزائر، والقرم، والمكسيك والصين وإيطاليا. وقد خدر الجيش نفسه باعتقاده «إنه ما من قوة يمكن لها الصمود أو المقاومة عندما يندفع الجندي الفرنسي في هجومه». وهيمنت على الجيش الفرنسي في سنة **١٨٥٩** مقولات منها على سبيل المثال: «إن الجنرال الجندي هو الذي انتصر في معركة ـ سولفورينو ـ»[٧٦]. وفي ذلك ما يكفي للانتقاص من دور القادة الجنرالات الذين لم يبق لهم إلا دور ثانوي. وقد جاءت الصحافة الديموقراطية (؟) لتسهم في هذه التربية ولتعمل على دعمها وتعزيزها.

في هذا الوقت، كان الموقف في بروسيا مناقضاً تماماً، وكان الجيش فيها أرستقراطياً وليس ديموقراطياً. وتحقق لبروسيا ما أراده لها غليوم منذ تولى ملكها عندما قال: «يجب أن تكون بروسيا أمة مسلحة، أمة في جيش». وتكفي المقارنة بين (مدرسة الحرب البروسية) وفقاً لما سبق ذكره، مع ما سبقت الإشارة إليه عن حالة الجيش الفرنسي. ولقد كانت لقوات الجيشين البروسي والفرنسي نقاط ضعفها، ونقاط قوتها، وهي في كل الأحوال لم تكن تكمن في السلاح، وإن كان للاختلاف في الأسلحة دور كبير في الصراع على نحو ما سيأتي عرضه. كما أن تلك النقاط لم تكن كامنة في القدرة العددية، وإن كان لتلك القدرة دورها أيضاً. وهي لم تكن في تنظيم القيادات وهيئات الأركان، وإن

(*) MILITARY-REPOTS, LIEUT-COLONEL BARON STOFFEL, ENGLISH EDITION, 1872 P. P. 93, 142.

(٧٦) سولفورينو: (SOLFERINO) بلدة إيطالية في إقليم مانتوا، انتصر فيها الفرنسيون على النمساويين في ٢٤ حزيران ـ يونيو ـ ١٨٥٩.

كان للتنظيم المذكور دوره الأساسي والحاسم في تقرير نتيجة الحرب. وإنما كان في محصلة تلك النقاط كلها، وهي نقاط لم تتشكل في ظروف الحرب، وإنما تكونت عبر مراحل متطاولة أخذت مساراتها بصورة متباطئة أحياناً، وبتسارع مذهل في أحيان أخرى، لتلقي بثقلها في النهاية على مسرح الصراع المسلح.

أ ـ مخططات الحرب.

وضعت القيادة الفرنسية خطة عملياتها، فكانت طبعة محرفة عن خطة عمليات (معركة يينا)(*) غير أن (نابليون الثالث) حل محل (نابليون بونابرت ـ الأول) وقد قرر الأمبراطور الفرنسي القيام بهجوم مباغت، مع علمه بأن البروسيين يتفوقون على جيشه عددياً، وقبل أن ينهي تعبئة كل قواته المسلحة، فلم يكن هناك من قرارات يمكن أن تكون أكثر أذى ولا أشد ضرراً من هذا القرار. وكان يؤمن بفكرة ثابتة مضمونها أن هجوماً مباغتاً باتجاه الشرق، يتجه إلى ما وراء الرين، سيضطر دول ألمانيا الجنوبية إلى التخلي عن (بروسيا) وتتيح له مساعدة النمسا، وربما إيطاليا أيضاً. وكان تصميمه بأن ينضم إلى النمسا، عندما يفرض الحياد على (إتحاد جنوب ألمانيا) وأن يسير إلى برلين عن طريق (يينا). ولقد كان بالمستطاع تحقيق النجاح لهذه الخطة الخيالية الطموح ـ بشكل أو بآخر ـ لو عملت فرنسا على تعبئة قواتها واستنفارها بصورة أسرع، ولو أنها أعدت للحرب إعداداً أكثر دقة وإحكاماً، ولو انها وضعت لعملياتها أيضاً جدولاً زمنياً يتضمن أدق التفاصيل. غير أن الفرنسيين لم يفعلوا شيئاً من ذلك على الإطلاق. وكان هذا الوضع ناجماً عن عدم كفاءة هيئة الأركان العامة الفرنسية

(*) يينا: (IÉNA) مدينة ألمانيا على نهر السال SAALE، أحرز فيها نابليون بونابرت انتصاراً حاسمًا على البروسيين في سنة ١٨٠٦.

التي كانت مؤلفة من مجموعة من الشبان (الأساتذة الصغار) التي لا تماس لها أصلاً مع الجيش ومشكلاته. ومن مجموعة من كبار القادة المسنين الذين تحولوا إلى ضباط مكاتب (بيروقراطيين) بعد أن استنزفت قدرتهم ضغوط العمل الرتيب ـ الروتيني ـ وكان الماريشال (بازين)[٧٧] حذراً جداً من هيئة أركانه العامة، حتى إنه منع ضباطها من الظهور فوق ساحة المعركة. وكان يثق في هيئة أركانه الشخصية، مثله كمثل نابليون بونابرت قبل ستين عاماً. ولا يمكن التسامح بمثل عدم الكفاءة هذه، لأنه في شباط ـ فبراير ـ ١٨٦٨م نقل (البارون ستوفل) الملحق العسكري الفرنسي في (برلين) التقرير التالي إلى رؤسائه: «. . . ان **تكوين هيئة الأركان البروسية هو أكبر ميزة، من بين كل عناصر التفوق، التي ستستفيد منها بروسيا في أي حرب قادمة. وهي ميزة حتمية ومؤكدة، فهيئة الأركان العامة البروسية هي أول الهيئات في أوروبا وأكثرها كفاءة. . . ولا يمكن مقارنة هيئة أركاننا معها أبداً. إن تنظيم هيئة الأركان العامة البروسية سيشكل في الحرب المقبلة أكثر عناصر التفوق لصالح الجيش البروسي**».

لقد حفظت وثائق ومحفوظات القيادة الألمانية النظام الرتيب الذي كان متبعاً في القيادة الألمانية، والذي يمكن تلخيصه بالكلمات التالية: «**كان يعقد في كل صباح مؤتمر لهيئة الأركان، تحت إشراف رئيس هيئة الأركان بهدف مناقشة الموقف، واتخاذ القرارات المناسبة له. ثم تحمل هذه القرارات إلى الملك، حتى إذا ما وافق عليها، تم توزيعها على شكل أوامر إلى القادة المعنيين**». ولم يكن أسلوب العمل هذا،

---

(٧٧) بازين: (BAZAINE-ACHILLE) ماريشال فرنسي، من مواليد فرساي. (١٨١١ ـ ١٨٨٨م) برز اسمه أثناء حرب القرم، وعين قائداً أعلى في المكسيك. كلف سنة ١٨٧٠ بتولي القيادة العليا للجيش الفرنسي في اللورين. لم يستخدم المبادأة، فترك قواته تحت رحمة حصار القوات البروسية في ميتز (METZ) صدر عليه حكم الإعدام حتى الموت سنة ١٨٧٣، هرب من سجنه إلى إسبانيا حيث أمضى الأيام الأخيرة من حياته في (مدريد).

والمميز بدقة متناهية كدقة عمل الساعة، خالياً من النقائص أو العيوب، ذلك انه كان يتجاهل الأمور المباغتة التي هي من طبيعة الحرب، ولا يضع حساباً كبيراً لما هو غير متوقع، تاركاً للقادة المحليين حرية إتخاذ القرارات المناسبة لمجابهة مثل هذه الأمور عند وقوعها، وعلى ضوء الموقف، مما كان يعرض - في بعض الأحيان - المخطط العام الذي وضعته القيادة للتغيير والتبديل.

وضعت هيئة الأركان العامة البروسية مخططها الأولي للحرب في سنة ١٨٦٧، ثم أخذت بعد ذلك في تدقيقه ومراجعته وتعديله بصورة مستمرة. وكان هذا المخطط مميزاً بروحه الهجومية، بقدر ما كان مميزاً ببساطة فكرته: «**الاتجاه العام - باريس - الهدف: تدمير العدو في كل مكان - الوسائل: ثلاثة جيوش**». ووزعت المهام - أو الواجبات - على النحو التالي:

الجيش الأول: بقيادة (الجنرال فون ستينمز) ويضم الفيلقين السابع والثامن وفرقة خياله وقوته (٦٠) ألف رجل.

الجيش الثاني: بقيادة (الأمير فريدريك شارل) ويضم الفيالق الثالث والرابع والعاشر وقوة الحرس وفرقتي خيالة وقوته (١٣١) ألف رجل.

الجيش الثالث: بقيادة ولي العهد البروسي ويضم الفيلقين البروسيين الخامس والحادي عشر والفيلقين البافريين الأول والثاني بالإضافة إلى فرق (وورتمبرغ) و(بادن) وفرقة خيالة وقوته (١٣٠) ألف رجل.

الاحتياط: بقيادة ملك بروسيا ويضم الفيلق البروسي التاسع والفيلق الساكسوني الثاني عشر وقوته (٦٠) ألف رجل. ومركزه (مينز). وإلى جانب هذه القوى، تم تخصيص الفيالق الأول والثاني والرابع (والمكونة من فرقة نظامية وأربعة فرق إحتياطية) لمهمة مراقبة السواحل الدانماركية والحدود النمساوية.

أجرى (مولتكه) حساباته بدقة، وقدر الموقف بصورة صحيحة، ووصل إلى نتيجة وهي أنه ليس بإمكان فرنسا أن تزج في المعركة بأكثر من (٢٥٠) ألف رجل ضد (٣٨١) ألف رجل بروسي. كما أن فرنسا ستكون مرغمة على حشد قواتها حول (ميتز)[٧٨] و(ستراسبورغ)[٧٩] مما يعني انفصال القوات بعضها عن بعض بحاجز (الفوسغ)[٨٠] ولم يكن أمام الفرنسيين خيار آخر بسبب ارتباط تحركاتهم بالخطوط الحديدية.

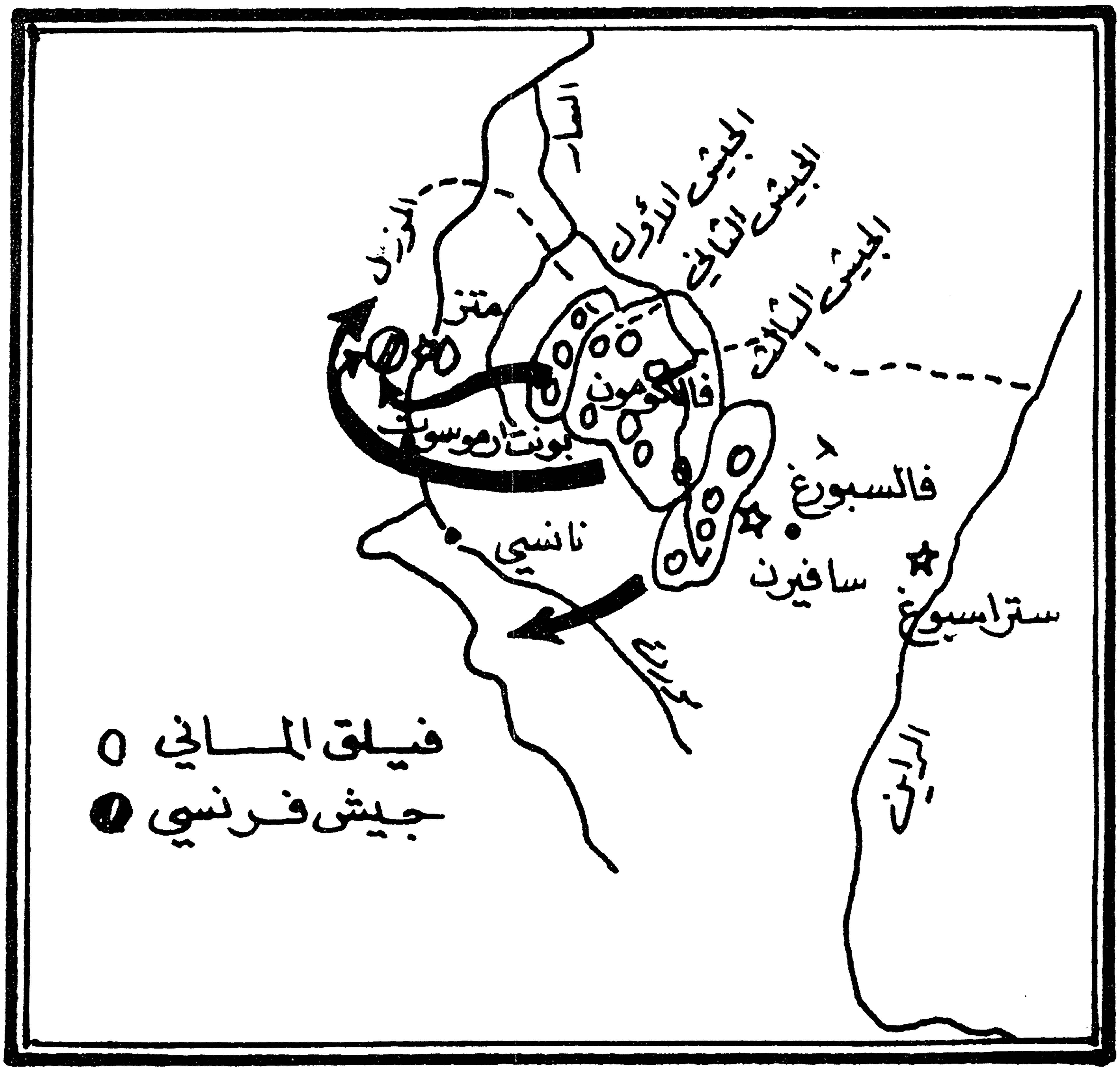
وضع (مولتكه) قراره، على أساس تقديره للموقف، وكان هذا القرار يتلخص بالتالي: «حشد الجيوش الثلاثة خلف تحصينات وسط الراين وقلاعه القوية». بحيث ينتشر الجيش الأول حول (ويتليش) والجيش الثالث بالقرب من (لاندو) أما الجيش الثاني فينتشر بين (هامبورغ) و(نونكيرشن) للعمل كحلقة اتصال بين الجيشين الأول والثالث. وعلى الرغم من الشك الذي انتاب (مولتكه) بشأن احتمال قيام الفرنسيين بهجوم مباغت قبل أن يكملوا استعداداتهم، وقبل أن يفرغوا من حشد قواتهم، إلا أنه لم يسقط ذلك من حسابه. وكان تجمع الجيشين الفرنسيين في موقعين منعزلين تفصل بينهما جبال (الفوسغ) يجعله في موقف مناسب لدعم مركز ثقل قواته أو مجنباتها

---

(٧٨) ميتز (METZ) المدينة الرئيسية في إقليم الموزل (MOSELLE)وتقع على نهر الموزل، تبعد (٣١٢) كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من (باريس). وكانت (ميتز) مدينة هامة أيام (الميروفنجين) كما كانت عاصمة الأوستراسيين (AUSTRASIE) ضمتها فرنسا اليها أيام هنري الثاني، وصمدت في وجه هجمات شارلكان (١٥٥٢) استسلم فيها بازين للبروسيين سنة ١٨٧١، ودخلها الفرنسيون منتصرين سنة ١٩١٨ وسنة ١٩٤٤.

(٧٩) ستراسبوغ: (STRASBOURG) عاصمة اقليم الألزاس. تبعد (٤٤٧) كيلومتراً عن باريس غنية بأثارها التاريخية بسبب قدمها، تعرضت للقصف المدفعي سنة ١٨٧٠. كما عانت كثيراً في الحرب العالمية الثانية.

(٨٠) الفوسغ: (VOSGES) هي سلسلة الجبال الواقعة إلى الشرق من فرنسا، تبدأ من بلفورت (ميناء بورغوني) وترتفع بين الرين والموزل وتنتهي في (هاردت بألمانيا) وتشكل السفوح الشرقية منها كتلة الغابة السوداء. وقد حدث مانهيار في هذه السلسلة شكل سهل الألزاس. ويتراوح ارتفاع القمم بين (١٤٢٦م) في غيبو يللر و(١٠٠٠م) في بوهيميا.



انتشار مولتكو في ١٠ اغسطس ١٨٧٠

بسرعة أكبر من سرعة تحرك قوات الفرنسيين، سواء اتجهت هذه القوات إلى الألزاس، أو إلى اللورين. وقد عبر عن ذلك بقوله:

«إعتمد مخطط الحرب بصورة أساسية، وقبل كل شيء، على فكرة إيقاف هجوم العدو فوراً مهما كان مصدر هذا الهجوم مع المحافظة على القوى الألمانية مجمعة، محتشدة، حتى يمكن الحصول على التفوق بصورة مستمرة على أرض المعركة. ويجب تحقيق مضمون هذه المخططات بأية وسيلة ممكنة، وقد تركت قضية تحقيقه للقرارات التي ستتخذ في حينها. ولم تصدر الأوامر مسبقاً، وبكل تفاصيلها إلا من أجل التحرك حتى الحدود.».

هنا، قد يكون من الضروري العودة مرة ثانية للطرف المقابل حيث الجانب الإفرنسي وإمبراطوره الذي يمكن وصفه (بالهجين النابوليوني) والذي كانت أفكاره تظهر مقبولة عندما ترتسم على الورق، إلا أنها لا تلبث عند تأملها حتى تظهر على صورة أفكار انتحارية. وكان وزير الحرب الفرنسي (لوبوف)[٨١] قد أجرى حساباته، أو بالأحرى تخميناته، على أساس انه سيكون بالمستطاع حشد قوات في اليوم التاسع من الحرب حتى تصل إلى (١٥٠) ألف جندي في (اللورين) و(١٠٠) ألف في الألزاس. وانه بالإمكان زيادة هذه القوات بسرعة حتى تصل إلى أكثر من (٣٠٠) ألف جندي، وذلك لأن الأمبراطور ـ الفرنسي ـ يعرف بأن الجيش البروسي يتفوق على قواته بما يقارب (١٠٠) ألف رجل. وقرر (الماريشال لوبوف) القيام بهجوم مباغت قبل أن ينهي استعداداته لحشد القوات. معتمداً بذلك على فكرة ثابتة وهي أن هجوماً مفاجئاً نحو الشرق سيرغم (إتحاد جنوب ألمانيا) على ترك بروسيا وسيحمل النمسا ـ وربما إيطاليا أيضاً ـ على

(٨١) لوبوف: (EDMOND — LEBOEUF) ماريشال فرنسا، من مواليد باريس (١٨٠٩ ـ ١٨٨٨م) وبرز اسمه أثناء الحملة الإيطالية (١٨٥٩) وأصبح وزيراً للحرب سنة ١٨٦٩م.

تقديم الدعم له. فقرر على هذا الأساس حشد (١٠٠) ألف رجل في (ميتز) و(١٠٠) ألف رجل في (ستراسبورغ) و(٥٠) ألف رجل في (شالون). وتحريك القوتين الأولى والثانية نحو الأمام حتى يتم اللقاء بينهما، وتعبران الراين، لتفرضا الحياد على (دول جنوب جرمانيا ـ ألمانيا) وتأمين الاتصال مع النمسا، ثم السير بعدها إلى (برلين) على نحو ما سبق ذكره، في حين يقوم «الأسطول» الفرنسي بتهديد (البا) و(البلطيق).

بدأت الاستعدادات للحرب تسير في المعسكر البروسي بدقة مذهلة، في حين لم يقم المعسكر الفرنسي باتخاذ أي من الإجراءات الضرورية، وعلى سبيل المثال فإن المخيمات لم تنظم لأنه ما من أحد كان يعرف مكان الخيام، كما لم يحدد جدول زمني للتحرك على الخطوط الحديدية (في القطارات). وكانت بعض التشكيلات تفتقر للمدافع، في حين كانت تشكيلات أخرى تفتقر لوسائط النقل، وبقيت تشكيلات بدون مركبات للإسعاف، وظهر أن بعض المستودعات فارغة من مواد الإمداد والتموين، كما أن بعض القلاع والتحصينات بقيت محرومة من الإمدادات.

توجه الأمبراطور (نابليون الثالث) إلى الجبهة يوم ١٠ ـ آب ـ أغسطس ـ ١٨٧٠ وبرفقته وزير حربيته (الماريشال لوبوف). فتم استدعاء (الكونت باليكاو) إلى باريس ليكون وزيراً للحرب. وفي هذا اليوم ذاته تلقى (الكونت باليكاو) تقريراً من أحد قادة الجبهة، جاء فيه ما يلي: «**لا يوجد في مستودعات الإمداد قدور لغلي الشاي، ولا أطباق ـ صحون ـ ولا أفران، وليست هناك مواد تموينية للمرضى ومركبات الإسعاف، ولا سروج للخيول، وباختصار، ليست هناك مستشفيات ميدانية لا للفيالق ولا للفرق. وقد كان من المحال علينا منذ يوم ٧ ـ آب ـ أغسطس ـ الحصول على بغل مع حمالات نقل**

الجرحى. وفي هذا اليوم، ترك آلاف الجرحى بين أيدي الأعداء وتحت رحمتهم، ولم تتخذ أي إجراءات لإخلائهم من ميدان المعركة. وإذا ما عاش جنودنا لمدة أربعة أيام على ما يقدمه لهم السكان من الصدقات والإحسان، وإذا ما غصت الطرقات بالجنود الذين يموتون جوعاً، فإن ذلك من مسؤولية الإدارة التي يجب توبيخها ولومها... ولقد صدر عن القيادة أمر يوم ٦ ـ آب ـ أغسطس ـ لتدمير أحد الجسور، غير أن البارود المطلوب لعملية التدمير لم يكن متوافراً، لا بين أيدي المهندسين، ولا بين أيدي رجال المدفعية».

كان لا بد من التخلي عن فكرة غزو (دول ألمانيا الجنوبية) بسبب هذه الفوضى التي زادت من سوء الموقف، وأبحر الأسطول الفرنسي في اتجاه (البا) ولكن بدون قوة من الجنود. وجاءت التقارير من مختلف الفيالق لتقنع الأمبراطور نابليون بتشكيل تلك الفيالق في جيشين(*) يضم أحدها الفيلق الأول وفرقة من الفيلق السابع (٣٥ ـ ألف رجل) ويعمل تحت قيادة (ماكما هون) في منطقة (ستراسبورغ). ويضم ثانيها الفيالق ٢ و٣ و٤ و٥ مع قوات الحرس (١٢٨) ألف رجل، ويحمل اسم (جيش الراين) على أن يعمل تحت إشراف الأمبراطور ذاته في منطقة (ميتز). وتبقى هناك قوة احتياطية من الفيلق السادس (٣٥) ألف رجل، تعمل تحت قيادة الماريشال (كانروبيرت) في منطقة (شالون). وتركت بقية الفيلق السابع في (بلفورت) بمهمة مراقبة ما بقي من منطقة الغابة السوداء. غير انه ما من فيلق من الفيالق كان

(*) كانت هناك اسمياً سبعة فيالق وقوة الحرس، غير أن الفيلقين السادس والسابع لم يتخذا أبداً، فكان الفيلق الأول تحت قيادة (ماكماهون) في (ستراسبورغ) والثاني تحت قيادة (فروسارد) في (فورباك). أما الفيلق الثالث فكان تحت قيادة (بازين) في (سانت آفولد) والفيلق الرابع تحت قيادة (باليكاو) في (ليون) والخامس تحت قيادة (دو فايي) في (بيتش) والسادس تحت قيادة (كانروبيرت) في (شالون) والسابع تحت قيادة (فيليكس دواي) في (بلفورت) و(كولمار) والحرس تحت قيادة (بوبافي) في (ميتز) (أنظر خارطة الحرب البروسية ـ الإفرنسية ١٨٧٠ ـ ١٨٧١ ـ المرفقة).

مستعداً لخوض المعركة، يوم تسلم الأمبراطور القيادة العليا في ٢٨ تموز ـ يوليو ـ ١٨٧٠م.

ب ـ المعارك الأولى (فيونفيل وغرافلوت).

أدى تردد الحكومة الفرنسية إلى قيام الغوغاء في باريس بتسلم زمام (الاستراتيجية) وتوجيهها. فاحتشدت الجموع في الشوارع، وارتفع صراخها مطالباً بغزو جرمانيا فوراً، ووجد الأمبراطور ذاته مقيد اليدين في وسط الضجيج الصاخب، **فألح في اليوم الأول من آب ـ أغسطس ـ ١٨٧٠**. بالتحرك نحو السار، والتي كانت قيادتها قد عهدت إلى (الماريشال بازين). وكان تحت قيادة (بازين) فيلقه الثالث بالإضافة إلى الفيلقين الثاني والخامس، فأصدر أمره إلى الفيلق الخامس بالتقدم تحت قيادة قائده (دوفايي). **وفي يوم ٢ ـ آب ـ أغسطس ـ اصطدمت** قوات هذا الفيلق بقوة متقدمة من الفيلق الثامن للجيش البروسي الأول عند (ساربروكن). فتراجعت القوة المتقدمة البروسية، وعلى أثر ذلك، أصدر (مولتكه) إلى (ستين ميتز) بحشد جيشه في اتجاه الجيش الثاني، وأصدر أمره في الوقت ذاته إلى الجيش الثالث بعبور الحدود، ومنع الفرنسيين من نقل القوات من الألزاس إلى اللورين.

إحتل الماريشال الفرنسي (ماكماهون)[٨٢] بلدة (فيسمبورغ) **يوم ٣ آب ـ أغسطس** ـ بقوة فرقة واحدة تحت قيادة (دواي ـ إبل). ولم يكن

---

(٨٢) ماكماهون: (MAC-MAHON. MARIE-EDME-PATRICE-DE) ماريشال فرنسا، ودوق ماغنتا: (DUC DE MAGENTA) (١٨٠٨ ـ ١٨٩٣) برز اسمه أثناء حرب القرم حيث تمكن من الاستيلاء على مالاكوف MALAKOF، كما انتصر في معركة ماغنتا في إيطاليا. وأصبح حاكماً عاماً للجزائر (١٨٦٤ ـ ١٨٧٠). وتولى قيادة جيش في الحرب البروسية ـ الفرنسية، فسحقت القوات البروسية المتفوقة قواته في معركة (إيخ هوفن) ثم أصيب بجراح بالغة في معركة سيدان. ثم انتخب الرئيس الثاني للجمهورية الفرنسية من سنة (١٨٧٣) حتى سنة (١٨٧٩).



الحرب البروسية الافرنسية ١٨٧٠ - ١٨٧١

(دواي) هذا يعرف باقتراب الجيش البروسي الثالث، فبوغت مباغتة تامة في اليوم التالي، وقتل وهو في مخيمه، وتراجعت فرقته لتنضم إلى (ماكماهون) بالقرب من (وورث) حيث كان باستطاعة (ماكماهون) حشد قوة من (٣٢) ألف جندي من المشاة و(٤٥٠٠) جندي من الفرسان ـ الخيالة ـ.

تحرك الجيش البروسي الثالث باتجاه (ماكماهون) **في يوم ٥ ـ آب ـ أغسطس ـ** وكانت قوته تضم (٧٢) ألف جندي من المشاة و(٤٥٠٠) جندي من الفرسان ـ الخيالة ـ. ولما لم يكن (ماكماهون) يمتلك المعلومات الكافية عن قوة عدوه، فقد وضع مخططه للتقدم يوم ٧ ـ آب ـ أغسطس. وفي الوقت ذاته، كان جيش الوصي على الملك (الجيش البروسي الثالث) منتشراً بدرجة كبيرة فقرر تأجيل الهجوم حتى يتمكن من جمع فيالقه وحشدها. وأدى ذلك إلى اشتباكات بين العناصر المتقدمة للطرفين المتصارعين **في يوم ٦ ـ آب ـ أغسطس ـ** غير أن هذه الاشتباكات لم تلبث أن تحولت إلى معركة بين الفيلق البافاري الثاني والفيلق البروسي الخامس، وأخذت المعركة في الاحتدام والتسارع حول **(وورث)**. وكانت هذه أول معركة رئيسية في الحرب. وكانت الهجمات البروسية في البداية مفككة وغير منتظمة، فصمد لها الجنود الفرنسيون، وأكدوا كفاءتهم القتالية التقليدية غير أنه لم يكن باستطاعتهم الصمود طويلاً أمام التفوق العددي للقوات البروسية، وأخذوا في التراجع، ثم شرعوا بالانسحاب بسرعة عبر (الفوسغ) للوصول إلى (نوفشاتو) التي **وصلوها يوم ١٤ ـ آب ـ أغسطس ـ** وأخذ (ماكماهون) في نقل مجموعات القوات من هناك إلى (شالون) حيث وصلتها تلك القوات الفرنسية يوم ١٩ ـ آب ـ أغسطس ـ. **وخسر كل طرف من الطرفين المتصارعين في هذه المعركة ما بين (١٠ و ١١) ألف جندي بين قتيل وجريح** ولما كان الجيش البروسي الثالث غير مستعد

لمتابعة القتال، بسبب حاجته لإعادة التنظيم، فقد امتنع عن مطاردة القوات الفرنسية، وتوقفت المعركة.

كان (مولتكه) يعتزم قبل معركة (وورث) أن يحشد قوات الجيش الأول والثاني خلف (نهر السار) في يوم ٦ آب - أغسطس - ثم يتوقف هناك حتى يقوم الجيش الثالث بتأمين محاور التقدم عبر (الفوسغ). ولكن عندما علم (ستين ميتز) باشتباكات (سار بروكن) عالج الموقف بتسرع، ودفع قواته نحو منطقة الاشتباكات. وكذلك فعلت أيضاً الوحدات المتقدمة للجيش البروسي الثاني (تحت قيادة الأمير فريدريك شارل). وفي هذه الأثناء كانت قوات الفيلق الفرنسي الثاني بقيادة (فروسارد)[٨٣] تحتل (سار بروكن). ولكن ما ان علم (فروسارد) بالكارثة التي نزلت بقوة (دواي) في (فيسمبورغ) حتى أعاد تقويم موقفه بسرعة، وأدرك الخطر الذي يتعرض له في موقعه المكشوف، فقرر الانسحاب، وتراجع في يوم ٥ - آب - أغسطس - نحو مرتفعات (سبيشيرن) الواقعة على بعد أميال قليلة إلى الجنوب الغربي من (سار بروكن).

تقدمت قوة فرسان الجيش البروسي الثاني في وقت مبكر من يوم ٦ - آب - أغسطس - نحو مواقع (سبيشيرن) فاصطدمت بنيران المراكز المتقدمة لقوات (فروسارد). وما هي إلا فترة قصيرة حتى أسرعت الفرقة الرابعة عشرة (بقيادة الجنرال فون كاميك) للتدخل، ونظراً لثقة (كاميك) بتفوق القوات البروسية التي ستدعمه، ونظراً لاعتقاده بأن القوة التي تواجهها ليست أكثر من حرس لمؤخرة الفرنسيين، فإنه لم ينتظر وصول الأوامر إليه من قيادته، بل أسرع بزج لواء من فرقته للهجوم على (روثر بيرغ) الواقعة في وسط التنظيم الدفاعي لقوات

(٨٣) فروسارد (FROSSARD, CHARLES-AUGUSTE) جنرال فرنسي من مواليد فرساي (١٨٠٧ - ١٨٧٥) خسر في سنة ١٨٧٠ معركة فورباك (FORBACH).

(فروسارد). وتكرر هنا أيضاً ما سبق حدوثه في معركة (وورث) إذ بدأ القتال من قبل أن تكون القوات البروسية قد استعدت له. وعلى كل حال، فقد أخذت القوات البروسية في التدفق تباعاً لتصب في ميدان المعركة. وبات بإمكان (كاميك) الاستيلاء بسرعة على (روثر بيرغ). واعتقد (فروسارد) بأنه يواجه قوات متفوقة على قواته ـ ولو أن هذا التفوق لم يكن قد حدث بعد ـ فأصدر أوامره إلى قواته بالتراجع والانسحاب. ولما كانت قوة الفرسان البروسية لاتزال بعيدة عن ميدان المعركة، فقد تكرر ما سبق حدوثه في معركة (وورث) إذ كان من المحال مطاردة القوات الفرنسية المنسحبة، **وانتهت معركة (سبيشيرن) بسقوط أربعة آلاف جندي فرنسي بين قتيل وجريح مقابل خمسة آلاف من القوات البروسية.**

سيطر الذعر على القيادة الأمبراطورية الفرنسية التي كانت متمركزة في (ميتز) بنتيجة الكارثتين اللتين نزلتا بالقوات في (وورث) و(سبيشيرن). فأصدرت القيادة أوامرها بالانسحاب إلى (شالون). ولكن ما إن علمت حكومة باريس التي كانت تعمل بإشراف الأمبراطورة، ببدء تراجع القوات، حتى أعلنت: «بأن العاصمة ستثور ثورتها أذا ما انسحب الجيش» وعلى أثر ذلك، تقرر تغيير مخططات الحرب في **يوم ٩ ـ آب ـ أغسطس** ـ وصدرت الأوامر إلى كافة القوات في شرق (ميتز) بالتوقف عن الانسحاب. كما تقرر التمسك بمدينة (ميتز) والدفاع عنها مهما كان الثمن. وأثناء ذلك بقي (ماكماهون) مستمراً في انسحابه. وفي هذا اليوم ذاته سقطت حكومة (أوليفييه)[٨٤] وعمل الحزب الأمبراطوري الذي كانت تترأسه (الأمبراطورة أوجيني دو مونتيجو)[٨٥] على تعيين (الجنرال الكونت باليكاو) رئيساً للحكومة،

---

(٨٤) أوليفييه: (OLIVIER-EMILE) سياسي فرنسي، من مواليد مارسيليا (١٨٢٥ ـ ١٩١٣) كان وزيراً في الحكومة الأمبراطورية، ثم أصبح رئيساً للوزراء في سنة (١٨٧٠).

(٨٥) أوجيني ـ دو ـ مونتيجو: (EUGENIE — MARIE DE MONTIJO DE GUMAN) كونيس طيبه، =

والذي كان عند اندلاع الحرب قائداً للفيلق الرابع المتمركز في (ليون). وقد تسلم (باليكاو) عمله يوم ١٠ ـ آب ـ أغسطس ـ وأخذ في إدارة الحرب، وأصبحت الإستراتيجية الفرنسية اعتباراً من هذا اليوم لعبة في يد الساسة والسياسات المتناقضة. وقد نشر (باليكاو) ما أطلق عليه اسم (المعاذير) في سنة ١٨٧١ على شكل كتاب رائع أوضح فيه القصور الكامل، والضعف المطلق لتلك الاجتماعات الديموقراطية التي كانت تتولى (إدارة الحرب) وكان مما قاله (باليكاو) في (معاذيره): **«كان مجلس الوزراء يعقد اجتماعه اليومي في الساعة الثامنة صباحاً ليبدأ مناقشاته المستفيضة والتي لا تنتهي. وقد تم الاتفاق في يوم ٩ آب ـ أغسطس ـ على تجنيد (٥٠٠) ألف جندي خلال ثمانية أيام. غير أن المخاوف هيمنت على المجلس من تسليح هؤلاء المجندين، إذ اعتبروا أكثر خطراً من البروسيين. وفي يوم ١١ ـ آب ـ أغسطس ـ اتخذ قرار بالتضحية حتى آخر قرش في الخزانة المالية، وبالدفاع حتى آخر جندي، غير أن (يوليوس فافر)[٨٦] رفع عقيرته يومي ١٨ و٢٣ آب ـ أغسطس ـ مستمراً في صراخه: (نريد السلاح) فيما كان اليسار يردد باستمرار: (السلاح! السلاح!) وكان هدفه الوحيد هو الانقلاب على الحكومة، والإطاحة بها، وتلك هي الأداة السياسية التي كانت توجه العمليات وتعمل على إدارة الحرب».**

كان الأمبراطور نابليون الثالث، لايزال مع جيشه في يوم ١٢ ـ آب ـ أغسطس ـ ١٨٧٠، غير انه عمل في هذا اليوم على تسليم أمور

= من مواليد غرناطة (١٨٢٦ ـ ١٩٢٠) زوجة نابليون الثالث، وأمبراطورة فرنسا من سنة (١٨٥٣) حتى سنة (١٨٧٠) كان لها دور كبير في التأثير على سياسة فرنسا وسياسة العالم.

(٨٦) يوليوس فافر: (FAVRE — JULES) محام، ورجل دولة فرنسي، وهو من مواليد مدينة (ليون) (١٨٠٩ ـ ١٨٨٠م) عرف بأنه شديد الحماسة للنظام الجمهوري، طلب في سنة (١٨٧٠) إسقاط النظام الأمبراطوري، وأصبح عضواً ـ وزيراً ـ في حكومة الدفاع الوطني. وكلف بإجراء المباحثات لعقد معاهدة فرانكفورت مع بروسية.

القيادة العليا إلى (الماريشال بازين). وقد حدث هذا التغيير في لحظة حرجة جداً، ذلك أن الجيش البروسي الأول (بقيادة ستين ميتز) والذي كان يعمل على الجناح الأيمن للجيوش البروسية، كان قد وصل في يوم ١٣ ـ آب ـ أغسطس حتى نهر (نييد) إلى الشرق من (ميتز). وكان الجيش البروسي الثاني (بقيادة الأمير فريدريك شارل) قد نجح في تأمين رأس جسر عند (بونت ـ آ ـ موسون) على نهر (الموزل). في حين كانت طلائع الجيش الثالث العامل بقيادة الوصي على الملك قد اقتربت من (نانسي) و(لونفيل) وهكذا فإن الجيوش البروسية الثلاثة كانت متجهة للالتقاء عند المواقع الشرقية والجنوبية لقوات (بازين). ولم يكن (بازين) يدرك حتى تلك اللحظة خطورة الموقف الذي بات يقترب منه، غير أن معرفته بضعف الدفاع في (ميتز) وحرمانها من الإمدادات، قرر التخلي عن خط دفاعه على ضفاف (الموزل) والتراجع إلى (الموز) ومنطقة (فردان) «أنظر الخارطة المرفقة». وأصدر أوامره بتدمير الجسور القائمة على نهر (الموزل) بهدف حماية عملية الانسحاب لقواته. غير أن أمطاراً غزيرة تدفقت من السماء ـ لسوء حظه ـ فغمرت النهر بمياه الفيضان التي جرفت معها عدداً من الجنود. وكان من نتيجة ذلك بقاء القسم الأكبر من جيشه في يوم (١٤ ـ آب ـ أغسطس) إلى الشرق من (ميتز) حيث تعرض هذا القسم لهجمات قوات الفيلق السابع في (كولومبي) و(بورني). واستطاع (بازين) الإفادة من ظلمة الليلة فأمكن له عبور نهر (الموزل) ببقية قواته، والتمركز على خط مواز لطريق (ميتز ـ فردان) مقابلاً للاتجاه الجنوبي ـ الغربي. وكان ذلك يعني بأنه ما لم تتمكن القوات الفرنسية من إلحاق الهزيمة بالقوات البروسية، فإن على هذه القوات (الفرنسية) التخلي عن فكرة الانسحاب إلى (فردان). وإن خط الانسحاب الوحيد الذي بقي مفتوحاً أمامها هو محور طريق (ميتز ـ بريي ـ مونتميدي) والذي يصل إلى (ريثل) أو (سيدان). غير أن الموقف الحقيقي هو أن (بازين) بات وهو نصف

محاصر، ولو انه لم يكن يدرك ذلك. ولهذا فإنه لم يكن قادراً على التراجع، أو الانسحاب، إلا إذا خاض معركة تضمن له التحرك على محور طريق (بري - مونتميدي). وهو التحرك الذي كان أكثر من مغامرة، وأكثر من عملية خطرة، بسبب وقوع جناح هذا التحرك، في مواجهة عدو منتصر.

انصرف (بازين) لتنظيم جيشه، وأثناء ذلك، كانت فرقة الفرسان الخامسة من الجيش البروسي الثاني (بقيادة فريدريك شارل) قد عبرت نهر الموزل، من نقطة (بونت - آ - موسون). وتمكنت هذه الفرقة من تحقيق التماس مع قوة الفرسان الفرنسيين بالقرب من (فيونفيل) و(روزنفيل) وذلك في يوم (**١٥ - اب - أغسطس - ١٨٧٠**). وعندما هبط ظلام هذا اليوم، كان الفيلق البروسي العاشر يقوم بعبور (الموزل) من نقطة (بونت - آ - موسون). كما كان الفيلق الثالث يقوم بالعبور عند (نوفيان). وما أزفت الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي (**١٦ - آب - أغسطس**) حتى قام الفيلق البروسي الثالث بهجوم عنيف أدى إلى تسارع القتال في المعركة المعروفة باسم معركة (**فيونفيل**)(*). وقد خاضت القوات المتصارعة معركة ضارية، واشتبكت في قتال يائس، غير أن البروسيين. نجحوا في ممارسة ضغوط قوية أرغمت القوات الفرنسية على الانسحاب. ولم يكن (مولتكه) يرغب في تمكين الفرنسيين من الانسحاب، غير أن هذه النتيجة كانت انتصاراً إستراتيجياً حاسماً لقواته، إذ أنها أرغمت (بازين) على إسقاط كل فكرة لانسحاب جديد نحو (الموز). فأصدر أوامره إلى جيشه بالتراجع إلى المواقع المحصنة ما بين (سانت بريفاد) و(غرافلوت) والواقعة إلى غرب (ميتز) وشمالها الغربي. **وخسر كل طرف من الطرفين المتصارعين (١٦) ألف جندي بين قتيل وجريح.**

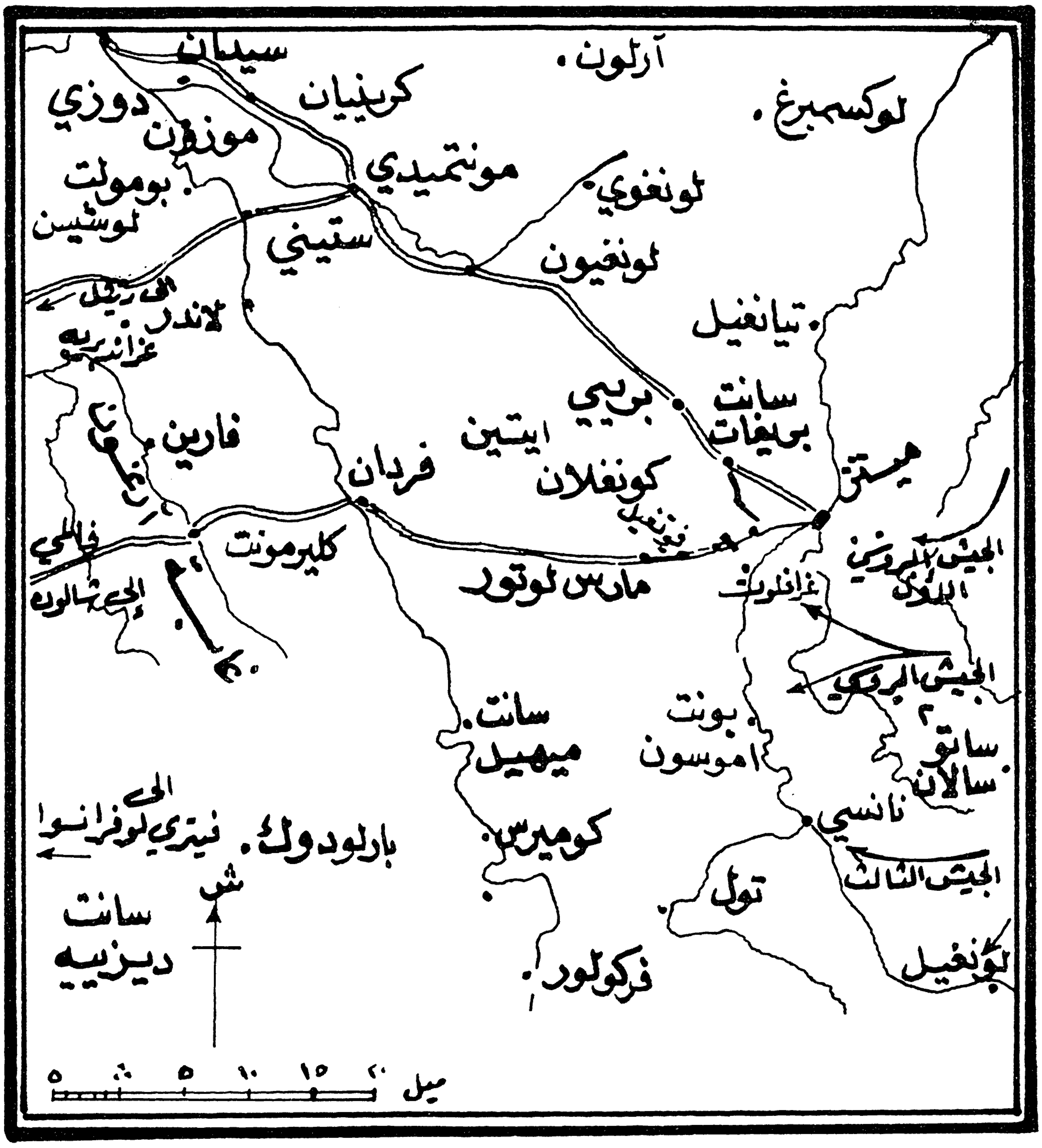
(*) فيونفيل: (VIONVILLE) وتعرف أيضاً باسم مارس لاتور: (MARS-LA-TOUR).

نجح (بازين) في سحب قواته يوم (١٧ ـ آب ـ أغسطس) من غير أي تدخل من جانب القوات البروسية إذ كان (مولتكه) منصرفاً لزج قوات الجيشين الأول والثاني بكاملها (ما عدا الفيلق الرابع الذي كان يتحرك نحو ـ تول ـ بهدف تأمين الاتصال مع الجيش الثالث). وفي اليوم التالي (**وهو يوم ١٨ ـ آب ـ أغسطس**) وقعت المعركة الكبرى المعروفة باسم (**معركة غرافلوت**)(*).

حشد الطرفان المتصارعان في هذه المعركة قوات ضخمة، **إذ بلغ عدد أفراد القوات البروسية (٢٠٠) ألف جندي، مقابل (١٤٠) ألف مقاتل فرنسي**. وكان كل طرف من الطرفين المتصارعين يخوض معركته المصيرية (تماماً كما حدث في معركة فالمي سنة ١٧٩٢) وكانت الهزيمة تعني (كارثة وطنية) لأي من الطرفين. ولهذا تميزت المعركة بالصراع العنيد الذي أغرقته الدماء، والذي استمر طوال ساعات الصباح،غير أن القوات البروسية نجحت في وقت متأخر من فترة بعد الظهر بدحر الجناح الأيمن للقوات الفرنسية، والاستيلاء على (سانت بريفات) بهجوم عاصف، الأمر الذي أرغم (بازين) على الانسحاب إلى داخل تحصينات (ميتز) وبذلك بات منعزلاً هو وجيشه عن (باريس) وعن جيش (ماكماهون) الذي كان قد انضم إلى معسكر الأمبراطور (نابليون) في يوم ١٦ ـ آب ـ أغسطس ـ. وانتهت بذلك (معركة غرافلوت) التي كانت من أكبر المعارك الدامية في الحرب، **إذ خسر فيها البروسيون أكثر من (٢٠) ألف جندي بين قتيل وجريح، مقابل (١٣) ألف فرنسي و (٥) آلاف أسير**.

لم يكن المخطط البروسي الأساسي للحملة يضع في اعتباره إمكان انسحاب الكتلة الرئيسية للقوات الفرنسية إلى (قلعة ميتز). وكل ما

(*) غرافلوت: (GRAVELOTTE) وتسمى أيضاً سانت بريفات (ST. PRIVAT).



معارك فيونغيل وغرافلوت ١٨٧٠

كان يتوقعه (مولتكه) هو وجود عدد من فرق المشاة الفرنسية لحماية القلعة والدفاع عنها. وتطلب هذا الانسحاب المباغت وغير المتوقع تشكيل جيش خاص للقيام بالحصار. فتم وضع الجيش الأول بكامله مع كتلة من الجيش الثاني (وصل مجموع الأفراد إلى **١٥٠** ألف جندي) تحت قيادة (الأمير فريدريك شارل) الذي تلقى تعليمات بتثبيت (بازين) في تحصيناته، وإبقائه تحت رحمة الحصار.

ج ـ الطزيق إلى سيدان.

بقي الجيش البروسي الثالث الآن، وهو يضم (٨٥) ألف جندي، تحت قيادة ولي العهد. وتم تشكيل قوة الحرس والفيلق الثاني عشر (الساكسوني) والفيلق الرابع، باسم **(جيش الموز) الذي بلغ عدد أفراد قوته (١٣٨) ألف جندي، وأسندت قيادته إلى ولي عهد ساكسونيا.** وكان هذا الجيش في يوم (**٢٠** ـ آب ـ أغسطس) ينتشر على جبهة واسعة، ما بين (بريي) و(كومرسي) ويتقدم نحو (فردان). وقد قامت الوحدات المتقدمة للجيش بعبور نهر الموز عند (فويد) ثم تابعت تقدمها مندفعة نحو الأمام في اتجاه (ليني ـ آن ـ باروا) و(بار ـ لو ـ دوك). وكان الجيشان البروسيان بذلك يتحركان على طريق (باريس) بهدف إرغام فرنسا على الدخول في معركة حاسمة إلى الشرق من عاصمة بلادهم. ووصل (جيش الموز) في يوم (**٢٣** ـ آب ـ أغسطس) إلى الضفة اليمنى لنهر الموز، حول فردان، وحاول الاستيلاء على التحصينات بهجوم مباغت (إغارة) ففشل في ذلك، ودفع وحداته المتقدمة ـ من الفرسان ـ إلى (كليرمونت) و(سانت مينهولا).

كان القائد الفرنسي (الماريشال ماكماهون) قد تلقى في هذا الوقت ذاته تعليمات بتشكيل جيش جديد، عرف باسم **(جيش شالون).**

وقد نفذ (ماكماهون) هذه التعليمات في (١٨ ـ ٢٠ ـ آب ـ أغسطس). وكانت قواته الأساسية تضم الفيلق الأول بقيادة (دوكرو) وقوته (٣٢) ألف رجل، والفيلق الخامس بقيادة (دوفايي) وقوته (٢٢) ألف رجل، والفيلق السابع بقيادة (فيليكس دواي) وقوته (٢٢) ألف رجل، والفيلق الثاني عشر بقيادة (لوبرون) وقوته (٤١) ألف رجل، بالإضافة إلى فرقتين من الخيالة ـ الفرسان ـ. وإلى جانب هذه التشكيلات، كانت هناك بعض فرق المشاة التي نظمت حديثاً، وفيلق من البحرية، والوحدات التي انسحبت بعد معركة (وورث) وكذلك عدد من وحدات (الحرس المتحرك الباريسي) والتي كانت في حالة عصيان وتمرد. **وكان هذا الجيش يضم بمجموعه (١٦٦) فوجاً و (١٠٠) سرية و(٣٨٠) مدفعاً ويبلغ عدد مجموع أفراده (١٣٠) ألف رجل**. وكان معظم وحدات هذا الجيش تفتقر إلى التدريب، حتى ان (الجنرال لوبرون) سمح بتخصيص (٥) طلقات لكل جندي من جنوده وذلك حتى يساعد الضباط وصف الضباط على تعليم الجنود طريقة استخدام بواريدهم وتلقيمها وتسديدها.

قرر (ماكماهون) وهو في (شالون) التراجع إلى (باريس). وكان يدعمه في ذلك (الجنرال تروشو) الذي كان قد وصل إلى (شالون) يوم ١٦ ـ آب ـ أغسطس، ليتولى قيادة الفيلق الثالث عشر (والذي كان قيد التشكيل). ويذكر أن (تروشو) كان قد كتب رسالة في يوم ١٠ ـ آب ـ أغسطس ـ وأرسلها إلى أحد من يثق بهم الأمبراطور نابليون، وجاء في تلك الرسالة بأنه «يجب تأمين انسحاب جيش بازين، وإعادته إلى باريس» وقد وافق الأمبراطور على هذا الاقتراح، غير أن (الجنرال باليكاو) تمكن من إيقاف حركة هذا الجيش، ومنع الانسحاب. وقد وصل الأمبراطور من (ميتز) في يوم ١٦ ـ آب ـ أغسطس ـ وعقد في اليوم التالي مؤتمراً للقادة، أعلن فيه:

«بأنه بات باستطاعته العودة إلى باريس للإشراف على عمل الحكومة وذلك بعد أن أسند إلى ـ بازين ـ أمور القيادة العليا» ووافق مؤتمر القادة على قرار الأمبراطور.

أصْدر الأمبراطور (نابليون) على أثر ذلك أمره بتعيين (تروشو) حاكماً لمدينة (باريس). ثم كلفه بالعودة إلى العاصمة ليعلن عودة الأمبراطور، في حين يتابع (ماكماهون) تراجعه نحو (باريس). واتخذ (تروشو) طريقه إلى العاصمة، فوصلها في ليل ١٨ ـ آب ـ أغسطس ـ واستقبلته (الأمبراطورة أوجيني) على الفور، وعلمت منه تفاصيل التعليمات التي حملها معه، وعندئذٍ هتفت قائلة: «... **كلا أيها الجنرال، يجب ألا يعود الأمبراطور إلى العاصمة. يجب أن يبقى في شالون... وستقوم أنت بالدفاع عن باريس. إن باستطاعتك تنفيذ مهمتك بدون وجود الأمبراطور... وان أعداء الأمبراطور وحدهم هم الذين يقترحون عودته... لأنه لن يدخل التويلري حياً**».

وافق (تروشو) على ما قالته الأمبراطورة، بعد قليل من التردد، وتقدم في اليوم التالي لمقابلة، (باليكاو) الذي أساء استقباله، وأعلمه بأن أفكاره الإستراتيجية هي أفكار غامضة كل الغموض، وانه لا يوافق على أي اعتبار من الاعتبارات التي تدعو (ماكماهون) بالانسحاب إلى (باريس). وأخذت العوائق تنتصب اعتباراً من هذه اللحظة أمام كل خطوة كان يخطوها (تروشو). غير أن هذا حاول الاستمرار في تنفيذ مهمته، بينما كان (ماكماهون) يستعد للانسحاب. ووصل في تراجعه إلى (ريمس) يوم ٢١ ـ آب ـ أغسطس ـ واضطر رجاله إلى خوض صراع في كل أنحاء الأقليم، لأن سكان الأقليم كانوا يقفون موقف العداء من الجيش المنسحب. واضطر الجيش للبقاء في (ريمس) يوم ٢٢ ـ آب ـ أغسطس ـ وأثناء هذا التوقف كان رئيس مجلس

الشيوخ (روهر) ومعه ممثل لرئيس الوزراء (باليكاو) قد وصلا إلى مقر قيادة الأمبراطور «**بهدف إقناع الأمبراطور بعدم العودة إلى باريس، وإقناع ماكماهون بالتحرك إلى ميتز**». وعندما علم (ماكماهون) بذلك، أرسل برقية إلى باريس جاء فيها: «**كيف لي بالتحرك نحو - بازين - وأنا أجهل جهلاً تاماً موقفه، ولا أعرف شيئاً عن نواياه وأهدافه؟!** . . .». غير أن الظروف جاءت مضادة لما كان يريده (ماكماهون) ويعمل له، إذ انه ما كاد يرسل برقيته حتى وصلت معها، وفي وقت واحد برقيتان لهما علاقة ببرقيته. وكانت الأولى من (بازين) وفيها يقول: «بأنه يتوقع أن يتمكن من الانسحاب نحو الشمال» أما البرقية الثانية فكانت من مجلس الوصاية، موجهة إلى الأمبراطور، وفيها ما يلي: «**قرر الجميع بأننا نتعرض لضغوط لم يسبق لها مثيل. . . وإذا لم يتم دعم - بازين - فسينجم عن ذلك نتائج مؤسفة وخطيرة في باريس. وأمام هذه الكارثة، فهناك شك كبير في إمكانية الدفاع عن العاصمة**». وأجاب الأمبراطور نابليون على هذه البرقية - بالبرقية التالية «**سنتجه غداً إلى مونتميدي**». وتحرك الجيش الفرنسي على أثر ذلك إلى «بيتيني فيل» يوم **٢٣** - آب - أغسطس - وانطلق جند هذا الجيش في أنحاء الاقليم بحثاً عن الطعام. ثم تابع الجيش تقدمه إلى (رثل) يوم **٢٤** - آب - أغسطس - وبقي فيها حتى نهاية يوم **٢٥** - آب - أغسطس -. ثم تقدم (ماكماهون) يوم **٢٦** - آب - أغسطس - إلى (تورثورون). ثم وصل في اليوم التالي إلى (لوشيسن - بوبيلو) حيث وصلته فيها معلومات، تفيد بأن ولي العهد الساكسوني قد عبر (البوسغ) وتقدم إلى (نانسي) ثم اتجه نحو الشمال الغربي.

فما كان من (ماكماهون) إلا أن أصدر أوامره التالية، على أن يتم تنفيذها يوم **٢٨** - آب - أغسطس: يتحرك الفيلق الثاني عشر إلى (بيكاس). يتحرك الفيلق الخامس إلى (نوار) أو إلى (بوزانسي).

يتحرك الفيلق السابع إلى (ستون). يتحرك الفيلق الأول إلى (روكور).

بينما كان (ماكماهون) يقوم باستدارته الواسعة نحو الشرق بهدف الانزلاق بعيداً عن الجناح الأيمن للقوات البروسية ـ المعادية ـ ومن أجل تأمين الاتصال مع جيش (بازين) أيضاً، كان (جيش الموز) البروسي و(الجيش الثالث) يتقدمان نحو الغرب لتنفيذ الأوامر الصادرة إليهما بالوصول إلى خط (فيتري ـ سانت مينهولا) في يوم ٢٦ ـ آب ـ أغسطس وكانت قوة الفرسان البروسية تتقدم قوات الجيشين المذكورين للاستطلاع وضمان الأمن في الإقليم، ووصلت قوة الفرسان في يوم ٢٤ آب ـ أغسطس ـ إلى (شالون) فوجدت أن القوات الفرنسية قد انسحبت منها، وعملت على الجلاء عنها. واستطاع الفرسان على التقاط بعض الرسائل المتروكة والتي أشارت محتوياتها إلى أن (ماكماهون) سيعمل على رفع الحصار عن (ميتز) وانه قد توقف في (ريمس) ومعه قوة من (١٥٠) ألف جندي. وقد بوغت (مولتكه) لدى معرفته بهذه المعلومات، إذ لم يكن باستطاعته التصديق بأن عدوه سيرتكب مثل هذا الخطأ الشائن في تركه لباريس من غير تغطية بقوات كافية للدفاع عنها، والسير عبر جبهة معادية، مع وجود الجبهة البلجيكية القريبة من جناحه الأيسر. ولكن المعلومات التي جاءته (برقياً من لندن) في اليوم التالي، تقاطعت مع المعلومات التي تم الحصول عليها. كما أن الصحافة الباريسية ـ وخاصة صحيفة الأزمنة، تام، التي لم يكن باستطاعتها المحافظة على أي سر، أكدت بدورها صحة المعلومات المتوافرة لدى (مولتكه)، الذي أصدر أمره يوم ١٦ آب ـ أغسطس ـ إلى الجيشين بالتحرك على اتجاه الشمال، وفي هذا اليوم ذاته، نقلت القيادة العامة البروسية مقر قياداتها من (بار لودوك) إلى (كليرمونت) وتقدم الفيلق الثاني عشر ـ الساكسوني ـ من (جيش الموز) في يوم ٢٨ ـ آب ـ أغسطس ـ فوصل (ستيني) واتخذ فيها موقفاً

غير هجومي، في انتظار وصول الجيش الثالث. ثم وقع ضابط من هيئة الأركان الفرنسية أسيراً في قبضة القوات الألمانية يوم ٢٩ ـ آب ـ أغسطس ـ وكان يحمل أوامر (ماكماهون) إلى اثنين من قادة فيالقه. وقد زود هذا الضابط الأسير القيادة الألمانية بالمعلومات الكاملة والأكيدة عن حركة الجيش الفرنسي، وهي معلومات أكدت بدورها صحة المعلومات السابقة. وفي هذه الأثناء كانت الفيالق الأربعة للجيش البروسي الثالث تقترب بعضها من بعض، في حين كانت فرقة الفرسان ـ الخيالة ـ الخامسة تندفع في تقدمها عبر خطوط مواصلات الفرنسيين حتى وصلت (آتيني). بينما كانت الفرقة السادسة تطارد القوات الفرنسية، وتتابعها عن قرب. وقامت القيادة الملكية البروسية بنقل مقر قيادتها إلى (غراندبريه) واتخذت قراراً بالهجوم على القوات الفرنسية في اليوم التالي وذلك حتى لا تتيح لها فرصة عبور نهر الموز. كما أصدرت القيادة البروسية أوامرها إلى (جيش نهر الموز) للتحرك إلى (بوموت). كما صدرت الأوامر إلى الجيش الثالث للانتشار بين (بومونت) و (لوشاسن).

علم (ماكماهون) بأن (بازين) لن يتحرك أو يبتعد عن (ميتز). وعرف بأن جيشين بروسيين قد أخذا في التحرك نحو خطوط مواصلاته. وعندئذٍ قرر التوقف عن محاولاته للتقدم. وأصدر أوامره إلى جيشه بالانسحاب إلى (ميزيير). ووصلته برقية عاجلة ـ أخرى ـ من باريس في يوم ٢٨ ـ آب ـ أغسطس ـ أقنعته بضرورة استئناف تحركه إلى (مونتميدي). وكان لهذه الأوامر، والأوامر المضادة ـ أثرها الكبير في إحباط الروح المعنوية لجنود الجيش الفرنسي. وحدث التماس (الالتقاء) بين قوات فرنسية وقوات بروسية في يوم ٣٠ آب ـ أغسطس ـ وقد بوغتت قوات الفيلق الفرنسي الخامس (بقيادة دوفايي) مباغتة تامة بظهور، قوات الفيلق البروسي الرابع، إذ كانت

القوات الفرنسية عندها في (بومونت) تعمل على سحب تموينها، وجر خيول المدفعية من النهر. وقد دفع (ماكماهـون) ثمن هذه المباغتة غالياً، إذ سقط من جنده (٥) آلاف رجل، وفقد (٤٢) مدفعاً. وشعر عندها بأنه بات من المحال عليه متابعة تحركه نحو الأمام. وأصدر أمره إلى الفيلق الثاني عشر (بقيادة لوبرون) بالتحرك إلى سيدان، فيما بين الساعة الثامنة والتاسعة من مساء اليوم ذاته (يوم ٣٠ ـ آب ـ أغسطس) وقال (ماكماهون) إلى (لوبرون) وهو يبلغه أمره:

«لقد خاننا الحظ في هذا اليوم، وعلى كل حال، فالموقف لم يصل إلى حد اليأس، ويبلغ عدد أفراد الجيش الجرماني ـ البروسي ـ الذي يقف في مواجهتنا من ستين إلى سبعين ألف جندي. فإذا ما وقع الهجوم علينا فسيكون الموقف لمصلحتنا، ولي أمل بأن أتمكن من أن أقذف بهم في نهر الموز» ولقد كانت هذه الحسابات الخاطئة لتقويم قدرة العدو هي التي أدت بالجيش الفرنسي إلى الدمار.

أصدر (مولتكه) في تلك الليلة أوامره التالية:

«تنفيذ التحركات نحو الأمام، ويستأنف التقدم مبكراً قدر المستطاع، وتهاجم قوات العدو، أينما كان، وحيثما توقفت على الجانب الغربي من نهر الموز. والضغط عليها بهدف حصارها ضمن حدود أضيق مسافة ممكنة فيما بين النهر والحدود البلجيكية».

تلقت قوة من جيش ولي العهد الساكسوني مهمة منع الجناح الأيسر لقوات العدو من الفرار نحو الشرق. وتنفيذاً لذلك، أشير إلى قائد الجيش دفع فيلقين ـ إذا كان بالمستطاع دفعهما ـ إلى الأمام، ونحو الضفة اليمنى لنهر الموز، ومهاجمة جناح القوات الفرنسية ومؤخرتها عند الطرف المقابل لمدينة (موزون). وكان على الجيش البروسي الثالث التعامل بالطريقة ذاتها مع جبهة العدو ومجنبته. وطلب إلى المدفعية أن

تحتل المواقع الحصينة والمرابض المنيعة على هذه الضفة، بهدف تمزيق أرتال العدو أثناء تحركها، أو إقامتها في المعسكر، عبر سهل الوادي على الضفة اليمنى من نهر الموز، وإلى الأسفل منه. أما إذا تمكنت القوات الفرنسية من المرور إلى داخل الحدود البلجيكية من غير أن تتمكن القوات البروسية من تجريدها من أسلحتها فوراً، فإنه يجب مطاردتها إلى هناك بدون أي تأخير أو اضطراب.

كانت اصبع القدر تمتد في هذه اللحظة بالذات نحو الجزائر، لتشير إلى الرجل الذي سيكتب له وسم الانهيار الفرنسي بطابعه، ودمغه بخاتمه.

كان الجنرال (ويمبفن) يتولى قيادة القوات الفرنسية في (وهران) عندما وصلته برقية من (باليكاو) في الساعة (**٨٣٥**) من مساء يوم **٢٢** ـ أغسطس ـ. وكان نص البرقية يطلب إلى (ويمبفن)[٨٧] التوجه إلى (باريس) فوراً. فركب (ويمبغن) زورقاً يوم **٢٤** آب ـ أغسطس ـ ونزل في (مارسيليا) يوم **٢٧** ـ آب ـ أغسطس ـ. حيث وصل إلى العاصمة (باريس) في الساعة الثامنة من مساء يوم **١٨** ـ آب ـ أغسطس ـ. فوجد أن (باليكاو) غارق في العمل، ولم يتمكن من مقابلته قبل منتصف الليل (أو بالأحرى في الساعة الواحدة صباحاً من يوم **٢٩** ـ آب ـ أغسطس). وعلم (باليكاو) في اليوم التالي بأن (بازين) يهاجم الأمير فريدريك شارل هجوماً جبهياً، في حين كان (ماكماهون) يتراجع عن مواقعه، فقام بإبلاغ هذه المعلومات إلى (ويمبفن) واقترح عليه أن يحل محل الجنرال (تروشو) الذي كان ـ بحسب تعبير باليكاو ـ «لا هم له إلا البحث عن تضخيم شخصيته ـ وزيادة

---

(٨٧) ويمبفن: (WIMPFEN, EMMANUEL FÉLIX) جنرال فرنسي، من مواليد لاون، (LAON) (١٨١١ ـ ١٨٨٤م) تولى في آخر ساعة قيادة الجيش الفرنسي في سيدان (١٨٧٠) ولم يتمكن من إنقاذه من الانهيار والاستسلام.

تعظيمها». غير أن (ويمبفن) رفض العرض وبدلاً عن ذلك، اقترح تعيينه خلفاً للجنرال (دوفايي) في قيادة الفيلق الخامس. وقبل (باليكاو) الاقتراح. وسلمه ملفاً من الخرائط والمخططات التي حددت عليها مواقع القوات بصورة خاطئة. وتوجه (ويمبفن) في صباح يوم **٢٩** آب - أغسطس - إلى محطة القطار في طريقه إلى الجبهة. وبينما هو يهم بالصعود إلى عربته في القطار، لحق به مراسل من قبل (باليكاو) جاء متعجلاً وسلمه رسالة جاء فيها مايلي: **عليك أن تتولى قيادة القوات المتجمعة حالياً تحت قيادة المارشال - ماكماهون - وذلك إذا ما أظهر المارشال ماكماهون عجزاً أو قصوراً في قيادته. وسأبعث إليك رسالة خطية - رسمية - لتأكيد ذلك، وذلك حتى يصبح بإمكانك الإفادة منها - واستخدامها إذا ما تطلب الموقف**».

وصل (ويمبفن) ظهراً إلى (ريمس) غير أن القطار لم يعد مأموناً اعتباراً من (ريثل) فغادره واستقل عربة وصلت به إلى (ميزيير) في الساعة السابعة مساء (٨٠٠) من صباح يوم **٣٠** - آب - أغسطس -. حيث عاد واستقل القطار إلى (بازيل) فوصلها ووجد الاضطراب والفوضى **مهيمنين** على كل مكان. وعلم في الساعة التاسعة مساء (**٢١٠٠**) بأن (ماكماهون) يتراجع في اتجاه (سيدان). وتوجه (ويمبفن) إلى (سيدان) فوصلها في الساعة الواحدة من فجر يوم **٣١** - آب - أغسطس - ووجد أن المدينة مغلقة بوسائط النقل. وتقدم في الساعة التاسعة من صباح اليوم ذاته لمقابلة (ماكماهون) الذي استقبله ببرود تام. وحدث شجار بعد ذلك بين (ويمبفن) وبين (دوفايي) الذي لم يكن يعرف شيئاً عن أمر عزله - أو إقالته -. وعلى كل حال، فقد تسلم (ويمبفن) قيادة الفيلق الخامس. غير انه أخفى أمر الرسالة الهامة للغاية والتي كان يحملها معه (باستلام القيادة العامة بدلاً من ماكماهون).

أثناء ذلك استمر الجيْشان البروسيان في اندفاعهما نحو الأمام، تنفيذاً للتعليمات التي سبق ذكرها. بينما كان (جيش شالون) الفرنسي، ينتشر داخل سيدان بقيادة (ماكماهون).

د ـ المعركة الحاسمة (سيدان).

وصل الأمبراطور نابليون إلى سيدان في مساء يوم **٣٠** ـ آب ـ أغسطس ـ. وأصدر لحسن حظه أوامر مضادة، ومن غير استشارة القائد العام ماكماهون، تقضي بتحرك الفيلق الثالث عشر الذي تشكل حديثاً، من (ميزيير) إلى (سيدان). وعندما دخلت فيالق (ماكماهون) إلى القلعة، صدر الأمر إلى الفيلق الثاني عشر (بقيادة لوبرون) باحتلال.(بازيل) والتلال المقابلة لبلدتي (لامونسيل) و(ديني) والدفاع عنها. على أن يحتل الفليق الأول (بقيادة دوكرو) الجناح الأيسر للفيلق الأول (مقابل جيفون). بينما يحتل الفيلق السابع (بقيادة فيليكس دواي) مواقعه مقابل (أولي) وترك الفيلق الخامس بقيادة (دوفايي) للعمل في الاحتياط.

كانت حالة الإمداد والتموين في (سيدان) سيئة للغاية، إذ كان مخزون المستودعات من التعيين الجاف اليومي لا يزيد على (٢٠٠) ألف تعيين (أي بمايكفي **٢٠٠** ألف جندي ليوم واحد). وكان القطار الذي جاء يحمل (٨٠٠) ألف تعيين إضافي، قد تعرض للنيران وشظايا القنابل فصدر إليه الأمر بالعودة إلى (ميزيير) وذلك قبل إفراغ حمولته. وتبقى الحقيقة الثابتة وهي انه ما من أحد ـ باستثناء ماكماهون ـ كان يتصور إمكانات بقاء الجيش في (سيدان) التي شبهها أحدهم (بعش للقنابل) ووصفها آخر بالكلمات التالية:

«تمتد المدينة ذاتها ـ سيدان ـ من أمامنا وكأنها محمولة على طبق ـ صينية ـ حتى إننا نستطيع رؤية شوارعها. ويعطيها مظهر الأبنية

الضخمة والمعدودة، بالإضافة إلى الكنائس، منظراً خاصاً له أهميته. في حين يأتي خط التحصينات المحدد والواضح فيما حولها ليحيط بها إحاطة تامة وكأنه إطار (برواظ). ثم ترتفع من وراء المدينة، وبصورة تدرجية، سهول تنتهي بخط من التلال. وكانت معسكرات الفرنسيين القائمة على السفوح والمنحدرات واضحة كل الوضوح، وتظهر فيها حركة الجنود الصاخبة. وكانت هناك غابة تنتهي عند الخط المنحدر من أعلى الذرى إلى أسفل السهل المتجه نحواليسار. وكانت خطوط التلال القاصية والواقعة إلى الخلف، تشكل قسمًا من حدود الدولة المجاورة ـ بلجيكا».

استيقظت الوحدات البافارية من الجيش البروسي الثالث في صباح يوم **٣١** آب ـ أغسطس ـ وكلها متحفزة للقتال، تملؤها الحماسة للهجوم، وأخذت في عبور نهر الموز، بعضها مستخدمة العوامات (الأطواف) وبعضها عن طريق جسر الخط الحديدي الواقع إلى الجنوب من (بازيل). غير أن وحدات الفيلق الإفرنسي الثاني عشر (بقيادة لو برون) تمكنت من صدها وإعادتها إلى مواقعها وراء النهر. وكان الجسر الثاني من مجموعة هذه الجسور قد بقي سليمًا ولم تدمره القوات الفرنسية لأن (ماكماهون) كان يعتزم استخدامه على ما يظهر في تقدمه المختمل نحو (ميتز). ولكن عندما أصدر (ماكماهون) أوامره أخيراً في الساعة الخامسة مساء (١٧٠٠) بتدمير الجسر، ظهر أن البارود كان رطباً ـ مبللاً ـ وتمكنت القوات البروسية من إعادة احتلاله قبل أن تصل كمية البارود الإضافية التي تم طلبها من (سيدان) وتكرر حدوث الشيء ذاته بالنسبة للجسرين الآخرين عند (دوزي) و (دونشيري).

إذ صدرت الأوامر بتدمير جسر (دوزي) غير انه ما من أحد عمل على تنفيذها. كما تم إرسال زمرة من المهندسين (من سيدان) لتدمير جسر (دونشيري). وبينما كانت الزمرة تقوم بفحص الجسر انفجر القطار

الذي كان يحمل للزمرة معداتها والبارود الذي تحتاجه في عمليتها، وبقي الجسر سليمًا. ولم يكن ذلك كله إلا بعض ظواهر الفوضى التي هيمنت على كل مكان في المنطقة. ويذكر أن الجنرال (دواي) كان قد شرع في تنظيم مواقعه الدفاعية، وأمر جنوده بحفر الخنادق، عندما مر به الماريشال (ماكماهون) فأوقفه عن العمل، وقال له: «ماذا تفعل؟ أتحفر الخنادق؟ ولكنني لا أريد أن أقيد نفسي على نحو ما فعله (بازين) في ميتز. أعنى القيام بمناورة وتحرك للقوات» وأجابه (دواي) بقوله: «ولكن هل تعتقد بأن العدو سيعطيك الفرصة للتحرك والمناورة؟» فما كان من (ماكماهون) إلا أن سار مبتعداً، وأمضى ساعات في دارسة المنطقة والقيام بجولة تفقدية ـ روتينية ـ. وليس من الغريب بعد ذلك أن يجلس الجنرال (دوكروا) في مساء اليوم ذاته وهو في حالة يائسة، ليقول للدكتور (سارازان): «لقد بتنا ونحن في أسوأ وضع تحت رحمة الحصار». وفي الساعة الثامنة مساء (٢٠٠٠) كان الجنرال (دوترولين) يتحدث إلى الجنرال (دواي) بقوله: «أعتقد يا جنرال بأننا انتهينا» وابتسم الجنرال (دواي) قليلاً، ثم قال بعد لحظة من الصمت: «وهذا رأيي أيضاً... لم يبق لنا شيء... يا عزيزي دوترولين، إلا أن نبذل أقصى جهودنا قبل أن نلفظ أنفاسنا».

وفي تلك الليلة، كتب الجندي (بول ديروليد) من وحدة (الزواف ـ الجزائرية) رسالة إلى أمه ـ جاء فيها: **«سيدان ـ ٣١ ـ آب ـ أغسطس ـ ١٨٧٠، سنخوض المعركة غداً، فهل ستكون ليلتنا هذه هي ليلة معركة يينا الظافرة، أم هي ليلة معركة واترلو الخاسرة؟ الله وحده يعرف. قبلاتي لك وحبي ـ بول».**

لم يكن (مولتكه) يصدق أن (ماكماهون) يقبل الدخول في معركة وهو في مثل هذا الموقف السيىء. وفكر بأن (ماكماهون) سيعمل على الانسحاب خلال الليل إلى (ميزيير) أو أن يتقدم إلى (كارينيان) أو إنه

سينسحب عبر الحدود البلجيكية. وعلى الرغم من ذلك، فإنه لم يصدر أي أمر جديد. وترك لقائدي الجيش البروسيين حرية متابعة تقدمهما على الاتجاهات التي حددها لهما في تعليماته وأوامره يوم ۳۰/آب ـ أغسطس ـ. **وقد اتخذ ولي العهد البروسي قراره بإجراء الترتيبات التالية لجيشه الثالث:**

ـ يتحرك الفيلقان الخامس والحادي عشر فجراً. على محور (دونشيري ـ فيني أوبوا).

ـ تقوم فرقة (ووتمبرغ) بعبور نهر الموز من نقطة (دوم ـ لومونسيل) ثم تبقى في الاحتياط.

ـ يدفع الفيلق البافاري الثاني فرقة من قوته للتقدم إلى جنوب (دوزي) بينما تنتشر بقية قوة الفيلق بين (فرينوا) و(لادانكورت).

ـ يبقى الفيلق البافاري الأول في (ريميلي) ويتعاون مع الجناح الأيسر لجيش الموز..

وأصدر ولي عهد سكسونيا أوامره إلى (جيش الموز) بما يلي:

ـ تتحرك فرقة من قوة الحرس إلى (فيلركيمي) وتتحرك الفرقة الثانية ألى (فرانشوفال).

ـ يتحرك الفيلق الثاني عشر إلى (لامونسيل) عن طريق (لادانكورت).

ـ يرسل الفيلق الرابع فرقة من قوته إلى (ريميلي) للتعاون مع الفيلق البافاري الأول. ويحتفظ بالفرقة الثانية في الاحتياط (في ميري) ـ أنظر المخطط المرفق ـ.

كان الجيش الفرنسي (جيش شالون بقيادة ماكماهون) يحتل المثلث الواقع بين نهر الموز و(فلوينغ) و(جيفون) وقد شكل الفيلق الثاني عشر الجناح الأيمن لهذا الجيش واحتل مواقعه في (بالان) و(بازيل ـ أو

باذييه) و (لامونسيل) و (بلاتينري) في حين شكل الفيلق السابع (فيلق دي فيلي) الجناح الأيسر الذي انتشر من (فلورين) حتى (إيلي) وبقي الفيلق الأول في الوسط لتأمين الاتصال بين الجناحين، في حين بقي الفيلق الخامس (بقيادة ويمبفن الآن) في (المعسكر القديم) للعمل كقوة احتياطية، وكان من سوء حظ القوات الفرنسية، قيام المراكز الخارجية (نطاق الأمن) من قوة الفيلق الثاني عشر، بالانسحاب خلال الليل من مواقعها عل نهر الموز، والتراجع (بازيي) مخالفة بذلك الأوامر الصادرة إليها بالبقاء في مواقعها. وهذا مما ساعد قائد الفيلق البافاري الأول (الجنرال فون درتان) على القيام في هذه الليلة ذاتها (٣١/آب ـ أغسطس) بالعبور عن طريق جسر الخط الحديدي، بحيث وصلت وحدات هذا الفيلق في الساعة الرابعة من صباح اليوم الأول من أيلول ـ سبتمبر ـ وتحت جنح الضباب الكثيف ـ وتوغلت في (بازيل). وهنا قامت القوات الفرنسية بهجوم مضاد رائع أرغم البافاريين على الانسحاب والتراجع. وفي هذا الوقت ذاته كان (الساكسونيون) يتقدمون من (لامونسيل) غير أن الرماة الفرنسيين ردوهم. وتدخلت المدفعية الساكسونية التي تم تدعيمها وتمكنت من إسكات بطاريات المدفعية الفرنسية في الساعة الثامنة من صباح الفاتح من أيلول ـ سبتمبر ـ.

عندما كانت هذه المعارك محتدمة، أصيب الماريشال (ماكماهون) بجراح بالغة في الساعة السابعة صباحاً وذلك من جراء شظية أصابته عندما كان يتفقد الفيلق الثاني عشر. مما أرغمه على التخلي عن قيادته، وتعيين الجنرال (دوكرو) خلفاً له. وتلقى الجنرال (دوكرو) الأمر بممارسة عمل القيادة العامة في الساعة الثامنة. ولما كان (دوكرو) يجهل كل شيء عن مخططات (ماكماهون)، كما انه لم يتلق منه أية تعليمات، فقد بدأ العمل فوراً بمبادأته. وكان (دوكرو) يعارض منذ

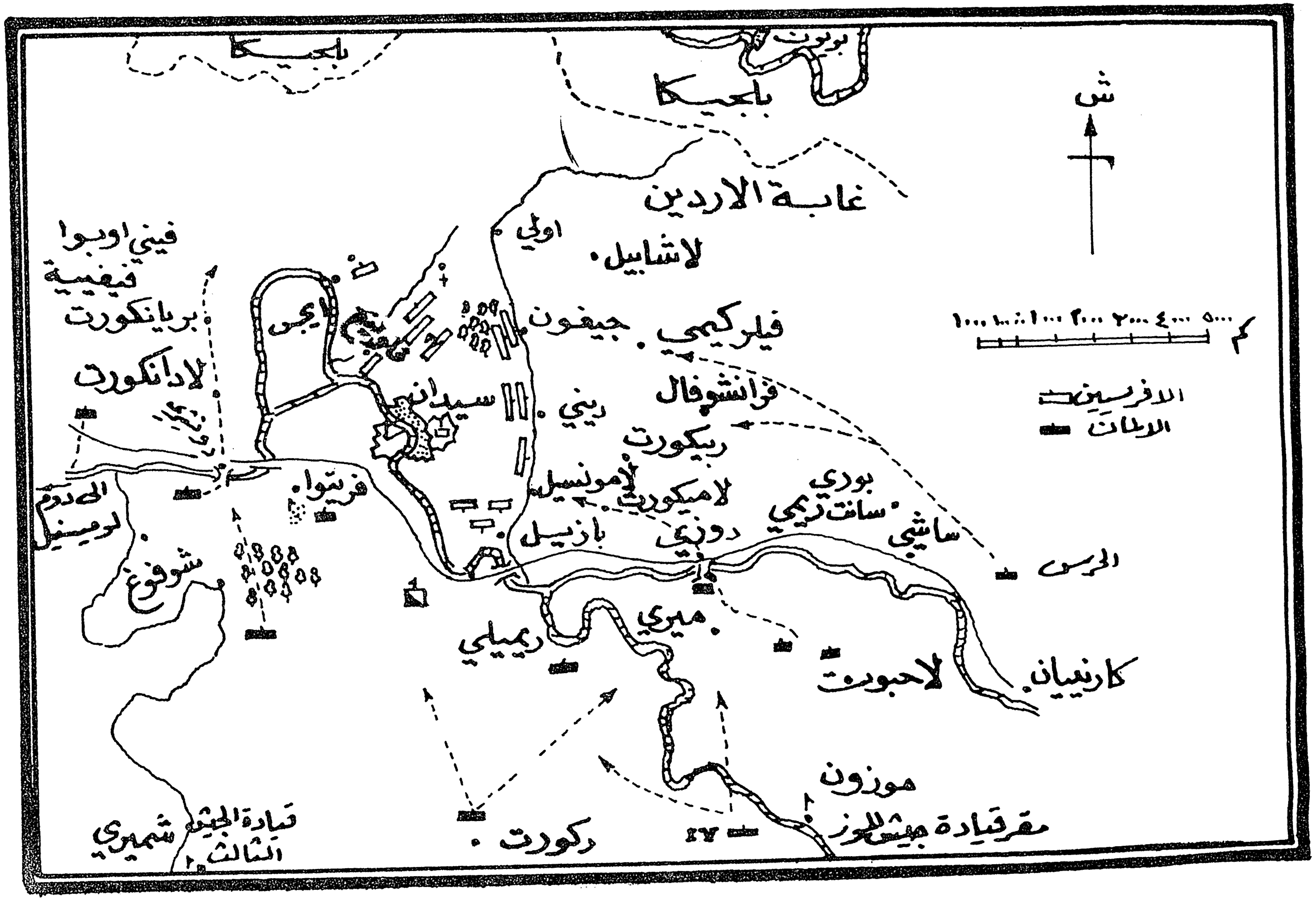
البداية الدخول في معركة على أرض منطقة غير ملائمة، كما كان عندما تلقى أمر تعيينه قائداً عاماً - يراقب أرتال العدو الضخمة وهي تتحرك على اتجاه الشمال الغربي لتنعطف مستديرة على الجناح الأيسر لفيلقه فالتفت إلى هيئة أركانه وقال لهم: «**أيها السادة، لقد تم تعييني قائداً أعلى. ويجب علينا ألا نضيع ثانية واحدة من الوقت. إذ ان الموقف يفرض علينا الانسحاب إلى سهل (ايلي) حيث يمكن لنا عندما نصل إلى هناك أن نضمن تراجعنا، ونلتقط أنفاسنا للتفكير فيما يجب علينا عمله**» واقترح عليه رئيس هيئة أركان فيلقه، اخبار الأمبراطور قبل إجراء أي تغيير في المواقف. فما كان من (دوكرو) إلا أن التفت إلى رئيس هيئة أركانه، وصرخ به قائلاً: «**ليفعل الأمبراطور ما يريده، وهل هناك مسؤول غيره عن المأزق الذي نحن فيه**».

أرسل (دوكرو) أوامره إلى فيلقه بالاستعداد للانسحاب، كما أرسل هذه الأوامر ذاتها إلى الفيلق الثاني عشر من أجل فك الاشتباك والتراجع إلى (ايلي)، استعداداً للانسحاب إلى (ميزيير). وقد قاوم قائد الفيلق الثاني عشر (الجنرال لوبرون) هذا الأمر في البداية، وعارض تنفيذه، إلا انه بدأ في الانسحاب من (بيزييه) في الساعة التاسعة صباحاً. وكان الفيلق البافاري - الجرماني - يتابع تقدمه في الساعة العاشرة من غير أي مقاومة، حتى إذا ما أزفت الساعة الحادية عشرة كان هذا الفيلق قد وصل إلى (بيزييه - أو بازييه) واحتلها بسهولة.

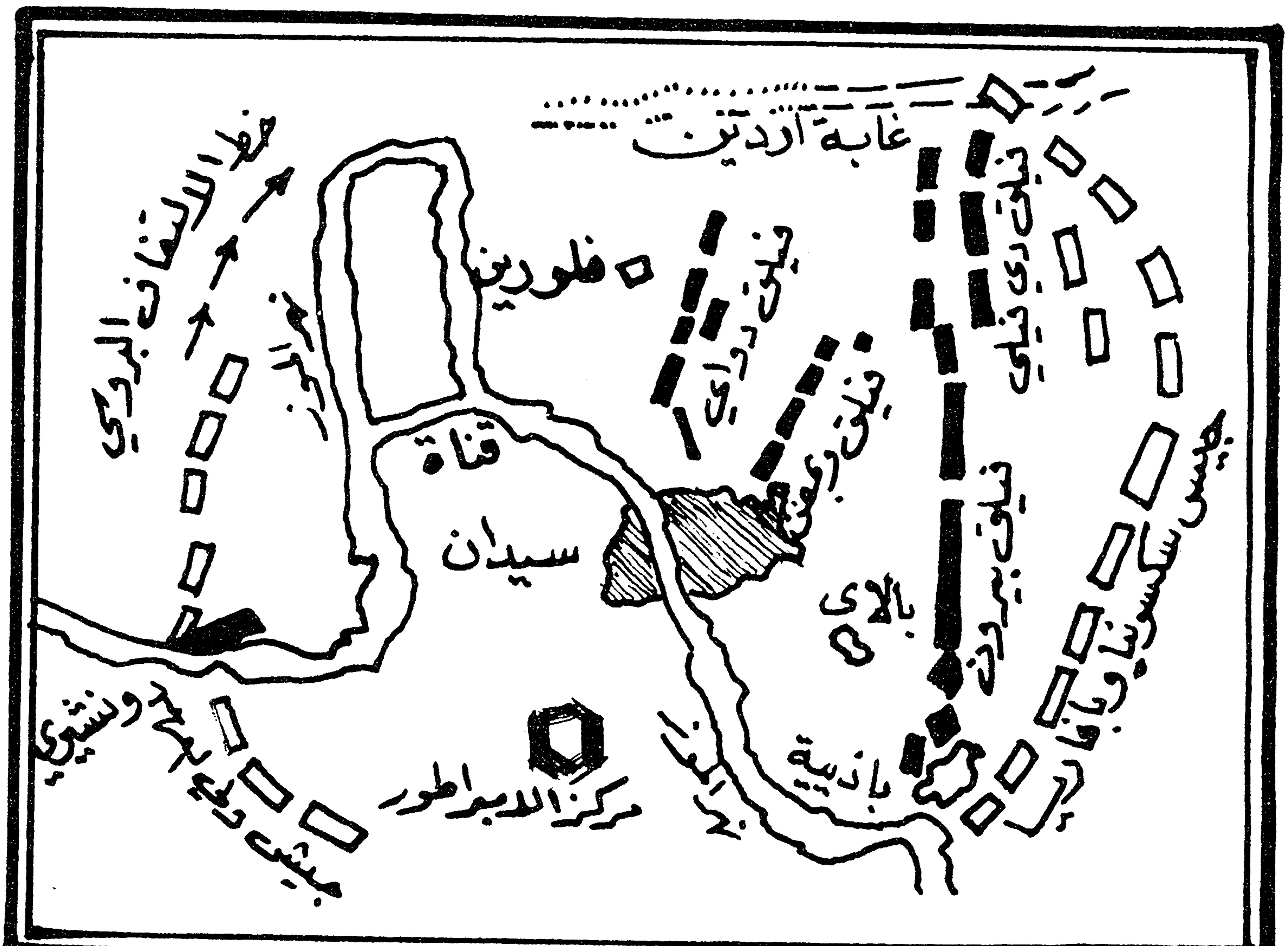
هنا وقع حدث قلما صادف وقوع مثله في التاريخ. فقد تبدل - أو بالأحرى تعاقب - على قيادة (جيش شالون - الفرنسي) وخلال ثلاث ساعات فقط من بدء المعركة، اثنان من القادة لممارسة القيادة العليا. والآن، يأتي دور القائد الثالث (الجنرال ويمبفن) الذي تولى حتى هذه اللحظة قيادة الفيلق الخامس (في منطقة المعسكر القديم) ثم وصله في الساعة (٧،١٥) خبر وقوع (ماكماهون) جريحاً، وبعد ذلك بأقل من

ساعة علم بخبر تعيين (دوكرو) قائداً عاماً للجيش، وإذن فقد أزفت اللحظة المناسبة للإفادة من رسالة (باليكاو). فمضى لزيارة (الجنرال لوبرون) ووصل إلى مقر قيادته في الساعة (٨٣٠) ولما كان (ويمبفن) يعتقد بأن نجاح الفرنسين في صد البافاريين إنما يعني نصراً كبيراً للقوات الفرنسية، فقد بوغت عندما علم بالأمر الذي أصدره (دوكرو) إلى قواته بالانسحاب والتراجع. وأخرج (ويمبفن) الرسالة التي كان يحتفظ بها، ونادى بتعيين شخصه قائداً عاماً للقوات الفرنسية. والتفت إلى (لوبرون) وقال له هاتفاً: «توقف يا جنرال لوبرون عن تنفيذ التحرك الذي طلب إليك دوكرو القيام به... إنني لن أنسحب إلى (ميزيير). وإذا كان لا بد من الانسحاب فيستراجع الجيش إلى (كاريفيان) وليس إلى ميزيير». ثم كتب (ويمبفن) رسالة إلى (دوكرو) أبلغه فهيا عزله عن قيادته. وعندما تلقى (دوكرو) الرسالة، أسرع مهرولاً إلى مقر قيادة فيلق (ويمبفن) ودخل معه في نقاش كشف له مدى جهل (ويمبفن) بميدان المعركة، حتى إنه لم يكن يعرف مكان وقوع بلدة (ايلي). وعاد (ويمبفن) فأصدر أمراً مضاداً بالانسحاب. ثم توجه فقابل الأمبراطور نابليون في الساعة (١٠٫٣٠) الذي أظهر تأثر كبيراً عندما علم بخبر عزل (دوكرو) غير أن (ويمبفن) طمأن الأمبراطور بقوله: «يا صاحب الجلالة، أبعدوا المخاوف، فبعد ساعتين من الآن سنكون قد قذفنا بالعدو إلى نهر الموز».

كان ولي عهد ساكسونيا مشتبكاً في القتال داخل (جيمون). في حين كان الملك غليوم وهيئة أركانه، قد امتطوا خيولهم منذ الساعة السابعة والنصف صباحاً، وأخذوا في التجول على التلال الصغرى الواقعة إلى الجنوب ـ الغربي من (فرينوا) لمراقبة ومتابعة تقدم الجيش الثالث الذي كان قد غادر مخيمه، وانطلق في مسيرته، منذ الساعة الثالثة، صباحاً، فعبر الفيلق الحادي عشر نهر الموز من نقطة (دونشيري) وتابع تقدمه



معركة سيدان ـ ايلول ـ سبتمبر ـ ١٨٧٠



ميدان سيدان

على أصداء انفجار القنابل.

وكان الطريق جيداً، فلم تقابل قوات الحرس المتقدم أية مقاومة، ومرت عبر مضيق (سانت البرت) واحتلت (سانت منجس). وما ان أزفت الساعة العاشرة صباحاً، حتى قامت سبعة أفواج من هذا الفيلق بتشكيل جبهة مقابل (ايلي). ودعمت هذه الأفواج فوراً بنيران (٦٢) مدفعاً كانت قد احتلت مرابضها في (هاتوي). وكانت نيران المدفعية مدمرة بدرجة مذهلة، بحيث أن الجنرال (مارغريت) أمر الجنرال (غاليفيه) بالتصدي للمشاة البروسيين الذين كانوا يتقدمون نحو (ايلي). وقد تم تنفيذ هذا الأمر بطريقة رائعة أدت إلى دحر القوات البروسية وتكبيدها خسائر فادحة.

بدأ (ويمبفن) بإدراك الخطر المحيق به، عندما تم إخباره بتقدم القوات البروسية، غير أن الأسوأ من ذلك لم يكن (ويمبفن) قد أدركه بعد. إذ كان ولي عهد بروسيا قد تقدم بفيلقه الخامس مقترباً من مؤخرة الفيلق الحادي عشر حاملاً معه (٦٠) مدفعاً إلى غابة (هاتوي) لدعم مدافع الفيلق الحادي عشر التي كانت قد بدأت عملها، وعددها (٨٤) مدفعاً. وأمكن لقنابل مجموعتي المدفعية المذكورتين تنفيذ واجباتها بنجاح، بحيث أمكن لمدافع (جيش الموز) تدمير بطاريات مدفعية الجيش الفرنسي تدميراً تاماً. وبعد ذلك بمدة نصف ساعة فقط تحقق الاتصال بين الجناح الأيسر للجيش الثالث مع الجناح الأيمن لجيش الموز بالقرب من (ايلي) وأصبحت قوات الجيش الفرنسي داخل قبضة الحصار للقوات البروسية.

وقف ملك بروسيا على التل المجاور لبلدة (فرينوا) وقد أحاط به بسمارك ومولتكه ورون والأمراء وزعماء الأقاليم ـ الدوقات ـ ورجال البلاط وقادة المدفعية، والمبعوث العسكري البريطاني (العقيد ووكر)

والجنرال الأمريكي (شريدان)[88] المشهور (بالخمس شكوات).

وقد كتب أحد حضور هذا الموقف مايلي: «كانت ترتفع من القلعة أعمدة الدخان السوداء والرمادية محاطة باللون الأصفر، وقد توقفت الأسلحة في القلعة عن إطلاق النار، غير أن الفرنسيين كانوا يطلقون النيران من وراء القلعة بشدة وضراوة. وكانت ترتفع من فوق الغابة الواقعة عند مدخل المضيق، وبصورة مستمرة، سحابات بيضاء رقيقة تنم عن انفجار القنابل التي لم يكن هناك أحد يعرف ما إذا كانت هذه من قنابل الجرمان ـ البروسيين ـ أو من قنابل الفرنسيين. وكان يتردد أيضاً ما بين فترة وأخرى أصوات الرشاشات وهي تصخب وتزمجر...».

عندما كان الجيش البروسي الثالث يطوق الجناح الأيسر للقوات الفرنسية. كان الحرس البروسي قد اقتحم (فيلركيمي ـ أو فيلرسيرني) منذ الساعة الثامنة صباحاً، ثم تحرك للالتفاف على الجناح الأيسر للفيلق الفرنسي الأول، حاملاً معه (١٢٠) مدفعاً أخذ في استخدامها ضد بطاريات مدفعية الفرنسيين التي كانت في مرابضها غرب (جيفون). وبرهن حشد نيران المدفعية للبروسيين مرة أخرى على تفوقه إذ أمكن له دفع مشاة الفرنسيين إلى غابة (غارين) وحملهم على اللجوء إليها بحثاً عن المكان المأمون، وكانت هذه الغابة قد باتت مكتظة بحشود اللاجئين. ولم يلبث الساكسونيون أن احتلوا بدورهم (ديني) في الساعة العاشرة صباحاً، ونقلوا إليها بسرعة (٢٩) بطاريه مدفعية. وصف الأمير (هو هنلو هي)[89] تأثير المدفعية خلال تلك

(٨٨) شريدان: (SHERIDAN, PHILIP — HENRY) جنرال أمريكي من مواليد الباني (ALBANY) ولاية نيويورك (١٨٣١ ـ ١٨٨٨) برز اسمه أثناء حرب الانفصال بين الجنوب والشمال، حيث عمل (شريدان) مع قوات الاتحاديين.

(٨٩) هوهنلوهي: (PRINCE DE HOHENLOHI, CLOVIS) من مواليد روتنبرغ (١٨١٩ ـ ١٩٠١) أنتخب رئيساً للألزاس واللورين (١٨٨٥ ـ ١٨٩٤) ثم مستشاراً للأمبراطورية الجرمانية ـ الألمانية (١٨٩٤ ـ ١٩٠٠).

المرحلة من مراحل المعركة بالكلمات التالية: «**كان تأثير نيرانها المشتركة مرعباً بحق، لاسيما على المدى القريب من مرابض المدفعية... وكان مشهد المجزرة، والاشلاء الممزقة، مثيراً لأشد أنواع الهلع، ولقد ارتفعت صيحات الفزع من ضحايا قذائفنا إلى كل مكان كنا نقف عليه. وبقي تفوقنا على العدو تفوقاً كاملاً حتى إننا لم نتعرض لأية خسارة أبداً. واستمرت المدفعية في إطلاق نيرانها كما كانت تمارس عملها على أرض التدريب**».

وكتب ضابط بروسي من قلب المعركة: «الساعة الآن هي الحادية عشرة، وصارت خطوط نيراننا الآن تغمر النصف الأكبر من مواقع العدو على المرتفعات المقابلة للطرف الآخر من المدينة ـ سيدان ـ. وقد مر الملك ـ غليوم ـ قريباً من مواقعنا فيما بين الساعة الثانية والثالثة من بعد الظهر (١٤٠٠ ـ ١٥,٠٠) وتوقف حيث كنت أقف، وأمعن النظر من خلال منظاره، ثم قال لمن حوله: إنهم يدفعون كتلاً كبيرة من الجنود نحو الأمام، وعلى اتجاه اليسار، وأعتقد بأنهم يحاولون اختراق خطوطنا ـ للخروج من دائرة الحصار».

لقد أصاب الملك غليوم بقوله الحقيقة، إذ كان (الجنرال مارغريت) ومعه فرقة الفرسان الخامسة، يستعد للهجوم على (فلوينغ). وكان (دوكرو) قد أيقن بأن موقف القوات الفرنسية قد بات موقفاً لا أمل ولا رجاء، فأسرع إلى (مارغريت) وتوسل إليه حتى يعمل على فتح ثغرة عبر خطوط القوات البروسية، ثم تقوم قوات مشاته باتباع خط سير الفرسان. ووافق الجنرال (مارغريت) على الاقتراح فوراً، غير أنه أصيب بجرح قاتل وهو يقوم باستطلاع المكان المناسب لعملية الاختراق، وتولى مساعده (غاليفيه) القيادة، ونظم ثلاث هجمات كانت فاشلة كلها، بالرغم من البطولة الخارقة التي أظهرها الفرسان أثناء تنفيذ محاولاتهم. غير أن (غاليفيه) لم يشعر باليأس، فقام ومعه

عدد من الضباط وبعض القناصة باختراق الخطوط البروسية من منطقة تمركز الاحتياط. وقد عاد هؤلاء ومروا على مسافة رمي مسدسات فوج بروسي، فتأثر الضباط البروسيون من المحاولة البطولية للضباط الفرنسيين وأمروا الجنود بإيقاف إطلاق النار. وصرخ الجنود الفرنسيون «عاش الأمبراطور» وأدى الضباط البروسيون التحية للضباط الفرنسيين، عندما مروا بهم كالبرق على خيولهم السريعة.

لقد تقرر الآن مصير (جيش شالون) غير أن (الجنرال ويمبفن) كان يجهل أو يتجاهل حقيقة هذا الموقف، فكتب رسالة إلى الجنرال (رواي) في اللحظة التي كانت فيها القوات البروسية تهاجم قوات (كالفير) في (ايلي). وتضمنت رسالة (ويمبفن) ما يلي:

«.. قررت شق طريق الخطوط البروسية ـ المعادية ـ والوصول إلى (كادينيان) وذلك بهدف التحرك بعد ذلك إلى (مونتميدي). وعليك تغطية، أو حماية، خط الانسحاب. واجمع حولك كافة الوحدات الموجودة حالياً في غابة غارين». وقد كان موقف (دواي) وفيلقه السابع في هذه اللحظة، كما وصفه أحد شهود المعركة، كالتالي:

«كان الدمار، دمار الفوضى والاضطراب، يمتد على اتجاه الخندق المائي لمدينة سيدان. وهو الخندق الذي ابتلع محطومات جيشنا ـ الفرنسي ـ العاثر الحظ. وضمت هذه المحطومات مزقاً من كل الأجسام وقطعاً من كل الأسلحة. واستمرت القذائف في انهمارها قادمة من كل نقطة من نقاط الأفق، لتضرب بقوة الكتل الطينية فتقلب الأرض من الأمام وعلى الأجناب والمؤخرة. كانت الأصوات الصاخبة ترتفع في الوسط مختلطة بالأنين والعويل، في حين كانت عربة أسعاف على يميننا وقد اندلعت فيها النيران وتمزقت بسبب إصابتها بالقذائف. وجاءت انفجارات قطع المدفعية من حولنا لتسهم في زيادة عدد الضحايا. وكان باستطاعة أي فرد أن يرى في كل مكان بعض

الخيول، فرادى أو مجمعة، وهي مستنزفة، وجراحها ترسل الدماء، بعد أن سقط فرسانها الذين نفذوا واجباتهم ببطولة. . .».

استطاع الفيلق الفرنسي الثاني عشر (بقيادة الجنرال لوبرون) الاحتفاظ بمواقعه فيما بين الساعة الثانية عشرة ظهراً والساعة الواحدة (١٢,٠٠ ـ ١٣,٠٠) وفشل البافاريون في التقدم إلى ما وراء (بازيل). وقرر (ويمبفن) شق طريقه إلى (كارينيان) مستخدماً في ذلك قوة الفيلق الخامس على أمل (القذف بالقوات البروسية إلى نهر الموز). وقد بعث برسالته التي سبقت الإشارة إليها ـ إلى (دواي) لحماية محاولته اليائسة. كما أرسل في الوقت ذاته رسالة إلى (دوكرو) لجمع فيلقه والسير عبر طريق (لامونسيل) إلى (بازيل). ثم أرسل في الساعة الواحدة والنصف من بعد الظهر (١٣,٣٠) الرسالة التالية إلى الأمبراطور نابليون: **«سيدي! لقد قررت فتح ثغرة مقابل مواقع الجنرال لوبرون والجنرال دوكرو حتى لانقع أسرى في سيدان. والتمس من جلالتكم أن تقفوا في وسط جنودكم. وبذلك يكون لهم شرف فتح الطريق لطريق تراجعكم وانسحابكم»**.

كان الأمبراطور لويس نابليون في (سيدان) عندما سلمت إليه هذه الرسالة، فقرأها، وأعرض عن قبول هذا الاقتراح. وبدلاً من ذلك، فقد عاد وتسلم مسؤولية القيادة العليا، بهدف تنفيذ قراره الخطير. الاستسلام.

هـ ـ الومضات التاريخية (سقوط إمبراطورية وقيام إمبراطورية).

جلس نابليون الثالث مفكراً بنهاية حكمه، والصورة التي انتهى إليها هذا الحكم، بينما كان فيلق (دوكرو) يتفتت من حوله، لينتشر فيما حول (سيدان) على شكل أفراد تائهين ومجموعات شاردة. وكان (دوكرو) أثناء ذلك يقوم بجوله تفقدية على بقية مواقعه، وهتف به

أحد ضباطه وهو يدخل القلعة: «**لقد ارتفع العلم الأبيض**». وفي هذه اللحظة بالذات تلقى (دوكرو) الرسالة التي بعثها إليه (ويمبفن) وضمنها أوامره. فكتب إليه: «**. . . وصل الموقف داخل سيدان إلى درجة لا يمكن وصفها، فالعربات، والمركبات والمدافع. . وكل العوائق والمحطومات لجيش مدمر، قد انتشرت كلها لتسد منافذ الطرقات ولتملأ الشوارع والساحات العامة. . . وانتشرت هنا وهناك مجموعات من الجنود الذين فقدوا أسلحتهم، وهجروا أعتدتهم، وأسرعوا بحثاً عن ملاجىء لهم في المنازل والكنائس. بينما كان آخرون يتدافعون على أبواب المدينة بشدة، ليسحق بعضهم بعضاً حتى الموت وتدافع الغوغاء مهرولين منحرفين عن الجنود الذين كانوا يزحفون على بطونهم في بعض الأماكن في حين كان بعض جنود المدفعية يركبون على مقدمات مدافعهم ـ سبطاناتها ـ وقد فقدوا اتجاههم وسط جموع الشعب الهائج. . . وأخذ بعض الجنود في الصراخ: لقد خانونا وغدروا بنا، لقد باعنا الخونة الجبناء**».

تقدم الجنرال (دوكرو) إلى الأمبراطور، الذي بادأه بقوله: «لماذا يسمرون في إطلاق النار؟ لقد رفعت العلم الأبيض!». وطلب الأمبراطور إلى (دوكرو) كتابة تعميم على الجميع لوقف إطلاق النار بصورة تامة. ونفذ (دوكرو) ما طلبه الأمبراطور، غير أنه رفض توقيع الأمر، متذرعاً، بحجة أن (ويمبفن) هو القائد العام. كما رفض رئيس هيئة الأركان (الجرنال فور) التوقيع على الأمر أيضاً. فعمل الأمبراطور في هذه المرة على إملاء رسالة إلى (ويمبفن) وبعث بها إليه مع الجنرال (لوبرون). غير أن القائد العام (ويمبفن) رفض قراءة الرسالة. ولكن (لوبرون) حاول إقناعه بالواقع مشيراً إلى العلم الأبيض الذي كان يرتفع مرفرفاً. فما كان من (ويمبفن) إلا أن صرخ قائلاً: «**لا! لا! لن أستسلم. أنزلوا هذا العلم. إنني مصمم على متابعة القتال**».

وانطلق (ويمبفن) إلى (سيدان) مسرعاً، لا من أجل مقابلة الأمبراطور، وإنما من أجل جمع ما يمكنه جمعه من الجنود، وصرخ قائلاً «سيصل بازين! سيصل بازين!» محاولاً بذلك رفع المخاوف التي كانت مهيمنة على الجنود اللاجئين إلى مختلف الملاجىء، واقترب منه بعض الجنود وابتعد عنه الكثيرون. وكان كل ما أمكن له جمعه من الجنود لا يزيد على (١٢٠٠) جندي ومعهم مدفعان اثنان انطلق بهم للهجوم المضاد على (بالان). ولم يكن عمل (ويمبفن) هذا إلا عمل رجل معتوه. إذ اصطدمت مجموعة الرجال الابطال المخدوعين بسيل من الرصاص المنهمر من الطرفين، فأسرع هؤلاء بالعودة إلى القلعة وهم يصرخون هلعاً وفزعاً. **وعاد (ويمبفن) إلى (لوبرون) وقال له: «إنني أستقيل من منصب القائد العام، وأعهد إليك باستلام مركزي». وكان طبيعياً ومتوقعاً أن يرفض (لوبرون) هذا الشرف؟.**

قام الأمبراطور لويس نابليون بإعلام الجنرال (دوكرو) في الساعة السادسة مساء (١٨٠٠) بأنه يرغب في تسليمه القيادة. غير أن (دوكرو) رفض التكليف، وكذلك فعل الجنرال (دواي). وعلى أثر ذلك. أصيب (ويمبفن) بنوبة من الهياج، فخاطب الأمبراطور بقوله: «سيدي! إنني إذا ما خسرت المعركة، وإذا ما تعرضت للهزيمة، فليس ذلك إلا لأن أوامري لم تنفذ، ولأن قادتك - الجنرالات - قد رفضوا إطاعتي والخضوع لي». وانتصب (دوكرو) قائماً على قدميه لدى سماعه هذه الكلمات، وتصدى له، وتبع ذلك مشادة كلامية حادة بين القائدين. وفي النهاية، قبل (ويمبفن) ما لا بد له من قبوله، ووافق على التوجه لمقر قيادة العدو، وإعلامه باستسلامه وجيشه.

سبق حدوث هذا المشهد بفترة قصيرة، رؤية ضابط بافاري وهو يهرول صاعداً (تل فرينوا) حيث مقر قيادة الملك البروسي لازال قائماً.

وتقدم الضابط البافاري إلى الملك غليوم يعلمه أن الفرنسيين قد قرروا الاستسلام. وفي الساعة السادسة والنصف تقريباً من مساء اليوم ذاته، ظهر حرس الشرف المدرع على مسافة قريبة، يتقدمه الجنرال الفرنسي (ريل) حاملاً علم نابليون، صاعداً التل على مهل. وترجل عن حصانه على بعد عشر خطوات من الملك، وتقدم إليه، ورفع قبعته محيياً، وقدم إليه رسالة ممهورة بخاتم كبير أحمر اللون. وفضّ الملك غليوم الرسالة. وقرأ ما فيها:

سيدي الأخ

لم أتمكن من الموت وسط قواتي. ولم يبق لي إلا أن أضع سيفي بين يدي جلالتكم.

سيدان - الفاتح من أيلول سبتمبر - ١٨٧٠

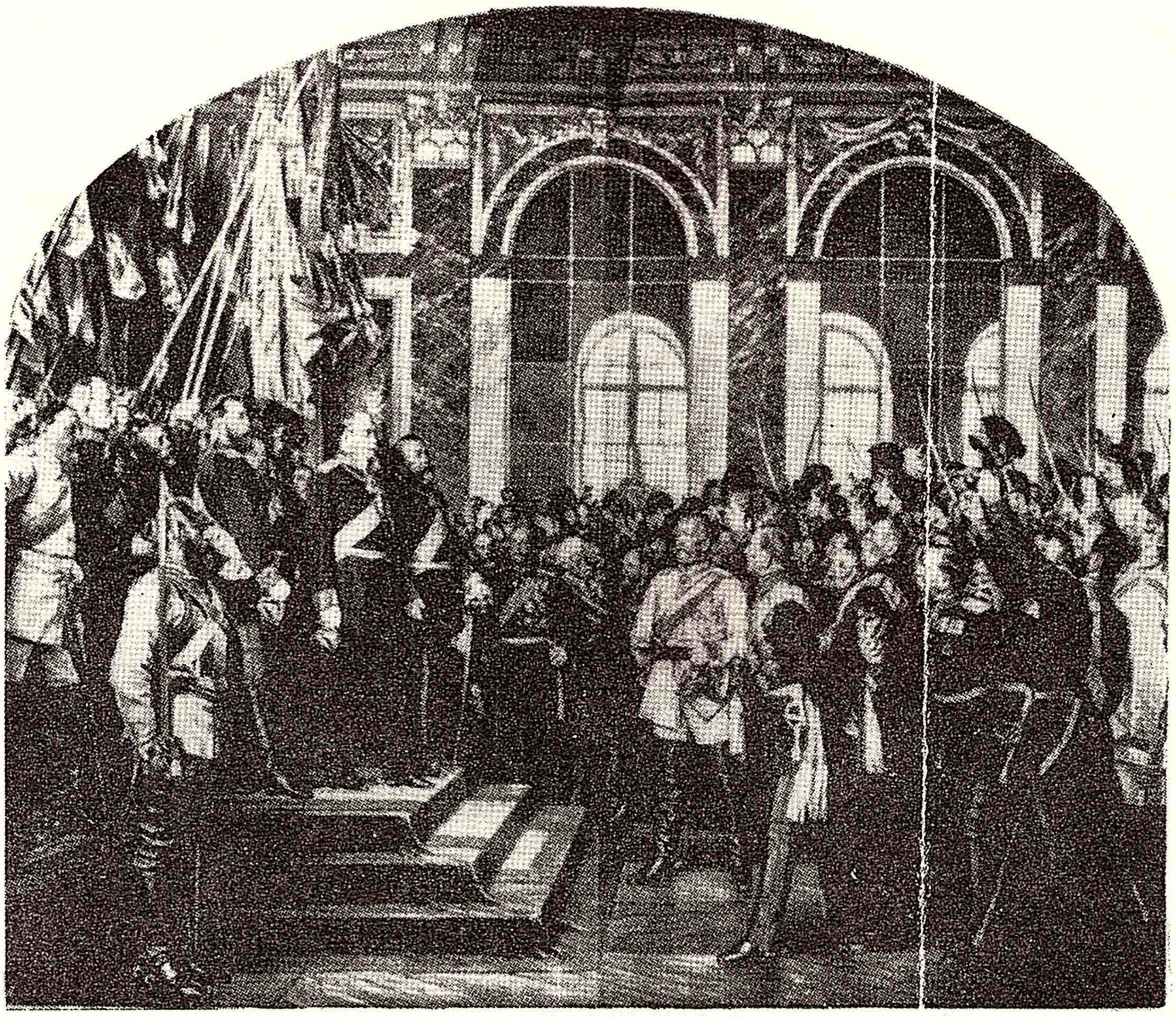
وأنا لجلالتكم.
الأخ المخلص.
التوقيع: نابليون*

عقد الملك غليوم مؤتمراً مع مستشاره، ثم كتب إجابته عن الرسالة، وعاد الجنرال (راي) وبرفقته ضابط بروسي، يتقدمها قارع الطبل وحامل العلم الأبيض. وركب الجميع خيولهم عائدين إلى (سيدان) فوصلوها مع غروب شمس ذلك اليوم. وكانت المدينة لاتزال

(*) كان نص الرسالة بالفرنسية:

Monsieur mon frère.
N'ayant pu mourir au milieu de mes troupes, il ne me reste qu'à remettre mon épée entre les mains de Votre Majesté.
Sédan, le 1er Septembre 1870.

Je souis de Votre Majesté
le bon Frère,
Napaléon



تتويج غليوم أمبراطوراً على ألمانيا الموحدة في قاعة المرايا بباريس».



بسمارك في مجلس (الدييت) وهو يقول: «نحن الألمان نخاف الله ونخشاه، ولا أحد غيره نخافه ونخشاه».



بسمارك يقابل
نابليون الثالث
بعد معركة سيدان

ملتهبة من أنحائها الثلاثة، فيما كانت الأضواء الحمراء تنفجر وتخبو من خلال أعمدة الدخان المتصاعدة فوق (بازيل) مؤكدة أن الاشتباكات **لازالت هناك محتدمة على أشدها**. غير أن مأساة سيدان كانت تسير مبتعدة عن هذه الشواهد. وجاء ظلام الليل ليسدل ستاره على هذا المشهد.

تردد في الساعة السادسة من صباح اليوم التالي (٢ ـ أيلول سبتمبر ـ ١٨٧٠) صوت في ردهة منزل من منازل (دونشيري) وهو يقول: «يا صاحب السعادة! يا صاحب السعادة! يوجد هنا جنرال فرنسي ـ اسمه ريل ـ ويقف بالباب، ولم أفهم منه ما يريده». وقفز (بسمارك) من سريره، وارتدى ثيابه على عجل، وامتطى صهوة جواده، ومضى إلى سيدان. ولحق به الدكتور (بوش) بأسرع ما يمكن، ليصل إلى «منزل منعزل لا يبعد أكثر من ثمانمائة خطوة عن الجسر القائم على نهر الموز في (دونشيري): كان المنزل مبنياً من طابق واحد، مدهون باللون الأصفر، وفي واجهته أربع نوافذ، مع فتحات بيضاء على مستوى الأرض، مع حاجبة بيضاء للنور على النمط الفينيسي ـ أباجوره ـ». وكتب بوش مؤرخاً لتلك اللحظة التاريخية: «لم تمض سوى فترة قصيرة، حتى اقتحم الغرفة رجل مثقل بما يحمله، وسار مباشرة إلى نهاية المنزل. كان يضع على رأسه قبعة حمراء ذات اطراف مذهبة، وصدفات سوداء منسقة ومشربة باللون الأحمر، وسترة وبنطال بلون أحمر أيضاً. وتحدث الرجل أول ما تحدث إلى الرجال الفرنسيين الذين كان بعضهم يجلس على المقعد. وكان الرجل يمسك بقفازه الأبيض، ويدخن لفافة تبغه ـ سيكارته» ذلك هو الأمبراطور ذاته، وقد جاء مستسلماً بنفسه إلى البروسيين. أما قضية استسلام جيشه فقد تركها للجنرال (ويمبفن). وقد دارت مناقشات مستفيضة لم تثمر إلا عن: «الاستسلام من غير قيد أو شرط».

خسر الجيشان البروسيان (٤٦٠) ضابطاً و (٨٥٠٠) جندي بين قتيل وجريح أما الفرنسيون فقد خسروا (٣٠٠٠) قتيل (من بينهم ٧٩٩ ضابط بين قتيل وجريح) بالإضافة إلى (١٤) ألف جندي جريح و (٢١) ألف أسير يضاف إليهم (٨٣) ألف أسير من الذين استسلموا في سيدان، ويضاف إليهم أيضاً (٣) آلاف تم أسرهم وتجريدهم من أسلحتهم في بلجيكا، فيبلغ المجموع بذلك (١٢٤) ألف جندي. وكان من بين ما غنمه البروسيون، علم ورايتان و (٤١٩) مدفع ميدان ورشاشا و (١٣٩) مدفعاً ثابتاً (من مدافع الحصون) و (١٠٧٢) عربة نقل و (٦) آلاف حصان صالح للخدمة من التي تم أسرها عند الاستسلام.

* * *

ترى ماذا كان يحدث في باريس أثناء ساعات هذا اليوم المصيري؟.

أرسل قائد الفرقة الأولى من الفيلق الثالث عشر من مركزه في (ميزيير) برقية في الساعة العاشرة والنصف صباحاً إلى (باليكاو) جاء فيها: «علمت في هذه اللحظة بالذات أن الملك غليوم وابنه، يتراجعان بأقصى سرعة، وذلك بعد أن تمكنا من التسلل ليلة أمس إلى (كليرمونت) في (أرغون). إنتهى». وجاءت برقية أخرى من (بروكسل) وصلت إلى (باريس في الساعة **٧,٢٥** مساء **(١٩٢٥)** وفيها: «تمكن ماكماهون في هذا الصباح من إلحاق الهزيمة بالبروسيين. وفي هذا الصباح أيضاً انطلق (بازين) لمطاردتهم على اتجاه سيدان». وقد أكدت (لندن) صحة هذه المعلومات في الساعة **١٢,٣٠** من صباح يوم **٢** أيلول ـ سبتمبر ـ.

لقد كانت هذه المعلومات كلها مناقضة للواقع، ويظهر بوضوح أن المضاربين في الأسواق المالية والصيارفة قد روجوا لهذه الشائعات على

نحو ما يحدث في مثل هذه الظروف، للتلاعب بأسعار العملة (النقد) ولجني أرباح خيالية. وعلى كل حال. فقد وصلت إلى (باليكاو) رسالة من الجنرال (ويمبفن) بدأت بما يلي: «**سيدي الجنرال! استطيع القول بأنني أتيت... ورأيت... وهُزِمت..**». وتسربت الأنباء إلى الشارع، واندلعت الثورة في باريس. وانهار المجلس الأمبراطوري في يوم ٤ ـ أيلول ـ سبتمبر ـ على صيحات الثائرين (يحيا المجتمع! عاشت الاشتراكية) وسقط (باليكاو) وحل محله (تورشو) في رئاسة الحكومة؛ وبدأت بذلك المرحلة المتطاولة من مراحل الحرب.

تابعت القوات البروسية تقدمها نحو (باريس) وضربت نطاقاً من الحصار حولها اعتباراً من يوم ١٩ ـ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٨٧٠، هذا فيما استمرت الحاميات الفرنسية مستمرة في مقاومتها في كلّ من (ميتز) و (بلفورت) و (استراسبورغ) و (تول) و (فردان) و (ميزيير). وأخذت مقاومة (الدفاع الوطني) تشتد في باريس يوماً بعد يوم مشكلة جيوشاً جديدة للدفاع عن فرنسا. ثم أخذت المقاومات في الانهيار تباعاً. وصمدت (ميتز) حتى يوم ٢٧ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ حيث استسلم (الجنرال بازين) للبروسيين ومعه (١٥٠) ألف رجل، بعد مقاومة مشرفة استمرت اثنين وسبعين يوماً. وكان ذلك لطمة قوية للجمهورية الفرنسية، إذ لم يبق من الحاميات المستمرة في صمودها إلا حامية (بلفورت). وزاد الموقف سوءاً عندما أخذت المدفعية البروسية الضخمة في قصف (باريس) اعتباراً من يوم ١٧ كانون الأول (ديسمبر) وإذ ذاك ظهر احتمال قيام ثورة ضد حكومة الجمهورية، فأسرعت هذه لإجراء المفاوضات مع بروسيا، وتم التوقيع على معاهدة استسلام العاصمة في ٢٨ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٨٧١. واستسلمت (باريس) أخيراً بعد أن كانت على امتداد مائتي سنة وهي تشغل قلب السياسات الأوروبية. فجاءت الآن (برلين) لتقوم بدورها الذي استمر

حتى الحرب العالمية الأولى (١٩١٨) وانعكس ذلك أول ما انعكس على فرنسا، إذ لم تلبث الثورة أن اجتاحتها، وتشكلت حكومة (كومونة باريس) في ١٨ - آذار - مارس - ١٨٧١. وانتشرت الفوضى والرعب، كما انتشر الاقتتال في حرب أهلية سقط حلالها (٣٠) ألف قتيل بين رجل وامرأة وطفل في نضال دموي رهيب، وهذا ثمن يمكن إضافته لرصيد الحرب البروسية الفرنسية، ومعركتها الرئيسية في (سيدان).

ترى ما هو الدور الذي قامت به (بروسيا) لدعم الثورة، حتى يتم لها تفتيت فرنسا وتمزيقها وتعميق جراحاتها؟ وهل كانت (كومونة باريس) منعزلة عن تيار الأحداث؟ المهم في الأمر هو أن (بروسيا) تابعت تنفيذ سياستها التي رسمها لها (بسمارك) بدقة رائعة واحكام مذهل. وقد وقع حدث مذهل سبق انهيار (باريس) بمدة (١١) يوماً. وكان لهذا الحدث أهمية تاريخية لا تقل عن أهمية (معركة سيدان) وإن كانت هذه المعركة هي التي أدت إلى ظهور هذا الحدث.

تتصدر قاعة المرايا في قصر فرساي لوحة كتب عليها - بالفرنسية - (الملك يحكم بنفسه)[*] كناية عن (الحق الإلهي) للملك بممارسة حكمه المطلق. وتحت هذه اللوحة، تم تتويج الملك (غليوم الأول) أمبراطوراً على جرمانيا - ألمانيا - يوم ١٨ كانون الثاني- يناير - ١٨٧١، حيث اجتمع في قاعة المرايا، كافة أمراء الأقاليم الجرمانية وحكامها وفي مقدمتهم (بسمارك) و (مولتكه) و (رون). وتحقق بذلك الحلم الذي عاش في عقول الجرمان ونفوسهم طوال (٢٤) عاماً، أي منذ الوقت الذي طرح فيه (وولشتاين)[٩٠] شعار

(*) الملك يحكم بنفسه: Le Roi Gouverne Par lui-même.

(٩٠) وولشتاين: (WALLENSTEIN-OU WALDSTEIN) ضابط ألماني، من مواليد هيرماني (١٥٨٣ - ١٦٣٤) كان من أفضل الضباط - الجنرالات - في حرب الثلاثين عاماً تحت قيادة الأمبراطور فرديناند الثاني. خاض الصراع المرير ضد ملك السويد (غوستاف أدولف) من غير أن يكون له مطمح خاص أو فائدة شخصية، إلا إستقلال ألمانيا ووحدتها، وقاده طموحه إلى محاكمته والحكم عليه بالخيانة. وقام ثلاثة من رفاقه - الجنرالات - بتنفيذ حكم الإعدام فيه.

وحدة الشعب الجرماني، ودفع حياته ثمناً له.

ترافقت ولادة هذا الحدث التاريخي مع ولادة حدث تاريخي آخر، لا يقل في أهميته عن الحدث السابق. فقد انسحبت الحامية الفرنسية من (روما) أثناء الحرب البروسية - الفرنسية، ونزل (مرتزقة البابا) فحلوا محلّهم، غير أن هؤلاء المرتزقة لم يلبثوا أن تخلوا عن أسلحتهم عندما تقدم (فيكتور عمانوئيل) بجيوشه إلى العاصمة الإيطالية. وتمت لإيطاليا وحدتها بصورة كاملة، وهو الهدف الذي سبق (لماكيافيللي) أن طالب الأمراء الإيطاليين بتحقيقه والعمل له قبل ذلك بمدة ثلاثة قرون ونصف القرن.

تتوج الصراع البروسي - الفرنسي أخيراً بالتوقيع على (معاهدة فرانكفورت) يوم ١٠ - آذار - مارس - ١٨٧١. وصادق عليها المجلس الوطني الفرنسي يوم (١٨ - آذار - مارس). وكانت بنود المعاهدة (شائنة، مهينة) من وجهة نظر الفرنسيين و (معتدلة - بعيدة عن روح الثأر والانتقام من وجهة نظر البروسيين)[٩١] إذ تضمنت مايلي:

١ - أن تدفع فرنسا غرامة قدرها (٢٠٠) مليون جنيه إسترليني.

---

(٩١) ظهر عدد من المجلة الوطنية الألمانية (NATIONAL-ZEITUNG) في أيلول - سبتمبر - ١٨٧٠ وفيه مقال يعبر عن النقمة ضد الاعتبارات الكامنة وراء المعاملة الطيبة التي منحت للأمبراطور الفرنسي الأسير. وتصدى (بسمارك) للموقف، وعالجه بقوله. «يأخذ الرأي العام للجمهور دائماًهذا الاتجاه منساقاً خلف مشاعره، وإن من طبيعة الشعب في الصراعات ما بين الدول، مطالبته للمنتصر بفرض إرادته على الخصم المهزوم، ذلك لأن القوانين والأعراف في قبضته. وإن إنزال العقوبة عليه لقاء ما قام به من الأعمال ليس مجرد طلب من مطالب المنتصر، وإنما هو أيضاً ما تطالب به أطراف أخرى. غير ان هذه كلها مطالب مرفوضة، إذ انه لا علاقة للسياسة بأعمال الثأر والانتقام. ولا علاقة للسياسة أيضاً بما تطالب به آلهة الانتقام اليونانية (نيميسيس: NEMÉSIS) كما يجب ألا تستوحي السياسة أعمالها من قضاة المحاكم فالمقياس الصحيح للقضية هو في تقويمنا للموقف من خلال الإجابة على السؤال التالي: أيهما أفضل لنا، وأكثر فائدة، معاملة نابليون معاملة حسنة أم الإساءة في معاملته؟.. أليس من المحتمل أن يعود نابليون مرة أخرى إلى سطح الأحداث؟». REEF: (THE DECISIVE-BATTLES) P. P. 2/275.

٢ ـ أن تعترف فرنسا بحق ألمانيا في التعامل معها باعتبارها الأمة التي لها الأفضلية على بقية الدول.

٣ ـ ضم الألزاس وشرقي اللورين إلى جرمانيا (ألمانيا).

لقد وجد العدد الأكبر من الأمراء الألمان أن قضية الحاق (الألزاس) بألمانيا هي قضية حق وقضية عادلة باعتبار أن سكان الأقليم هم من العرق الجرماني في معظمهم، ولكن ماذا بشأن (شرقي اللورين) الذي يعتبر معظم سكانه من الفرنسيين؟.. وفي الواقع، فقد أخذت قضية ضم (الألزاس وشرقي اللورين) حيزاً كبيراً من الجدل والنقاش، ولربما كان من الأفضل لألمانيا (الأمبراطور غليوم) لو أنها تجاوزت النظرة إلى المميزات الإستراتيجية التي حصلت عليها بضمها لإقليم (شرقي اللورين)، فوضعت الاعتبارات السياسية موضع الاعتبار عند اتخاذها لقرار ضم الإقليمين لبلادها. ذلك لأنها بعملها هذا لم تستثر كبرياء الأمة الفرنسية فحسب، بل إنها أفسحت المجال الرحب لوضع اللغم المدمر الذي سيتفجر في المستقبل. ذلك أن كل عدو خارجي للأمبراطورية الجرمانية، قد أخذ منذ التوقيع على معاهدة (فرانكفورت) السلمية، بتحريض فرنسا ضد ألمانيا، مظهراً استعداده لوضع قدراته من أجل دعم فرنسا، والذهاب إلى حد التحالف معها لاسترجاع حقها (في الألزاس واللورين). وهكذا بات ضم هذين الإقليمين هو الشبح الذي بقي يؤرق السلم الأوروبي، والذي أمكن له بعد نصف قرن من أن يجد له تعبيراً في الحرب العالمية الأولى.

* * *

لقد حاول بعض الكتاب والمؤرخين تقسيم الحرب البروسية ـ الفرنسية إلى مرحلتين: مرحلة ما قبل سيدان، وفيها كانت بروسيا تشن حرباً عادلة، ومرحلة ما بعد سيدان، كانت بروسيا فيها

تشن حرباً عدوانية، لأنها اقتحمت فرنسا وفرضت عليها غرامات ثقيلة. والسؤال: هل كان باستطاعة بروسيا أن تقف في منتصف الطريق؟ أم كان لزاماً عليها أن تتابع الحرب حتى يتحقق لها هدفها السياسي؟.

كتب ضابط ألماني ومؤرخ مايلي: «كان الانتصار في سيدان، تتويجاً للجهود المشتركة التي بذلها القادة الألمان ورجالهم، فحققوا نجاحاً لا يضاهيه نجاح في التاريخ... ولقد أدت الهزيمة الكاملة التي لحقت بالجيش الفرنسي إلى انهيار الأمبراطورية النابوليونية الثالثة، وتدحرجها إلى الوحل. وقد انتشر خبر ذلك فوراً، كما لو كان شعاعاً من برق خاطف. فأذهل العقول، لا في دنيا العالم الألماني وحده، وإنما في أوروبا كلها، حيث استقبل بعض الناس نبأ الانتصار الألماني بحماسة رائعة، بينما استقبله آخرون بذهول من يتعرف على حدث لا يمكن تصديقه. وعلى كل حال، فإن الجيش الألماني لم يعرف في بداية الأمر النتائج السياسية لانتصاره، غير أنه عرف قدرته في حمل خصمه على الركوع، ومن ثم فقد بات يتطلع بحماسة للوصول إلى عاصمة فرنسا».

«لا يمكن للإستراتيجيـة الإفادة من تجـارب التاريـخ العسكري. بشرط أن تتم الدارسة بالأسلوب الصحيح الذي يعنى بالعلاقة الوطيدة بين الإستراتيجية والتاريخ»
« يجب ألا يترك الجيش محتشداً بدون هدف واضح، ومهمة محددة».

مولتكه

الفصل الثاني

١ ـ الحرب البروسية ـ الفرنسية ـ وموقعها في التاريخ.
٢ ـ بدايات التطور في التسلح وأساليب القتال.
٣ ـ مولتكه ـ والوحدة الألمانية.

١ ـ الحرب البروسية ـ الفرنسية وموقعها في التاريخ.

تركت الحرب البروسية ـ الفرنسية أثراً عميقاً واسعاً تجاوز في حدوده مسرح القتال ليمتد إلى كل أوروبا، والعالم جميعه، ولم ينحصر هذا الأثر في حدود زمن الحرب وإنما امتد بظلاله حتى أفق المستقبل البعيد، إذ لازالت نتائج الوحدة الألمانية تعيش في حياة الأحفاد وعقولهم، كما كانت على عهد الأجداد، بالرغم من كل تقسيم في حدود اليوم، وبالرغم من كل اختلاف في الأنظمة السياسية والاجتماعية فرضه واقع الحرب العالمية الثانية. وقد يكون من الأفضل العودة لتقصي ذلك الأثر منذ ظهوره في إطار مجموعة النتائج التي تمخضت عنها الحرب، ومنها:

أولاً: أدى انهيار فرنسا الشائن، والذي لم تتمكن من النهوض بعده، إلى ظهور ألمانيا الموحدة كقوة معنوية مكنتها من احتلال مكانتها على (تاج مملكة القارة الأوروبية).

ثانياً: أدى ظهور ألمانيا بتلك القدرة القوية إلى الاختلال بتوازن القارة الأوروبية، وهو التوازن الذي كان يضمن على حد تعبير السياسة البريطانية (السلم البريطاني)(*) والذي كان يمنع الصراعات

(*) السلم (أو الأمن) البريطاني: (PAX-BRITANNICA).

الأوروبية المحدودة من التحول إلى (صراع أوروبي شامل).

ثالثاً: أدى هذا التحول بدوره إلى حمل بريطانيا على إجراء تغيير جذري في سياستها تجاه القارة الأوروبية، ووضع حدّ نهائي لذلك الصراع التاريخي الذي استمر قروناً عديدة فيما بينها وبين فرنسا، وذلك حتى تعيد التوازن الإستراتيجي في القوى تجاه ألمانيا.

رابعاً: إنطلقت ألمانيا بعد أن حققت وحدتها، إلى تطوير صناعتها حتى غدت في طليعة الدول الصناعية الأوروبية، وأصبح لزاماً عليها الدخول في صراع مع بريطانيا، وهو الصراع الذي بات من المحال تجنبه بسبب حاجة ألمانيا للأسواق الخارجية التي كانت بريطانيا هي المسيطرة عليها في كل أنحاء العالم (أو في معظمها على الأقل).

خامساً: أدى ذلك بدوره أيضاً إلى ظهور قدرتين عسكريتين وتجارتين عظميين في أوروبا، بريطانيا المهيمنة على البحر، وألمانيا المهيمنة على البر (القارة) فعاد الوضع على ما كان عليه أيام نابليون بونابرت ولكن مع انتقال مركز الثقل إلى (برلين) بدلاً من (باريس). وعلى الرغم من توافر مجال رحب في أوروبا يتسع لنصف دزينة (درزن) من الدول الموصوفة (بالعظمى) أو (الكبرى) والتي يمكن لها التعايش فيما بينها (على حساب الدول الأخرى طبعاً) فإنه لم يكن هناك مجال يتسع لدولتين تتعايشان سلمًا (ولو أن نية الحرب لاحداهما ضد الأحرى لم تكن متوافرة).

سادساً: أدت هذه الحقيقة الثابتة والتي لا يمكن دحضها أو إنكارها، إلى ظهور نوع جديد من التحدي العنيد الذي لم يعرفه تاريخ القارة الأوروبية منذ انهيار الأمبراطورية الرومانية (في القرن الثالث الميلادي) إذ انتشرت المخاوف التي زاد من حدتها تعاظم الثورة الصناعية، مما دفع دول أوروبا إلى مضمار (سباق التسلح)، فلم يكد القرن التاسع عشر يبلغ غايته، ويصل إلى نهايته، حتى أصبحت كل دولة

من الـدول الأوروبية وهي تعيش تحت السـلاح، أو بحسب تعبير الأمبراطور غليوم (أمة في جيش) وذلك بصرف النظر عما هو متوافر بين الدول الأوروبية من تفاوت في درجة (القدرات العسكرية) أو تباين في (الإمكانات الاقتصادية). وأصبحت كلمة (العسكرية) بالتالي مرادفة لكلمة (السياسية). وعلى هذا فقد يكون من الأهمية بمكـان التعرض لتلك المؤثرات التي دخلت مجال (فن الحرب) بنتيجة (الحرب البروسية ـ الفرنسية). ولعل من أهم تلك المؤثرات، تطور العلاقة بين قضيتي (السلم) و (الحرب) في عصر الثورة الصناعية وفقاً لما تحدث عنها المؤرخ الإيطالي (غاغلييمو ـ فيرورو)[٩٢] بقوله:

«**كانت قدرة (صنع الحرب) وقدرة (صنع السلام) قبل الحرب البروسية ـ الفرنسية، مجمعة في قبضة واحدة، غير أن هاتين القدرتين انفصلتا تماماً بعضهما عن بعض في الفترة من سنة (١٨٧٠) حتى سنة (١٩١٤). فـأصبحت (صناعـة الحرب) محصـورة باختصـاص هيئة الأركـان و (صناعة السلام) من اختصاص المدنيين والديبلوماسيين، ولكن ماذا يستطيع هؤلاء المدنيون والديبلوماسيون أن يعملوه؟ لاسيما بعد أن أصبحت القواعد القديمة (لصنع السلام) هي قواعد غير عملية ولا يمكن الأخذ بها أمام الأساليب الجديدة التي جاءِ بها رجال (صنع الحرب)؟... لقد عمـل الجندي عـلى تطويـر تقنية الحـرب ففقد الديبلوماسي فن صنع السلام...** ولما وجد الديبلوماسيون أنفسهم وهم في حالة عجز عن مماسة دورهم في (صنع السلام) أخذوا في تمهيد الطريق للحرب عن طريق إقامة (الأحلاف) أو رفض الانضمام إلى (الأحلاف) ومقاومتها. ولقد قامت قدرتان بتوقيع معاهدة السلام في سنة (١٨٧١) ولكن عندما استؤنفت الحرب في سنة (١٩١٤) كانت

---

(٩٢) غـاغـلييلمـو فيرّيـرو: (GUGLIELMO-FERRERO) مـؤرخ إيـطالي وعـالم اجتـمـاعي، (١٨٧١ ـ ١٩٤٢) من أشهر مؤلفاته (صعود روما وسقوطها) و (مشكلة السلام).

هناك مجموعتان هائلتان ـ ضخمتان ـ من مجموعات القدرات، وقد وقفتا كل في مواجهة الثانية. وكل واحـدة منهما مسلحـة ـ حتى الأسنان» وبكلمات أخرى: فكلما تعاظمت التقنيات في كفة الحرب، وتكاملت اتقاناً وتطوراً، تنـاقص الدور السياسي وانكمشت حـدود عمله، وتحددت آفاقه حتى بات العالم كله عبارة عن كتلة متفجرة، يكفيها انطلاقة رصاصة واحدة في إحدى زوايا العالم المظلمة حتى تتفجر عن حرب شاملة. ولقد بات من المتوقع أن تفسح (الحروب الـوطنية) بدورها مجالاً رحباً (لحروب الأحلاف). إذ سيكـون من المحال في المستقبل على أية دولة الاعتماد على مواردها الخاصة وإمكاناتها الذاتية للاضطلاع بإعباء حرب ناجحة، ولا بد لها من أن تكون عضواً في تحالف من التحالفات.

لقد جاءت النفقات الباهظة للتسلح لتضيف بعداً جديداً على أبعاد (الحروب الوطنية) أو (الحروب المحدودة ـ وفقاً للاصطلاح الحديث) وفقدت الدول الصغرى استقلالها الذي جاهدت طويلاً للوصول إليه، بسبب التبعية المفروضة من خلال (عملية سباق التسلح) التي تدفع إليها دفعاً لا خيار لها فيه من قبل الدول العظمى المتنـافسة عـلى التحكم بالعالم وشعوبه.

٢ ـ بدايات التطور في التسلح وأساليب القتال.

واجه البروسيون في حربهم ضـد فرنسـا مشكلة تفوق الأسلحـة الفردية للمشاة الفرنسيين. فقد كان الفرنسيون يستخدمـون (بارودة الشاسبو)(*) التي تلقم من المغلاق، وذات إبرة للقدح، وترمي حتى مسافة (١٢٠٠م) بينـما كانت البـارودة البروسيـة (دريزه) تلقم من المغلاق أيضاً، وذات إبرة للقدح إلا أن مداها كان محدوداً بمسافة

(*) الشاسبو: (CHASSEPOT).

(٦٠٠م) فكانت لا تتجاوز في مداها نصف مسافة رمي البارودة الروسية. غير أن البروسيين استخدموا أسلحتهم بمهارة عالية عوضت إلى حد كبير تدني قيمة بواريدهم. وكان هناك سلاح قادر على تحقيق نتائج أفضل لو استخدمه الفرنسيون بكفاءة أكبر، وكان هذا السلاح هو (**الرشاش رفيي**)(*) المزود بخمس وعشرين سبطانة متوازية، ويرمي حتى مسافة (١٢٠٠م) بمعدل (١٢٥) طلقة في الدقيقة. ولكي يحافظوا على سريته، لم يستخدموه في الجيش إلا قبل اندلاع الحرب بأيام قليلة، حتى إنهم ـ بحسب رأي صانعه رفيي ـ استخدموه في الحرب بصورة غبية تماماً. وهو أمر لا يسبب الدهشة من القطعات التي لم تتعلم طريقة استخدامه.

إذا كان الفرنسيون يتفوقون على البروسيين بأسلحتهم الفردية، فقد كان هؤلاء يتفوقون على الفرنسيين بأسلحتهم الاجماعية (المدفعية). إذ كانت مدافع الميدان الفرنسية مصنوعة من (البرونز) وتلقم من الفوهة، ولا تتجاوز في مداها (٢,٨كم) في حين كانت المدفعية البروسية من إنتاج مصانع (كروب) مصنوعة من الفولاذ، وتلقم من المغلاق، ويصل مداها حتى (٣,٥كم). ولم يكن تفوق البروسيين مقتصراً على نوع السلاح، أو ميزاته، وإنما كان تفوقهم واضحاً في استخدامه أيضاً، إذ عمل البروسيون (على نحو ما سبق عرضه في مسيرة الأعمال القتالية) على إجراء حشد مدفعي كثيف، سواء في (غرافلوت) أو في (سيدان) بصورة خاصة، حتى ان بعض المؤرخين وصفوا معركة (سيدان) بأنها: «**أكبر معركة من معارك المدفعية في الحرب ـ حتى ذلك** العهد». وبذلك أمكن للبروسيين إيقاف كل الهجمات الفرنسية بنيران المدفعية، وعلى مسافة تزيد على (١٨٠٠م) أي على مسافة أبعد بكثير من المدى الحقيقي للبارودة. الأمر الذي حمل ضابطاً فرنسياً، أسره

(*) رفيي: (REFFEYE).

البروسيون، على وصف الهجوم البروسي بأنه «**هجوم خمسة كيلومترات بـالمدفعيـة**». هذا في حـين بقيت المدفعيـة الفرنسيـة مـوزعـة عـلى التشكيلات، الأمر الذي أنقص من فاعليتها، كما ساعد البروسيين على تدميرها تباعاً بحشود نيرانهم المركزة والقوية والمحكمة (الدقيقة).

أظهرت قوات الفرسان (الخيالة) ضعفها من جديد، عند مواجهتها لنيران الأسلحة الحديثة. فلم يحدث في الحرب البروسية الفـرنسية سوى انقضاض واحد حالفه النجاح، وهو انقضاض فـرسان لـواء الجنرال (فون برودو) في (فيونفيل). ومع أن الفرنسيين كانت تنقصهم الذخائر، فقد خسر هذا اللواء نصف قوة فرسانه. وفي (سيـدان) حاول الجنرال (دوكاليفه) القيـام بانقضـاض جريءجـداً على رأس فرسان أفريقيا (الزواف الجزائريين) ولكن هـذا الانقضاض تعـرض (**للفناء التام بما يسمونه صلية واحدة لم يشهدها أبداً أقدم جندي مازال حياً حتى هذا اليوم**). ومع أن انقضاض الخيالة لم يعد عملية حربية تكتيكية، إلا أن الخيالة حافظت مع ذلك على كل قيمتها لتأمين الحيطة (الأمن) وللقيام بعمليات الاستطلاع. ولعل أفضل نموذج عرفته هذه الحرب هو ما حدث يوم ٩ آب ـ أغسطس ـ عندما وضعت القيـادة البروسية مهمة جديدة للخيالـة، لم تكن معروفـة جداً في جيـوش الغرب، وذلك على أثر فقدان التماس مع القوات الفرنسية. وتتلخص هذه المهمة في الاندفاع إلى الأمام، للقيام بالإغارات وبـالاستطلاع وبدعم وحدات الطليعة المرسلة من المشاة.

لقد كان تطور الأساليب التعبوية ـ التكتيكية ـ للقوات موازياً لتطور الأسلحة ومقابلاً لها. إذ كان الأسلوب التعبوي ـ التكتيكي ـ للمشاة الفرنسيين، معتمداً على توجيه صليات نارية من مسافة بعيدة، بشكل تستفيد فيه إلى أقصى ما يمكن من المدى المتفوق لبندقية (شاسبو) وتتخندق المشاة فيها بعد مختبئة في ملاجئها، وتنتظر تقرب العدو، لكي

تصب عليه نيرانها في آخر المطاف. وقد واجه (مولتكه) هذا الأسلوب التعبوي ـ التكتيكي ـ متخذاً أسلوباً دفاعياً ـ هجومياً يتلخص بالتالي: يتم أولاً إحتواء العدو جبهياً، ثم يبدأ الهجوم ضد أجنحته. وكانت التعليمات التي تلقتها كل جماعة تعبوية ـ تكتيكية ـ قوتها سرية وما فوق، اللجوء إلى الهجوم دوماً، حتى لا تتيح فيه الفرصة للفرنسيين للرد. وكان الاحتواء بالنيران، والهجوم بالنيران، والمناورة تحت حماية النيران، والالتفاف بالنيران. والخلاصة: كان الأسلوب التعبوي ـ التكتيكي ـ يتضمن عدم التوقف عن إطلاق النار إلى أن يتم حسم المعركة. وتجدر الاشارة إلى أنه لم يتمكن اي طرف من الاطراف المتحاربة، طوال الحرب كلها، الى الاستيلاء على اي موقع من المواقع بالهجوم الجبهي. ولا إلى جلب قطعات في صفوف منتظمة الى خط النار. فقد تحول الأسلوب التعبوي ـ التكتيكي ـ الذي تم تعلمه على أرض التدريب، وتطورت مناورات أيام السلم، في صفوف الجانبين المتحاربين. ولم يشهر أحدهما الحربة أبداً في أرض مكشوفة، ونادراً ما كانوا يحاربون بالحراب في قتال الشوارع، أو في قتال الغابات.

ظهرت خلال الحرب (البروسية ـ الفرنسية) مجموعة من المؤشرات التي رسمت الملامح المقبلة للتطور. إذ كانت معركة (سانت بريفا ـ غرافلوت) نموذجاً لتطور المعركة من الحركة مباشرة، إذ هاجم الألمان المواقع الفرنسية لدى وصولهم مباشرة دون أي توقف. وكانت المدفعية الألمانية في رأس الرتل، الأمر الذي مكنها من سبق العدو في فتح النار. ويعتبر عمل المدفعية هذا ظاهرة جديدة لم يسبق معرفتها من قبل. ومع ذلك فإن نيران المدفعية وهجمات المشاة الألمانية لم تستطع الحصول على أي نجاح. وبقيت المواقع الفرنسية صامدة أمام الهجمات الجبهية الألمانية.

لقد كان لهجوم الحرس الألماني قرب (سانت بريفا) أهمية خاصة، إذ

هـاجم رجال الحـرس بالصفـوف المتراصـة (المتلاصقـة) على أرض مفتوحة. فمثلاً: كان الترتيب القتالي للواء الأول العائد لفرقة الحرس الأولى يتألف من أربع سرايا منتظمة بالأرتال، ومن نصفي كتيبتين. كل هذا في النسق الأول. أما النسق الثاني، فقد كان يتألف من أربعة أضعاف الكتيبة والنسق الثالث يتألف من كتيبتين. **وكانت مـرافق الجنود ملتصقة ضمن كل رتل. وكان التقدم يتم بإيعاز (يسار - يمين) وبشكل منسجم مع قرعات الطبول وعزف البواقين. ولم يكن لدى جنود الحرس إمكانية استخدام السلاح إلا ابتداء من مسافة (٦٠٠م) وفقاً لخواص السلاح**. وبما أن مدى السلاح الفرنسي، كان أكثر من ذلك، فقد أمطر الجنود الفرنسيون الألمان المهاجمين وابلاً غزيراً من الرصاص، وكبدوهم خسائر فادحة. ولم يستطع الألمان الوصول إلى مسافة (٦٠٠م) أي إلى المدى المجدي الذي يسمح باستخدام سلاحهم (دريزة) إلا بمساعدة قوية من المدفعية وبثمن باهظ. ونظراً للخسائر الفادحة ترك الجنود الألمان بشكل عفوي الأرتال التي انتظموا فيها، فانتشروا بتراتيب سلاسل المشاة رابطين حركة التقدم مع فتح النار. ومنذ هذه الموقعة، تم بشكل نهائي إدانة الترتيب القتالي القائم على أرتال السرايا وأرتال الكتائب. ولم تنجح كل المحاولات الرامية إلى دفع مفارز الجنود المنتظمين بترتيب الرتل إلى الأمام بسبب تأثير النيران المعادية. ولم يستطع الألمان فيما بعد متابعة المعركة إلا بترتيب سلاسل المشاة التي لجأت إليها أرتال المشاة بشكل عفوي، تجنباً للنيران الغزيرة الصادرة عن الأسلحة الفرنسية المعادية بالرغم من معارضة القيـادة الألمانية العليا، واعتبارها أن التخلي عن ترتيب الأرتال خرق فاضح للنظام. وأصبح التقدم فقط يتم بالقفزات ضمن المنطقة المضروبـة بنيران الأسلحة المعادية. **وهكذا بدا الجندي وكأنه ضابط لامع: فهو الذي أوجد بشكل عفوي ترتيباً قتالياً جديداً يتـلاءم مع الأسلحـة المحلزنة الجديدة التي تلقم من قسمها الخلفي ودافع عن هذا الترتيب**

الجديد بالرغم من معارضة القيادة.

لقد كان تفوق المدفعية واضحاً على المشاة، على امتداد معارك الحرب، ولقد كان رجحان المدافع والوسائط التقنية حافزاً قوياً لتحريض العلم والصناعة فأصبح هذان هما الأساس الماديّ للحرب. **ولقد أفسحت الخيالة ـ الفرسان ـ المجال للمشاة، قبل الحرب، ثم ها هي المدفعية تحتل المرتبة الأولى. وأصبحت الحرب مغرقة أكثر فأكثر على اتجاه التصنيع، ولقد كان ذلك تعبيراً عن روح العصر. فالحضارة الصناعية تطلبت ما يوازيها وما يقابلها من التطور العسكري.** كان (جيبير) و(كلاوزفيتز) من رواد الدعاة (للحرب الشاملة) و(للأمة المسلحة). وجاء غليوم الأول فعبر عن هذا الاتجاه بوضوح تام. غير أنه كان من المحال زيادة أحجام الكتل العسكرية وتنظيماتها لولا التطور في وسائل النقل. ولقد جاءت القاطرة البخارية، لتعمل على تنظيم كتائب الأمة المسلحة، ولتدخل روح الديموقراطية لجيوشها، ولتجعل من أيام السلم فترة تحضيرية للحرب. وكان التطور الظاهر في (إدارة الحرب) هو تعاظم دور (هيئات الأركان) بما يشبه (إدارة المصانع والمؤسسات الضخمة) من قبل مدراء الأعمال ورجالها. ويظهر من خلال ذلك، أن (الثورة الصناعية) قد تجسدت بكل أبعادها في الحرب (البروسية ـ الفرنسية) فكانت هذه الحرب تعبيراً عن روح العصر، وقد استطاعت بروسيا كسب قصب السبق في هذا التطور، وتخلفت فرنسا عن هذا المضمار.

٣ ـ مولتكه ـ والوحدة الألمانية.

لقد ارتبطت الوحدة الألمانية بأسماء حفظها التاريخ: (غليوم الأول) و(بسمارك) و(مولتكه) غير أن هذه الأسماء الشهيرة لم تتمكن من إخفاء الجهد المستمر لحكام المقاطعات الألمانية وأمرائها منذ إقامة (الاتحاد الجمركي) وحتى التحالف السري العسكري بين (اتحاد

الشمال) و (إتحاد الجنوب)، ونهاية بإعلان الاتحاد في (قاعة المرايا ـ في فرساي) يوم ١٨ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٨٧١م. غير أن هذا الجهد المشترك للشعب الألماني ولأمراء أقاليمه وحكام مقاطعاتـه لا يتنقص بحال من الأحوال دور القيادة التي عملت على تنسيق الجهد المشترك وتوجيهه على اتجاه واحد، هو اتجاه توحيد ألمانيا من خلال إعداد (آلة الحرب) وتطويرها، ورفع كفاءتها القتالية، وهنا يبرز الدور الحاسم (للماريشال مولتكه) الذي عمل طويلاً في الظل، وبعيداً عن أضواء الشهرة، حتى جاء الفجر المناسب فظهر متألقاً، بهر الدنيا، كما يبهر البرق الخاطف الأنظار المتطلعة إلى السماء في وسط الظلمة القاتمة.

وبقدر ما تألق دور (مولتكه) بقدر ما سطعت شمس الوحدة الألمانية التي ألقت ظلالها على العالم كله، وخاصة منـه تلك الشعوب التي ترتبط بروابط واحدة (دينية أو عرقية أو وطنية) ثم مزقتها الصراعات السياسية، وجهود الدول الاستعمارية. وهنا لا بد من وقفة قصيرة. **لقد بدأت الوحدة الألمانية برفع الحواجز الجمركية، الأمر الذي عاد بالفائدة على كل مواطن جرماني، وأوجد لديه الحافز القوي الذي عزز من شعوره القومي، ودفعه إلى اختيار الوسائل المناسبة لدعم مسيرة الوحدة (الاتحادية). فكانت وسيلة (الصراع المسلح) هي الأداة الحتمية للوصول الى الهدف. وجاء الانتصار الخارجي ليدعم من مسيرة الوحدة الداخلية. تلك هي المعادلة البسيطة للبناء (الاتحادي): «أمن للمواطن وبحث عن مصلحته + تنظيم سياسي بين دول الاتحاد يحقق هذا الهدف + قوة عسكرية تحقق الانتصار الخارجي وتدعم الهدف الداخلي». وهكذا فقد بدأت مسيرة الوحدة (الاتحاد) بمصلحة المواطن وأمنه وانتهت عند مصلحة المواطن وأمنه.**

وهنا أيضاً لا بد من ملاحظة استطالة هذه التجربة التاريخية إلى أفق العصر الحديث، فقد خرجت الدول الأوروبية من الحرب العالمية

الثانية وهي ممزقة الأوصال، مدمرة الاقتصاد، في جسمها جراحات عميقة مما خلفته الحربان العالميتان الأولى والثانية، فالفرنسي الذي قتل الألمان ابنه أو أخاه أو زوجته أو قريبه لايزال يحمل في أعماقه روح الثأر والانتقام. وكذلك الألماني الذي قتل (الأوروبيون عموماً ـ بما فيهم الأمريكيون) أهله ودمروا بلده لازالوا يربضون على صدره. غير أن الحرب العالمية الثانية أبرزت متحولات جديدة، فقد ظهر ضعف أوروبا مجتمعة في مواجهة الدولتين العظميين، وكان لا بد من إقامة بناء جديد يختلف في أسسه وشكله عن بناء الكيانات المعروفة. وهنا جاءت التجربة البروسية مرة أخرى لتقدم عطاءها: فتمت إقامة إتحاد دول (البينيلوكس) على أساس اقتصادي (مالي) ثم لم يلبث أن تطور إلى ما يشبه الاتحاد التكاملي الذي تحتل فيه (القدرة العسكرية) مرتبتها البارزة والمميزة. والأمر الذي لا يقبل الجدل أو النقاش هو انه كان من المحال تحقيق ما حققته أوروبا، وإنجاز ما أنجزته، لو لم يشعر المواطن الأوروبي عامة بالفائدة الكبرى التي توافرت له في ظل البنيان البحث عن السياسي والاجتماعي الجديد، مما وضع بلسمًا لجراحه النازفة. **ذلك هو أول درس يمكن تعلمه من (تجربة الاتحاد البروسية): مصلحة المواطن وأمنه قبل كل شيء، وبعد كل شيء، ولا شيء غير ذلك.**

لقد سارت (بروسيا) طويلاً على النهج الشاق والطريق الصعب، طريق إقامة الاتحاد الجرماني، وتعرضت خلال مسيرتها لانتكاسات مريرة، غير أن رؤيتها الواضحة لأفق المستقبل ساعدتها على تجاوز العقبات المتتالية لتخرج من كل تجربة وهي أكثر تصميمًا وأكثر إيماناً بحتمية انتصارها النهائي. وذلك هو مما يمكن تعلمه أيضاً من (تجربة التاريخ). ولقد كانت (بروسيا) ومعها كافة الكيانات الجرمانية، تسير نحو تحقيق (هدف عادل ومشروع) إذ من حق كل فرد، وكل شعب،

البحث عن أمنه، وعن رفاهه، وعن مستقبله. وكان الوصول إلى هذا (الهدف العادل والمشروع) يتطلب بالضرورة خوض صراع مرير عدته (التسلح) وقد استجاب الشعب الجرماني لمتطلبات بناء المستقبل (فأصبح أمة في جيش) وتولى (مولتكه) قضية تنظيم هذه الأمة المسلحة، وإعداد الظروف المناسبة لتحقيق انتصارها العسكري الذي يضمن لها تحقيق (هدفها السياسي). وعظم الطالب والمطلوب.

أكدت التجربة التاريخية (للاتحاد الألماني) قضية اقتران (الحق بالقوة) على مستوى الصراع الإستراتيجي. واقتران (الكتلة + بالسرعة) على مستوى الأعمال القتالية، واقتران (النار + بالحركة) على المستوى التعبوي (التكتيكي). فكان هناك نوع من التوازن المحكم الدقيق في معطيات الصراع السياسي والصراع المسلح، وذلك مما يمكن تعلمه أيضاً من تجربة (الحرب البروسية ـ الفرنسية).

تعرضت تجربة (الاتحاد الألماني) للبحث والدراسة ـ على المستوى العالمي. ولازالت تتعرض للمزيد من الأبحاث، وليس ذلك إلا دليلاً على أهمية هذه التجربة التاريخية التي أرسلت بظلالها إلى الآفاق البعيدة زماناً ومكاناً. وهي بحق تجربة فردة من التجارب الإنسانية. وينسب بعض المؤرخين إلى الأمبراطور غليوم الدور الأول في تحقيق هذا الانجاز التاريخي الضخم، في حين ينسب آخرون الفضل الأول في هذا الانجاز إلى (بسمارك) بينما يرى آخرون أيضاً أن الفضل في تحقيق (الحلم) وتحويله إلى حقيقة إنما يعود إلى ذلك (الجهاز العسكري) الذي تربع (مولتكه) على ذرى قممه. وتميل النظرة الحديثة إلى اعتبار (إنجاز الحدث التاريخي) هو محصلة الجهد المشترك للشعب وحكامه. وتلك حقيقة لا تقبل الجدل، غير انه بالإمكان التساؤل: ترى ماذا كان سيحدث لو ظهر خلل في تكوين الجهاز العسكري البروسي، أو كان هناك نوع من القصور أو التقصير؟ وماذا كان

سيحدث لولا ذلك النصر التاريخي الحاسم في ميدان معركة (سيدان)؟
إن الإجابة على هذه الآسئلة وأمنها كافية لوضع (مولتكه) في موقعه الصحيح من (فن الحرب) ومن بناء (الاتحاد الجرماني - الألماني)

ـ مراجع البحث الرئيسية ـ

١ ـ رواد الاستراتيجية الحديثة ـ إدوارد ميد إيرل وآخرين ـ ترجمة وتقديم الأميرال أركان الحرب محمد عبد الفتاح إبراهيم. مكتبة النهضة المصرية. ١٩٥٧.

٢ ـ تاريخ فن الحرب ـ الجنرال ستروكوف ـ نقله عن الروسية العميد الركن صباح الدين الأتاسي ـ وزارة الدفاع في الجمهورية العربية السورية ـ ١٩٦٨.

٣ ـ إدارة الحرب ـ ج. ف. س. فوللر ـ ترجمة أكرم ديري ـ دار اليقظة ـ العربية بيروت ـ ١٩٧١.

٤ ـ المعارك الفاصلة في التاريخ. حنا خباز ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ١٩٥٩.

٥ ـ BISMARCK (HENRY VALLOTTON) FAYARD — 1961.

٦ ـ THE DECISIVE BATTLES OF THE WESTERN-WORLD (J. F. C. FULLER) (PALADIN) 1975.

الفهرست

صدر للمؤلف عن
المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

(أ) مجموعة مشاهير قادة العالم:

١ ـ الإسكندر المقدوني.
٢ ـ هانيبال (هاني بعل).
٣ ـ يوليوس قيصر.
٤ ـ مارلبورو.
٥ ـ فريدريك الكبير.
٦ ـ بطرس الأكبر.
٧ ـ جورج واشنطن.
٨ ـ نابليون بونابرت.
٩ ـ كوتوزوف.
١٠ ـ نيلسون.
١١ ـ بيجسو.
١٢ ـ فون مولتكه.

(ب) الحرب والحضارة.
(ج) مذكرات ليدل هارت (مترجم).
(د) الحرب المباغتة، والمباغتة في الحروب العربية الإسرائيلية (مترجم ومقدم له).



لقد برزت في القرن التاسع عشر مجموعة كبيرة من القادة الذين كان لهم دورهم الأساسي والحاسم في (ظهور الحدث التاريخي) ومن أولئك القادة يبرز اسم (الجنرال مولتكه).

لم يكن هذا القائد من النوع الذي هز العالم بصخبه وضجيجه مثل (نابوليون بونابرت) ولا من النوع المغامر مثل (الأميرال نلسون) ولا مثل (كوتوزف) العسكري المصمم العنيد وإنما كان نموذجاً خاصاً ومميزاً بفضائله الخلقية والحربية، وبسعة أفقه الاستراتيجي والتخطيط الدقيق والكفاءة العالية في إدارة الحرب.

وضمن هذا الإطار تبقى تجربة مولتكه التاريخية من التجارب الرائدة التي تحتفظ بكل قيمتها وفائدها، مستقلة بمقوماتها، غنية بمعطياتها، ولا غرابة في أن تحمل مدرسة الحرب البروسية طابع (مولتكه) الذي هيمن عليها، فأرسى قواعدها وحدد مبادئها. وبقيت هي المدرسة المهيمنة على أوروبا وعلى العالم بكامله طوال نصف قرن من عمر الزمن، وعنها أخذت معظم مدارس الحرب الحديثة الكثير من أسسها ومبادئها.

ومن منجزات (مولتكه) الرائدة تحقيق التوازن بين غاية السلم وهدف الحرب، كما أن قيام الوحدة الألمانية كان من أعظم منجزات القرن التاسع عشر، وكان للقائد (مولتكه) الدور الأعظم في تحقيقها.

المؤسّسة العربيّة
للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير - ت ٨٠٧٩٠٠/١
برقيا موكيالي بيروت - ص.ب: ١١/٥٤٦٠ بيروت

الثمن ١٠ ل.ل
أو ما يعادلها